
ensan alla2.pdf 1 11/23/12 9:11 AM
إنسان الله
إعداد وتنسيق: شفيق محمد الموسوي
المركز الإسلامي الثقافي
إنسان الله
إعداد وتنسيق
شفيق محمد الموسوي



الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٢م

**إصدار المركز الإسلامي الثقافي**

لبنان ـ حارة حريك ـ مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام
هاتف: ٥٥٧٠٠٠/ ٠١ ـ ٥٤٤٤٠٢/ ٠١
خليوي: ٥٦٥٠٧٤/ ٠٣

❊ ❊ ❊

**البريد الإلكتروني**

info@tawasolonline.net
info@fadlullahlibrary.com

❊ ❊ ❊

**المواقع الإلكترونية ـ المركز الإسلامي الثقافي**

www.tawasolonline.net
www.fadlullahlibrary.com
youtube/tawasolonline

**Facebook:**

مكتبة العلّامة المرجع السيّد فضل الله العامة

تواصل أون لاين



إعداد وتنسيق
شفيق محمد الموسوي

المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام
لبنان - حارة حريك



# المقدّمة

كلماتٌ حفرها كتّابُها على شغاف قلوبهم...

انطلقت مضمّخة بعبير الحبّ والصدق وكلّ الوفاء...

خاطبتِ السيّدَ (رضوان الله عليه) بعقلٍ وجدَ في عقل السيّد إضاءاتٍ تبشّر بفجرٍ صائعٍ للمستقبل المشرق رغم كلّ الضباب وعواء الذئاب...

كلماتٌ خاطبتِ السيّدَ بما يليق بالسيّد، بفكره ومنهجه ورؤاه وتطلّعاته... ونحن في المركز الإسلامي الثقافي ـ مجمع الإمامين الحسنين (عليهما السلام) إذ ننشرها وبمناسبة الذكرى السنوية الثانية لرحيل السيّد، فإنّنا بذلك نثمّن للكتّاب كتاباتهم، ولروح السيّد نقدّم بعض وفاء...

وإذ نشكر للكتّاب جميعاً جهودهم، أقدّم شكري وبالغ اعتزازي بالزميل الأستاذ محمد طراف الذي كان له الدور الكبير في المساهمة بنشر هذا الكتاب، حيث لم يوفّر جهداً في هذا السبيل، إن من خلال التواصل مع السّادة الكتّاب، أو

المتابعة الحثيثة في الإعداد والتنسيق والتدقيق اللُّغوي. كما نشكر للزميل الأستاذ هاني حركة مساهمته أيضاً في التدقيق والمراقبة...

ومن المولى تعالى التوفيق والسّداد

***مدير المركز الإسلامي الثقافي***

***شفيق محمد الموسوي***

***محرم ١٤٣٤هـ***

***تشرين الثاني٢٠١٢م***





# نهرُ عطائك لا زال يجري

***العلامة السيد علي فضل الله***

أن أقفَ في ذكرى غيابِ السيِّدِ، غيابِ الأبِ والمعلِّم والمُلهم، موقف لا تتناقصُ رهبتُه مع الأيّام، ولا تخفُّ وطأته على القلب والمشاعر والأحاسيس، موقفٌ يحنُّ فيه الابنُ إلى الأبوّة التي تفيض حبّاً ورقّةً وحناناً.. موقفٌ يحنُّ فيه الرساليّ إلى صفاء الرسالة، وإلى لذّة العمل في دروب الألم والأمل، ويحنُّ فيه العامل في مسيرة البرّ إلى مظلّة أمان، ويدٍ حارسةٍ، ونبعةِ ضوءٍ تقول لك استمر... فنهرُ العطاء ما زال يجري...

فعن أيِّ شوقٍ نتحدّث، وعن أي فراغٍ تركه غياب هذه الهامّة الشّامخة في نفوسنا وحياتنا؟

ورغم كلّ ما أحمله من حنينٍ وشوقٍ، سأتجاوز الحديث عن العاطفة الخاصّة التي لا يمكن ملؤها إلا بالصبر والحول والقوّة من الله عزّ وجلّ.... فالعزاء، أنّنا ومنذ اللّحظات الأولى للخسارة، شعرْنا أنَّ من غير الإنصاف أن نتفرّد أو نختصّ بالحديث عن فَقْدٍ، وحولك مدٌّ عاطفيّ جيّاش لا يعرفُ حدودَ الطوائف والمذاهب ولا حدود الجغرافيا أو الزمان، يقول لك: «نحن مَن أحبّهم السيّد وأحبّوه يقولون



لك نحن فقدناه، ونحن نحنُّ إلى ظلّه وأبوّته... ألم نكن بالنسبة له أبناءً وبناتٍ وأخوة وأخوات. ألم يكن يبادرنا في كلّ مناسبة بعبارة: «أيّها الأحبّة»؟..

في هذه الذكرى نلجم عاطفتنا، ننسحب من دائرة الحزن أمام عاطفة هؤلاء الذين يصرّون، على إبقاء السيّد حاضراً في العقل، وفي القلب، وفي الوجدان.. سيرةً، وفكراً، ونهجاً، وخطّاً ومفردات....

أيّها الأوفياء...

الإنسان المؤمن ليس حياديّاً وليس الإنسان اللاّمنتمي، بل هو الإنسان الذي يملك موقفاً في كلّ شيء ومن كلّ شيء.. ويتحرّك في الحياة على أساس مسؤوليّته عن إغناء الحياة»..

هذا ما قاله السيّد... وهكذا كان يفهم دوره، ودور أيّ إنسان...

فالسيّد لم تكن حركته في كلّ مراحل حياته اعتباطيّة، أو نتاج ردّ فعل أو اندفاعات طارئة حكمتها ظروفٌ خاصة، بل كان وراء ذلك خطٌّ سار عليه وبناه لحياته، هو خطّ الإيمان وفق نظرته للحياة. فقد كان السيّد يرى هذه الحياة التي منحها الله له قيمة، وساحة حضور وفاعلية... ومعناها أن تضيف إليها وأن تُغنِيَها. كان هذا همّه: أن يزرع الخير، والحبّ والرّحمة، وأن يجعل الحاضر أفضل من الماضي، وأن يجعل المستقبل يتّسع لطموحات الحاضر، ولطالما سمعتُه ومنذ طفولتي إلى آخر مرحلة من حياته يُردّد هذا الدعاء:

**«اللهم اجعل مستقبل أمري خيراً من ماضيه، وخير أعمالي خواتيمها، وخيرَ أيّامي يوم ألقاك»**.

لقد انفتح السيّد على الحياة، ومن خلال علاقاته وحركته، فكان منتمياً للإنسان: إنسان الله والعالَم.. وصارت المحبّة قضيّته ورسالته، وصار علمه

وفكره علم وفكر العالم الذي يسعى لزراعة الشجرة الطيّبة، التي لا تعرف التعصّب ولا الخرافة ولا الغلوّ، وكان همّه، أن تُحرَّك العواطف بالعقل، وتُتّخذ المواقف بالعقل، وأن تُعطى العاطفة جرعةً من العقل لتتوازن.

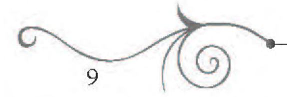
لقد كان السيد (رضوان الله عليه) حريصاً على أن يُناقش في كلّ شيء، أن يعيد النظر فيه ما دام ليس فكراً معصوماً. لم يكن يستسلم للمسلّمات ولا للمشهور من العلماء، كان يقول عن الذين سبقوه والذين عاصروه ممّن هم في مواقع عليا: نُجِلّهم ونحترمهم، هم آباؤنا ولكن لهم فكرهم ولي فكري، لهم رأيهم ولي رأيي، ومن حقّي أن أُبدي رأيي..

هكذا علَّم تلامذته ومستمعيه... لم يؤمن يوماً بإنسانٍ أُمّي.. كان يرى في كلّ إنسان طاقةً ما، لأنّه قرأ في كتاب الحياة، وكثيراً ما كان يردّد: «لا تحطّوا من قيمة أنفسكم.. كونوا العلماء ولا تكونوا الجاهلين الغافلين».

وتعلّم تلامذته في هذه المدرسة أن يعرضوا كلّ شيء على النقد. كانت هذه رؤيته في الفقه، وفي الحديث والعقيدة وتفسير القرآن، وفي كلّ رأيٍ سياسيّ أو ثقافيّ أو اجتماعيّ..

أراد لنا أن لا تكون علاقتنا بالله علاقة جامدة، كمن يؤدّي وظيفة رسمية، ثمّ تنقطع العلاقة بانتهاء الدوام، فالإنسان لم يُخلق لخدمة الدّين، بل الدّين كان من أجل الحياة، لجعلها أكثر عدلاً وأكثر يُسراً وأكثر جمالاً، لا ليعقّد حياة الإنسان، ويضيّقها، لا ليصبح عبئاً عليها... فالدّين يسرٌ لا عسرٌ..

ومن هذا الموقع يقول السيّد، إنّ الأساس في الدّين الحليّة لا الحرمة، وفي التعامل مع الأشياء: الطهارة لا النجاسة، ومن هنا كانت طهارة الإنسان، وأن لا صحّة لمقولة «بأخذ الدين كاملاً وإلاّ لا تأخذ به». من هنا، لم يُخرج السيد



من الدين من لم يلتزم ببعض أحكامه، ولم يحكم بالكفر المطلق على مَنْ يكفر ببعض مفردات الدّين، بل ذهب إلى أنّ الكفر نسبيّ.

ولذلك شعر الكثيرون من خلال السيّد برحابة الدين وسهولته، وبقدرتهم على الأخذ به، حتى لو كانوا في بلدٍ، لا وجود للدّين فيه.

لقد استطاع سماحة السيد (رضوان الله عليه) أن يوجد مصالحة بين كثير من الناس وبين الدين... كان يستعيدهم إلى حضن الإيمان...

وكان السيد في كلّ هذا التيسير لا يبالي بالأصوات التي تدّعي الحرْص على الدّين تحت عنوان التعسير وكثرة الاحتياط، وبالتالي تضييق دائرة الحلال، وتوسيع دائرة المحرّمات التي أنتجت في مرحلة ما، شرخاً إلى حدِّ الانقطاع بين الناس والدّعوة إلى الله.. هكذا كان السيّد يفهم الدين في خطِّ الحياة...

كان السيّد يريد لنعمة الحياة هذه أن تكون ساحة لقاء، وساحة عطاءٍ وساحة عدل، وساحة جمال ورقيّ للفكر، وسموّ للروح، وما دامت تجلّيات هذا الجمال تسبيحاً وصفاءً وروحاً فليست كلّ موسيقى حراماً، ولا كلّ غناء حراماً، ولا كلّ رسمٍ أو نحت حراماً.. نعم، حرّم السيد ذلك عندما يصبح المنتَج الفنّي سلعةً لتسويق الحرام، ووسيلة إغواء وانحراف..

لقد كان السيّد يقرأ جيّداً لغة العصر، ويعرف جيداً مدى تأثير الضخّ الإعلاميّ الفنّي في حياة الشباب خصوصاً، وكان يعرف أنّ الانسحاب من هذا الميدان، أو إعطاء الظَّهر له يعني تَركَ السّاحة للآخرين كي يفرضوا رؤيتهم، لذلك اهتمّ بالبدائل، وهو مَن دعا إلى عدم الاقتصار في تقديم عاشوراء بالأسلوب القائم والمعتمد، وتوسّل أساليب جديدة في عرضها، بحيث يتحوّل إلى عملٍ مسرحيّ أو سينمائيّ متطوّر.. ولم يأبه يومها بكلّ الإثارات التي أُثيرت حوله.



كان السيد رضوان الله حريصاً على الفرح في الحياة، وهو مَن دعا إلى أن لا يكون طابع شخصيّتنا الشخصيّة البكائيّة التي تُثير الحزن حتى في مواقع الفرح، بل الشخصيّة التي تفرح وتعتبر الحياة ساحة مسؤوليّة ووعي..

لقد وقف السيّد في وجه كلّ الذين يريدون الإساءة إلى الحياة كونها قيمة ونعمة، واعتبر أنّ الاستهتار أو الأذيّة لا يجوزان، من هنا كان تحريمه للتطبير، ومن هنا كانت فتواه بتحريم التدخين..

ومن موقع الدّفاع عن طاقات الحياة، وقف السيد مع الشباب ولطالما رأى فيهم براعم المستقبل المنفتحة على العصر، والواقع الحيّ المتحرّك لاقتلاع جذور الفساد والتخلّف.

ومن الموقع نفسه، وقف السيد مع المرأة، أراد لهذه الطاقة المعطَّلة، أو الضعيفة باسم الدين، أو باسم الحضارة والمدنية، أن تستعيد دورها، أرادها أن تكون المثقفة، والمبدعة والمنتجة والمجاهدة، والحركيّة والرساليّة، لقد رأى السيد في المرأة شريكاً للرجل. لم يرَ ما يراه البعضُ من الفقهاء أنّه لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيت زوجها بدون إذنه مُطلقاً، بل أجاز لها أن تخرج حتى لو لم يأذن لها، لتعبّر عن طاقاتها عندما يكون الزّوج منشغلاً عنها. وبذلك لن تظلّ الحياة الزوجيّة سجناً، ولم يُسلِّط الزوجَ على زوجتِه ليكون سجّانها..

ولأنّ السياسة باتت اليوم جزءاً من حياة الناس، المنتمي منهم واللاّمنتمي، فقد كان لها حضورها في فكر السيد، لكن لأيِّ سياسة كان ينظر؟

لم يَعِشْ السيد على هامش قضايا عصره، لهذا دعا إلى المزاوجة بين السياسة والدين. دعا إلى السياسة التي تطرح مفرداتها وأساليبها طلباً للحق والعدل، وعدم وضع الدين في خدمة السياسة..



لقد كان السيّد يرى في الحياد انسحاباً من ساحة الحياة، وأنّ الحياديّين مشكلة كلّ الشعوب الباحثة عن حرّيتها ومواقفها..

«لا تكن إنسان اللاّموقف»، تلك هي وصيّته لكلّ إنسان.. من هنا، بادر إلى دعوة الإسلاميّين إلى عدم الانعزال والتقوقع، والابتعاد عن الواقع السياسي، لأنّ في ذلك حرمان الحياة السياسية من الإيجابيات التي يمكن للدين أن يقدّمها للواقع السياسي لتحسين دوره..

لقد آمن السيد بالانفتاح كشرطٍ أساسيّ في العيش مع الآخر والتواصل معه، على أن لا يكون انفتاحاً فيه ازدواجية، انفتاحاً على الخارج وانغلاقاً على الداخل.

وآمن أن لا انفتاح من دون حوارٍ، إذا كانت الحقيقة هي الهدف، فهي بِنْتُ الحوار في رأيه.. وآمن أنَّ الحوار الذي يقوم على المحبّة، بعيداً عن المواقف الاستهلاكيّة والمجاملات، هو الذي يُسقط الحواجز ونوايا الإلغاء والأحكام الجاهزة.

لهذا، كانت كلماته ومواقفه مفاتيح تحرّرٍ من الانغلاق، ودروباً معبّدة إلى رحاب التلاقي.

لقد كان هاجس السيّد وحدة الأمّة إدراكاً منه أنّ الخطر الناجم عن الشرذمة والتمزّق أشدّ خطراً من الاستكبار العالميّ عليها، وهل يوجد سلاح أكثر خطراً عليها من التعصّب المذهبيّ؟

والحياة عند السيّد (رضوان الله عليه) كانت حياة العزّة والحريّة والكرامة، لأنّ الله خلق الإنسان حرّاً، ولم يخلقه عبداً لأحد سواه. ولهذا وقف مع كلّ قضايا العزّة ورفض كلّ ذلٍّ واستكبار، وتحمّل لأجل ذلك الكثير من محاولات الاغتيال.



كانت فلسطين بالنسبة له هي البوصلة وهي المعيار والميزان، لذلك كان يؤكّد موقفه الثابت من الاستكبار الداعم للكيان الصهيوني. وعندما امتدّت الذراع الصهيونية لتجتاح لبنان، وجد فيه المقاومون الأبَّ والمرشدَ والسَّنَدَ، وحملوا فكره وهدْيه دليلاً يجدّد فيهم العزم والصبر والقوّة، فالحرية كما كان يقول: «لن تأتيك من الخارج، ولن تصدر بمرسوم».

لم يطلّ السيّد على الحياة من برج عاجيّ. كان يعرف رائحة تراب الوطن، وعبق زيتون فلسطين، وآلام الجنوبيّين، ولطالما طالت لائحة هموم السيّد فاتّسعت، حملها لأنّه آمن أنّ العاملين من أجل الحياة لا تلفظهم الحياة ولا تنساهم الساحات ككثيرين من العابرين..

هذه بعض آثار بصماته، التي لا نزال نجدها حاضرة في كلّ الميادين، في نفوس مقلّديه، وفي عقول محبّيه وقلوب عارفيه.

إنّ التحدّيات التي نعيشها وفي أكثر من ساحة عربية وإسلاميّة تؤكّد مدى حاجتنا إلى أمثال السيد، حاجتنا إلى الذين يعملون على فتح الجسور المغلقة بين العقول والقلوب، وبين المناطق والأوطان.

إنّنا بحاجة إلى أولئك الذين يؤكّدون على النقاط المشتركة بدل الحديث فقط عن نقاط الاختلاف..

بحاجةٍ إلى الذين يتحدّثون لغة الإمام علي(ع): «**الناس صنفان: إما أخٌ لك في الدين أو نظير لك في الخلق**».

إنّنا بحاجة إلى إبعاد كلّ الأصوات التي تعمل على إشعال الفتن المذهبيّة والطائفيّة والسياسيّة، والتي لا تريد حواراً وتتضرّر من وجوده، أن لا نكون جمهورها، أن لا نقوّي لها مواقعَها.



إنّنا مدعوّون إلى إعادة الدور الكبير لعلماء الدّين بأن يعيشوا عصرهم، فلا يكونون بعيدين عن تطلّعات شبابه، وأن يكونوا أمناء على إصلاح الواقع عندما يثور الانحراف وتكثر البدع، أن يغيّروا الواقع المنحرف، لا أن يتغيّروا معه ويبرّروا له ويشرِّعوه، أن يكونوا إطفائيّين عند إشعال الحرائق، لا أن يساهموا في إشعالها. وإلا فإنّنا نطلقها دعوةً: ضرورة إبعاد رجال الدّين عن السياسة، وتأكيد الدين بكلّ قيمه ومبادئه فيها، كي لا يُظلَم الدين من خلاله رجالاته.

نحتاج إلى أمثال السيّد لنؤكّد أهميّة القيمة التي يمثّلها هذا البلد ـ لبنان، أن نقدّم صورة إيجابيّة عنه، بأن تنهج الطوائف منهج أديانها، وبذلك نمنع تحوّله إلى تجمّع عشائري، يتحكّم به مَن لا يحملون قيم أديان هذه الطوائف.

أيّها الأوفياء...

لقد ترك السيد رضوان الله عليه، كلّ هذا الفكر الذي عاشه والنهج الذي رسمه أمانةً بين أيدينا..

ومن حقّ السيد رضوان الله علينا في ذكراه الثانية أن يُدرَس فكرُه، وأسلوبُه، ونهجُه، بعيداً عن كلّ الحساسيّات والحسابات الضيّقة.

وإنّنا على ثقة بأنّ هذه الأمّة الواعية والتي أعطت السيّد في حياته وأعطته الكثير بعد وفاته ستأخذ بهذا الفكر، وتتابعه ليكون لغتها وعنوان حركتها.

من جهتنا، لن نكِلّ ولن نَملَّ، ستتابع معكم هذه المسيرة... سنظلّ نؤكّد على الوحدة في ساحة الوطن بكلّ تنوّعاته، مسيحيّين ومسلمين، فهي حصننا عند أيِّ أزمة، وحصننا ضدّ أيّ خطرٍ، وسبيلنا لحلّ معضلات أزمات الناس المعيشية والحياتية، الناس في ضيقٍ والمطالب كثيرة ابتداءً بأزمة الكهرباء وانتهاءً بأزمات الرغيف والفقراء.



سنظلّ نؤكّد على الوحدة ثم الوحدة ثمّ الوحدة في السّاحة الإسلاميّة، بإغلاق أيّ باب للفتنة، تعالوا لنتحاور، ونتناصح، ونتواصى بالحقّ ونتواصى بالصبر، فمصيرنا واحدٌ، وهمومنا واحدة. على رأسها فلسطين والقدس..

الوحدة ثمّ الوحدة ثمّ الوحدة.. بوجه محاولات بدأت تُطلُّ برأسها لتوهين الساحة الداخلية وإضعافها في مواجهتنا للعدو الصهيوني..

معاً معاً... لتحصين هذا الواقع... وحمايته وتأمين سبل مناعته من الاختراق..

وأخيراً.. سنظلّ نقف مع كلّ قضيّة حقّ وعدل وحريّة في مواجهة كلّ ظلم واستكبار... وسنظلّ الصوت الداعيَ أبداً إلى ضرورة تعزيز الجانب الروحيّ والإيمانيّ والإنسانيّ وفي خطٍّ موازٍ السعي لتأمين حاجة فقراء ومستضعفين وأيتام وكلّ ذوي حاجة، سنسعى في خدمتهم أن لا يضيعوا بحضرتنا... سنظلّ نحبّهم ونزرع الأمل في نفوسهم..

فإلى هذه الفئات انحاز السيّد.. ولهم نذر حياته، وكما كان سنكون: الساعين لزرع الشجرة الطيبة في ميادين الحياة...







# العبقري

د. إبراهيم الجعفري[*]

لقد قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

قلّة أولئك الذين يتمتّعون بموهبة متميّزة.. وأقلّ منهم من تتعدّد مواهبهم... أما حينما تقترن الموهبة بالتنظير والتطبيق وتتوشّح بإكليل التضحية على مدى الحياة.. عندئذٍ تتحوّل تلك القلّة إلى ندرةٍ نادرة...

المجدّد في كلّ عصر... حاجةٌ إنسانية ودينية وإسلاميّة... مجدّد هذا العصر.. فضل الله.. النموذج.. هذا الإنسان الجليل الذي اجتمعت فيه عناصر العبقرية.. وانبرى من موقع تفاعله بصدقٍ مع ربّه ومبادئه.. ليصدح بصوت الحقّ.. وتتلمّس في شخصيّته آثار التجدّد.. التجديد الذي يقوم على تنظيرٍ قرآنيٍّ صحيح.. وليس من موقع التجديد الذي يلوّح بعملية الهرع وراء الآخر من موقع عقدة الانبهار.. ليس التجديد الذي يلهث وراء كلّ قويّ.. وليس التجديد الذي يفتقد إلى قاعدة

---

(*) رئيس الوزراء العراقي السابق.

الارتكاز وفقدان الثقة بالنفس..

إنّه التجديد الذي يغوص فيه حامل لواء المعرفة في النصّ القرآني والنبوي والإماميّ، ليجمع بين الأصالة المبدئية والتجديد الواقعي..

هذا التجديد الذي يجعل الإنسان صاحب الموهبة يأبى إلا أن ينداح ويمتدّ في كلّ مجال من المجالات، ليترك بصماته وآثاره على كلّ مرفق من المرافق، حتى تجد أنّ أرباب الفكر وروّاد المعرفة عندما ينظرون إليه، دائماً يجدونه أمامهم يشرعُ بسفينةٍ... هذه السفينة شراعها العلم والمعرفة والواقعية..

انطلق السيد فضل الله من الموقع الذي ينظّر فيه أنّ الآخر وجود في حياتنا.. هذا الآخر الإنساني.. منطلقاً من قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[الإسراء: ٧٠] لذلك يفتح صفحة لأنسنة العلاقات على مستوى المجتمع والدولة في عالمٍ يغصّ بالتمييز العنصري والقبليّ والمجتمعي والشعوبي في كلّ منطقة من مناطق العالم..

يصدح بصوته منذ أن عرفه المثقّفون والمنظِّرون أنّ الآخر واقعٌ في حياتنا.. وبذلك يؤسّس نظرية مجتمعية تصلح أن تكون بنيةً تحتية لكلّ دولة تتوق وتتطلّع بشكل جدّي وحقيقي لإقامة العدل في دولة الإنسان.. إلى الآخر الإنساني... إلى الآخر الديني..

لطالما كان يردّد ويصدح بصوته: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء**﴾[آل عمران: ٦٤].

وبذلك أشرقت شمس معرفته على كلّ أبناء الديانات.. أنّكم بالنتيجة ترجعون إلى ربٍّ واحد...

هذا الثالوث.. العقيدة والتوحيد وترجعون إليه، وثالث عناصر الثالوث



التوحيدي هو المعاد وحق النبوّة الموصل بين الله تبارك تعالى وبين الناس...

هكذا كان يصدح السيد دائماً باحترام أبناء الديانات: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء**﴾ وإلى الآخر القرآني.. إلى أبناء المذاهب... كان يعقد مقارنةً موفّقةً.. إذا كان القرآن يستصرخنا بأنّه ينبغي أن تجدوا المشترك مع أبناء الديانات فلا بدّ أن تجدوا المشترك مع أبناء القرآن الكريم...

وبذلك أرسى قواعد الوحدة، ليس على أساس الشعارات، وإنّما على أساس التنظير المؤصّل والتجديد المعاصر الذي ينبض بالواقعيّة..

كان لا بُدَّ لِمَن يَحْمِل لواء الوحدة أن لا يكتفي أن يكون صاحب شعار.. وكذلك كان لا بدّ أن يعدّ العدّة بأنه عندما ينطق بشعار الوحدة أن يكون مجسِّداً لشعار الوحدة واقعاً في حياته.. ولأنّه يعيش في مجتمعٍ قد لا يتعاطى بل قد لا يتفهّم أدباً مثل هذا الأدب وفكراً كهذا الفكر ولا يتعاطى بنظريّة كهذه النظريات... فإنّه وجد نفسه من القلّة الذين يَحْمِلون لواء الوحدة وسرّ الوحدة في المجتمع الإنسانيّ والدينيّ والإسلاميّ...

ولأنّ هذا المجتمع.. ولأنّ مجتمعاتنا جميعها تعاني من الشلل النصفيّ.. وتعاني من تعطيل العنصر الحيويّ والمهمّ في حياتها، وتعاني من عقدة الذكوريّة والفحولة، وتعاني من البطريركية التي وفدت إلينا من الغرب... فقد أخذ على عاتقه أن يتحدّث عن حقّ المرأة بنتاً وزوجةً وأختاً وأمّاً وفاعلة اجتماعية، في كلّ مؤسّسة من مؤسّسات الحياة... لا تخلو محاضراته وخطبه وتنظيراته وكلّ ما كتب في هذا الشأن، إلا وتجد المرأة تتصدّر في حديثه، لا لشيء إلا لأنّ المرأة كما أرادها الله سبحانه وتعالى إنسانة تساهم في بناء المجتمع، ولذلك تحرّك في مسرح القرآن وتناول النماذج المتعدّدة في القرآن الكريم، كيف يقدّم لنا القرآن الكريم المرأة بنتاً صالحةً وزوجةً صالحةً وأمّاً صالحة.. وقائدةً سياسية، وبذلك أراد أن يُلغي ويقضي على الثغرة المفتعلة بين الرجل والمرأة في المجالات المجتمعية المختلفة..

السيد فضل الله أبى إلاّ أن يتحرّك ويعطي لكلّ شريحة اجتماعية حصّة تتناسب مع أهميتها في قلبه، وما يختزنه من مشاعر وقيم.. وفي عقله وما يزدان فيه من أفكار.. لذلك كان ينساب دائماً وكان يترقّى بفكره ليعطي كلّ شريحة اجتماعيّة حصّتها المأمولة..

كان كبيراً.. حين كان يخطب، وعندما تسمعه بالأدب المسموع، وتقرأه بالأدب المقروء، تجد أنّ فضل الله المسموع هو ذاته فضل الله المقروء.. كتابه وخطابه جناحان تطير بهما شخصيّته بمصداقيّة التطبيق العملي الذي كان لا يقول كلمة إلاّ ويطبّقها.. ولا يرفع شعاراً إلاّ وكان مصداقاً حيّاً لذلك الشعار.. ونحن بأمسّ الحاجة إلى الذين يطلقون الشعارات من موقع أن تكون قلوبهم مزدانة بتقوى الله.. ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[الحج: ٣٢]

كان يطلق الشعارات ويُكثِر من الشعارات ولكن ليس كبقيّة الشعارات..

يتمتّع بأصالة الفكر وواقعيّة التطبيق، وكانت متوّجةً بإكليل التقوى والخشية من الله تبارك وتعالى..

كان في السياسة بطلاً ليس كبقية الأبطال.. منذ وقت مبكّر ومنذ لم تكن هناك صحوةٌ، ولم تكن هناك ثورةٌ ولا دولةٌ ولا مقاومةٌ في العالم الإسلاميّ.. منذ متبقّيات ومتخلّفات الدولة العثمانية في القرن العشرين التي زعمت أنّ الإسلام مرّ بالدولة العثمانية دولة الرجل المريض.. كان يصدح بصوته وكان يكتب وينظّر إلى أنّ الإسلام على الطريق «خطوات على طريق الإسلام» ويتحدث عن «قضايانا على ضوء الإسلام»..

كان فكره متوقّداً متدفّقاً يُعطي كلّ متلقٍّ ما يستوعب ذهنه من الفكر الإسلاميّ النيّر... كان يتحدَّث عن واقعيّة الإسلام.. ليس الإسلامويّة التي فرّقت بين أبناء



الديانات واستباحت الدم الآخر... ليس الإسلامويّة التي استباحت أبناء المذاهب وحوّلت الانتماء المذهبي إلى نعرة طائفية.. ليس الإسلام الذي يُلغي الطوائف.. وإنّما الإسلام الذي يُلغي الطائفية.. ليس الإسلام الذي يخشى من الآخر، وإنّما الإسلام الواثق الذي يمشي على خُطىً ثابتة ويفتح قلبه وصدره وعقله للتفاعل مع الآخرين.. يجتهد أيّما اجتهاد في التقاط النقاط المشترك..

أبى إلاّ أن يتحرّك من موقع المشترك ويحاول أن يُجمّد المختلف أو على الأقل أن يقدِّم المشترَك على المختلَف.. لذلك، ما دخل عليه أحد، وما قرأه أحد، وما استمع له أحد، وما نظر له أحد، إلا ووجد حصّة بفكره وقلبه يأخذها منه..

لم يكن سياسياً بالمعنى الاحترافي، وإنّما كان سياسياً بمعنى الأصالة، وبمعنى الصدق..

السيد فضل الله.. أبت حياته إلاّ أن تنضح بمفاهيم الرسالة، وفيما كتب من التفسير، وفيما نظّر من فكر الفقه والأصول، وفيما كتب من الفكر الإسلاميّ النيّر، وفيما احتضن.. وإذا كانت دائماً منصّات الفكر وصومعة الفكر والحوار والنقاش والفلسفة تخصّ الكادر النخبوي.. فإنّ السيد فضل الله أبى إلا أن يمضي على سيرة أجداده وأن يمشي على النهج النبوي الشريف من وحي القرآن الكريم.. يمزج الفكر بالعاطفة... لا نستطيع أن نتصوّر إنساناً فكراً بلا عاطفة، كما لا نستطيع أن نتصوّر إنساناً عاطفةً بلا فكر..

إنّ المزج بين الفكر والعاطفة بالشكل الذي تكون الفكرة فيه تنبض بالعاطفة الحقيقية.. لماذا لم يتحول كل فلاسفة الدنيا إلى تيارات اجتماعية؟.. قدّم أفلاطون وسقراط وأفلوطين والكثير من فلاسفة العالم قدّموا الكثير.. وأغنوا في مجال المعرفة ولكنّهم لم ولن يستطيعوا أن يتحوّلوا إلى تيارات.. لأنّ فكرهم بقيَ وإن أخذ حيّزاً كبيراً من العقل، ولكنّه لم يمسّ شغاف القلب بعيداً عن العاطفة...

أما حركة الأنبياء وحركة الأوصياء وحركة المصلحين، الذين مضى على سيرتهم السيد فضل الله أبت إلاّ أن تمزج مزجاً رائعاً وموفقاً بين العقل والعاطفة.. ولذلك عندما ترنو إليه تستمع إليه وتنظر إليه تجده فكراً وعاطفةً في آنٍ.. فكراً يُتوّج العاطفة.. وليس كما نرى في الكثير من الأحيان.. عاطفة تُشهون العقل، وإنّما فكرٌ يعقلن العاطفة ويحترم المشاعر.. لذلك أجاد في فنّ خطاب النخبة مثلما، أجاد في فنّ خطاب عموم الناس.. وهذا فنٌّ يعكس مَلَكة خاصّة تعكس في داخلها صدقاً ينطلق من داخل عمقه بما يحمل من فكر وقيم حتى يدخل وينفذ إلى نفس المتلقّي بنفس القيم وبنفس الأفكار.. إن لم تَسَعوا الناس بأفكاركم فسعوهم بأخلاقكم.. أبى إلا أن يكون كبيراً..

السيد فضل الله عاش غربة الوعي ووحشة الطريق.. ليس الأول ولن يكون الأخير... عندما يريد الإنسان لنفسه أن يكون كبيراً بحجم المبادئ، لا بدّ أن يعدّ العدّة من أنه يعيش لأجيال قادمة، فسيضيق به عصره وتتّسع له عصور الآخرين..

ليس الوحيد... بل كلّ عظماء التاريخ عاشوا غرباء على أبناء جلدتهم وعلى أبناء عصرهم، غير أنّ العصور اللاحقة انفتحت من أعماقها عليهم..

لا تدرسوا اليوم الذين نستعظم شأنهم في التاريخ.. ادرسوا الجيل الذي عاصرهم ستجدون أنّ الجيل الذي عاصر العظيم قسا على العظيم، وهنا عظمة الشخصية... كان يتحدَّث بفكر عصيّ.. هذا الفكر العصيّ، على الآخرين أن يستوعبوه، ولذلك يواجهونه بردّ فعل معاكسٍ، وبمقدار ما يكون العظيم عظيماً تكون ردّة الفعل أيضاً عظيمةً..

يا أبا عليّ كنت كبيراً.. كبيراً ومحسناً عندما كنت تُغدق بالإحسان على كلّ الناس.. وأعظم هذه العظمات، أنّك كنت تُحسن لمن أساء إليك.. فسلام عليكم يوم ولدت ويوم متّ ويوم تُبعث حيّاً...



# صادق القول والفعل

*العلاّمة الشيخ حسن الصفار*(*)

ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) أنّه قال في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨]... إنّ العالم مَن يُصدّق قولَه فعلُه ومَن لم يصدّق قولَه فعلُه فليس بعالِم..

عادةً ما تكون هناك مسافة بين الأفكار والأعمال لدى أبناء البشر.. قد تكون مساحة شاسعة بعيدة المدى أو قصيرة محدودة، حيث يحمل الإنسان فكرة ويتحدّث عنها، ولكنّها لا تجد طريقاً للتجسيد والتنفيذ.. أما الخلل في الفكرة ذاتها يجعلها غير قادرة للتطبيق على أرض الواقع، أو لأنّ حامل الفكرة لا يمتلك عمق الإيمان بفكرته، أو يفتقد الجدّية للعمل من أجلها، أو تخونه الإرادة والعزيمة عند مواجهة التحدّيات والعقبات..

وقد تكون الظروف الاجتماعية غير مؤاتية لتطبيق هذه الفكرة حين تزدحم فيها العوائق، وتتصلّب فيها العادات والتقاليد، فلا تعطي الفرصة لأي فكرة جديدة تخالف السائد المألوف..

---

(*) عالم دين سعودي

لهذه العوامل وغيرها، قَلَّ أن يتوفّق صاحب فكر تغييريّ أو حامل رسالة إصلاحية إلى ترجمة وتحويل فكرته إلى برنامج عمليّ قائم..

وإذا كان المصلحون والمجدّدون قلّة في المجتمعات البشرية، فإنّ مَن يظفر منهم بفرصة نجاح العمل في الميدان الاجتماعي هم الصفوة في تلك القلّة.. وفقيدنا الراحل العلامة المرجع السيد فضل الله (رضوان الله تعالى عليه) هو من تلك الصفوة التي حباها الله بتسديده وتوفيقه، لتشقّ بأفكارها وآرائها التجديدية الإصلاحية طريق الممارسة والتجديد...

وبالتأكيد فإنّ تطلّعات العلامة المرجع عظيمة وكبيرة بحجم الرسالة الإلهيّة التي يؤمن بها، والتي تمتدّ مسؤولية حَمْلها لأجيال المصلحين في تاريخ الأمة والبشرية... ولكن ما أنجزه وحقّقه في حياته المباركة يُعتبر قفزة نوعية وهائلة في تاريخ الإصلاح الديني والاجتماعي...

لقد نجح في تحويل الكثير من الأفكار التي بشّر بها وتحدّث عنها إلى واقع يعيشه في سيرته العملية، وإلى برنامج قائم يحقّق النجاح، ويثبت إمكانية الإصلاح والتغيير، لتتمّ به الحجّة على جميع الطامحين والمتطلّعين نحو التجديد والإصلاح..

وإذا كنّا ندرك حجم المعاناة التي تكبّدها في مسيرة جهاده المباركة من مختلف الجهات والأطراف في الداخل والخارج، فإنّ علينا أن نتأمّل بموضوعيّة وإنصاف مدى الإنجازات العظيمة التي حقّقها..

إنّ أول إنجاز يتمثّل في صنع النموذج القدوة لعالم الدين الرسالي، والفقيه المصلح المعاصر، الذي ينطلق من أصالة الدين، وفهم واقع الحياة، وإدراك تحدّيات العصر وحمل هموم الناس...



نقرأ في النصوص الدينية من آيات القرآن وأحاديث السنّة، وروايات أئمة الهدى(ع)، عن مواصفات عالم الدين الربّاني، ومواصفات الفقيه المرجع ومسؤوليّات الداعية المبلّغ، ونجد الكثير من الأفكار والتنظيرات التي ترسم الدور المطلوب وتتحدّث عن السِّمات التي يجب أن تتوفّر فيه ولكن الجيل المعاصر كان بحاجةٍ إلى رؤية نماذج فعليّة من العلماء والفقهاء الذين يترجمون تلك النصوص والأفكار، ويحوّلونها إلى واقع في سيرتهم وسلوكهم وممارساتهم... فكان الفقيد العلامة المرجع في الطليعة من تلك النماذج المشرقة حيث صدّق قولَه فعلُه في سلوكه الشخصي وتفاعله الاجتماعي وأدائه السياسي وفتاواه الفقهية وطروحاته الفكرية..

ويتجلّى لنا الإنجاز الآخر الذي حقّقه العلامة المرجع وهو إسهامه الرئيس في خلق تيّار الوعي الرسالي المعاصر، الذي اتّسعت رقعته إلى مختلف بقاع الأمّة، حيث كان صوته الهادر وقلمه السيّال وحضوره الإعلامي وتواجده المباشر في ساحة جماهير الأمة، من خلال محراب المسجد ومنبر الخطابة ولقاءات الحوار والمشاركة في مواسم الحج وحضور المؤتمرات وتواصله المكثّف مع مختلف الفعاليات والشخصيات وعامة الناس...

وقَلَّ أن تجد عالماً له هذا المستوى من الحضور والتواصل الفكري والاجتماعي الذي استمرّ أكثر من نصف قرن من الزمن.. يستهدف خلق تيّار من الوعي في صفوف أبناء الأمة ويسعى إلى بناء جيل يحمل أهداف الرسالة وقيم الدين..

وربما ظنّ مناوئوه في الداخل والخارج أنّهم قد أحكموا الحصار حوله وأسقطوا اعتبار شخصيّته ليحجبوا ويمنعوا تفاعل الجماهير مع آرائه وأفكاره، ولكن الواقع يقول غير ذلك... فقد اتّسعت أفكاره وأعطت زخماً ودفعاً كبيراً

لحركة الإصلاح والتجديد وتركت أثراً عميقاً في ساحة الأمة وقدّمت سيرتُه تجربةً رائدة في تحدّي التخلّف والجمود...

أما الإنجاز الثالث فيتمثّل في بناء المؤسّسات الاجتماعية والتربوية والثقافية، وهي تجسّد الصدق العملي للقول والفكرة التي أطلقها العلامة المرجع في رؤيته حول المرجعيّة المؤسّسة..

وحيث تمرّ علينا الذكرى الثانية لرحيله المؤلم، وخسارة فَقْدِه الفادحة، فإنّ أحداً لا يستطيع أن يغفل حضوره المؤثّر بفكره ونهجه وعطائه الخلاّق...

تمرّ علينا هذه الذكرى، ومنطقتنا تمرّ بتحوّلات كبيرة تُنعش آمال شعوبنا بالتحرّر والخلاص من هيمنة الاستكبار العالمي ووطأة الاستبداد والفساد السياسي..

ولكن دوائر الاستكبار في الخارج ومراكز وفلول الاستبداد في الداخل، لن يتركوا المجال لشعوبنا لاستكمال مسيرة تحرّرها وخلاصها.. وسيسعَوْن لإثارة الفتن والخلافات في داخلها بإشعال الصراعات الطائفية والمذهبية، والنزاعات القبلية والمناطقية... فما أحوجنا في هذه الظروف لاستحضار رؤية وموقف العلامة المرجع في تأكيده على وحدة الأمة ونهج التعايش بين المجتمعات وحماية الاستقرار في الأوطان..

إنّ شعوب المنطقة اليوم على مفترق طرق.. إما الإصرار على بناء دولة المؤسّسات والقانون التي تنبثق من إرادة الشعب وتعتمد الديمقراطية نهجاً للحكم وتساوي بين أبناء الوطن في الحقوق والواجبات... وإما الاستمرار في أنفاق النزاعات والصراعات ومتاهات التميز والإقصاء والتهميش، وبذلك لا يتحقّق استقرار ولا تُنجز تنمية..



لقد جرّبت أوطاننا سياسة الاستبداد والتمييز الطائفي، فماذا كانت النتيجة إلا ما نعيشه من تخلُّفٍ وضياعٍ وحرمان يلفّ أوطاننا وشعوبنا رغم امتلاكها للثروات الهائلة..

إنّ العلماء والمفكّرين والنّخب الواعية في الأمّة مطالَبون اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى بأن يبشّروا بثقافة الانتماء الوطني وتأكيد مفهوم المواطنة والمشاركة السياسية التي تستوعب كلّ أبناء الأمّة..

وسلامٌ على روح فقيدنا الغالي ورحمة الله وبركاته...





# كان بحراً من العلم والروحانيّة والانفتاح

*المطران إلياس كفوري*(*)

كان سماحة السيّد شخصيّة مرموقة، وقد عُرف بهدوئه وبُعد نظره، وكانت مواقفه حكيمة جداً وآراؤه جديدة، وهو رمز الاعتدال والحكمة.

نفتقده اليوم، ونفتقد إلى أمثاله، من أجل تربية أبنائنا على المبادئ الدينيّة الأصيلة والوطنيّة الصحيحة، ولا شكّ أنّ برحيله فقدت السّاحة الإسلاميّة شخصيّة كبرى، وكذلك لبنان خسره، والمسيحيّون بصورة خاصّة، لأنّهم كانوا يجدون فيه مرجعاً صالحاً وأباً رحيماً منفتحاً.

لم يكن سماحته طائفيّاً، بل كان وطنيّاً بامتياز، ومنفتحاً على الجميع، مسلمين ومسيحيين، ومن التيّارات السياسيّة والدينيّة كافة.

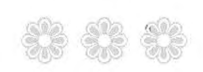
لقد ربطتنا بالسيّد فضل الله علاقة ودّ وصداقة، وعلاقة إيمان أيضاً، ونحن نرى أنّ المسيحيّين والمسلمين ديانة واحدة ما يجمعهم وما يربطهم بالخالق أكبر بكثير ممّا يفرق.

(*) متروبوليت مرجعيون وصور وصيدا للروم الأرثوذكس.

لو كان سماحته اليوم بيننا، لعمل على ردع هذه التيارات المتطرّفة التي تأتينا من هنا وهناك، وهذا الفكر المنغلق، من خلال انفتاحه وفكره السّامي الراقي الَّذي يتّصل مباشرة بالخالق، وينعكس على الناس خيراً وسلاماً ووئاماً. وفي ظلّ كلّ هذا التطرف الذي يشهده لبنان، نحن بحاجة إلى معتدلين ومنفتحين مثل سماحة السيد لمعالجة هذه المشكلة الكبرى.

لقد كان سماحته بحراً من العلم، ومن يقرأ كتبه ومقالاته يغوص في بحر عميق من الروحانيّة والانفتاح في الوقت عينه.

نطلب له الرحمة ونسأل الله العليّ القدير أن يبارك الخلف الصالح ويحمي لبنان بصلواته.





# باني الإنسان

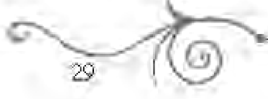
إبراهيم المصري(*)

يعود تاريخ معرفتنا بسماحة المرجع السيِّد محمد حسين فضل الله، إلى أواخر سبعينيّات القرن الماضي، حين كان التيّار الإسلاميّ في لبنان، بجناحيه السنّيّ والشيعيّ، لا يزال في بداية انطلاقته، وذلك من خلال محاضرات كان يلقيها في المنتديات العامّة. ولم تكن حركته في ذلك الوقت محكومةً بالضّوابط الأمنيّة الّتي استجدّت نتيجة محاولة الاغتيال الأميركيّة الّتي تعرَّض لها، بل كان يزورنا ونزوره، وكانت لقاءاته متتاليةً مع فقيدنا الشيخ فيصل المولوي، وكان يزوره في مكتبه أحياناً، وفي أحيانٍ كثيرة، كنّا نجلس إليه في مكتبه في الضّاحية الجنوبيّة.

وقد تعرَّفنا إلى السيّد فضل الله عند إطلاق المقاومة الإسلاميّة في لبنان، حيث كنّا نُقيم بعض المهرجانات أو الملتقيات لمناسبة استشهاد بعض الأخوة، أحياناً في الجامعة الأميركيّة في بيروت أو في مراكزنا أو باحات المساجد..

كان السيّد يُنعش في شباب الأمّة روحَ المقاومة والإحساس بالواجب بأداء المقاومة، وكان الشّباب ينشدّون إلى هذه الندوات والملتقيات، وفي بعض

(*) الأمين العام للجماعة الإسلامية في لبنان.



الأحيان، كان يأتي بعض الضّيوف الشَّباب من أقطارٍ بعيدة، من الخليج العربيّ والعراق ومصر، ويزورون لبنان، وهمّهم الأوّل الالتقاء بالسيّد محمد حسين فضل الله والتعرّف إليه، والّذي كانوا يعرفونه من خلال كلماته الّتي تصلهم عبر الأثير، ومن خلال فكره والّذي يصلهم عبر كتبه، ومقالاته الَّتي كان ينشرها في المجلات الإسلاميّة بشكلٍ مستمرّ.

لدى السيّد(رحمه الله) جوانب كثيرة في شخصيّته يتميَّز بها، لكن أودّ التركيز على عنصر مهم، وهو أنَّك عندما تجلس إليه، سواء كنت مسلماً أو مسيحيّاً، سنيّاً أو شيعيّاً، لا تشعر بأنّك تستمع إلى إنسان غريب عنك، بل بأنّك مع إنسان يخاطب فيك روحك الطيّبة، ويحاول أن يستثير الجوانب الخيّرة فيك، ليجتمع الطّرفان على المعاني المشتركة في النّفس الإنسانيَّة الخيرة.

في واقع الأمر، يصعب على الإنسان أن يقف أمام الذّكرى السّنويَّة لرحيل السيّد فضل الله، الذي يُعدّ عَلماً من أعلام الفكر الإسلاميّ، دون أن يتحسّس كلّ الجوانب الأليمة الَّتي نشعر بها جميعاً لفقدنا لهذا العَلم العلامة، الَّذي افتقدته ساحتنا الإسلاميّة بشدّة.

كان السيِّد فضل الله رجل مؤسَّسات، فكان يبني المؤسَّسة للأجيال القادمة، لا يبنيها لكي تحمل اسمه أو بصمته أو معالم مذهبه، لذلك تلاحظون الآن أنّ المؤسَّسات الَّتي بناها المرجع السيِّد محمد حسين فضل الله، لا تحمل طابعاً مذهبيّاً ولا حزبيّاً ولا شخصيّاً، وإنّما تحمل الطّابع الإسلاميّ المنفتح، وهذا ما حاول السيّد(رحمه الله) أن يبنيه، ليس في المؤسّسة فقط، وإنّما في الرّجال الّذين يديرونها.

إنَّ بناء الرّجال أهمّ من بناء الحجر، ونحن في تعرّفنا إلى السيّد، كنّا نرى الشباب الّذين ربّاهم، الذين تحمّلوا مسؤولية المؤسَّسات التي بناها وتبعاتها،

كنّا نرى السيّد فضل الله في هؤلاء الرّجال، في وجوههم، في ممارساتهم، في فكرهم، في أدائهم التربوي... لأنّ السيّد كان حريصاً على أن يبني مؤسّسة؛ مؤسّسةً للإنسان، مؤسّسة للمستقبل، وليس مهماً بعد ذلك من يتولّى ريادة هذه المؤسّسة أو قيادتها.

أقول هذا وأنا أشعر بالألم إزاء الفقد الَّذي نستشعره جميعاً بفقدنا السيّد فضل الله، لكنَّنا نجد في مؤسَّساته استمرارية النهج، كما نجد في تلامذته الطليعة الَّذين يحملون الرّاية، ويصلون بها إلى برّ الأمان.

لا يسعني في هذه الذّكرى، إلا أن أشدّ على أيدي الأخوة العاملين في المؤسَّسات التي بناها السيّد محمَّد حسين فضل الله، سواء كانت في الميدان الفكريّ أو التربويّ أو الطبيّ أو الاجتماعيّ، سائلاً الله تعالى أن يوفّق هذه النّخبة من الشَّباب لتتابع أداء الأمانة، وأن يلهمنا جميعاً الالتزام بطريق السيّد وبنهجه الّذي سلكه وانتقل إلى ربّه تعالى وهو عليه.



# الإنسان هو الأساس

حسين الحسيني(*)

فَقدُنا لسماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله يُعدّ خسارة كبيرة جداً، وقد تابعنا جهوده وجهاده منذ أواخر الستينيّات، وبعد هزيمة ١٩٦٧ التي يسمونها «النكسة» في بعض الأوساط، وهي هزيمة شنعاء حرّكت كلّ الهمم، وكانت على إثرها تطوّرات هامّة في تاريخ لبنان والمنطقة...

ربطتني بالسيد علاقة هامّة جداً، وكنت أسترشد بآرائه ورؤياه للأمور، سواء في لبنان أو في المنطقة، وما يميّز السيّد أنّه أدرك باكراً أنّ العرب والمسلمين في حالة دفاع عن النفس، وليسوا في حالة هجوم.. ولكنّ الغرب الّذي أسقط السّلطنة العثمانيّة باعتبارها دولةً دينيةً، عمد إلى إنشاء دولة عنصريّة لا حدود لعنصريّتها على أرض فلسطين، وهي إسرائيل... وبالتالي، هذا الغرب سمح بأن تصوّر الصهيونيّةُ العالمية الإسلامَ والعربَ بأنّهم في حالة هجوم على الغرب، ثمّ على الغرب المسيحيّ وبالتالي على اليهود، بينما العرب والمسلمون جميعاً هم في حالة دفاع عن النفس وعن الأرض والثروات، وفي حالة دفاع عن حريّاتهم

(*) رئيس المجلس النيابي اللبناني السابق.

وحقّهم في المشاركة في القرارات الدوليّة...

هذه الهموم تتطلّب سياسات حقيقيّة وجديّة وقيام أنظمة تراعي مبدأ قوة الشرعيّة التي تخضع للمساءلة والمحاسبة، لا أن نخضع لشرعيّة القوّة التي لا تسمح بالمساءلة أو المحاسبة... ومن هنا، اتّجه فكر السيِّد نحو منحى تحقيق حقوق المواطن وحقوق الإنسان، ليرتفع هذا الإنسان إلى مستوىً اجتماعيّ واقتصاديّ يستطيع من خلاله أن يمارس حريّته، وكان يناهض احتلال الصهاينة لأرض فلسطين، وقد شاركنا في كثير من المحطّات، في تأسيس المقاومة في وجه الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب.

وفي مرحلةٍ أخرى، كان اندلاع الحرب اللّبنانية، وحرب ١٩٧٣ التي أثبتت أنّ إسرائيل ليست القوّة التي لا تُقهر، وأعطت آمالاً هامة جداً للعرب والمسلمين في استرجاع الثّقة بأنفسهم، غير أنَّ الواقعة قوبلت بنشوب النزاعات في لبنان بدايةً، ومن ثَمَّ احتلال أرض الجنوب في العام ١٩٧٨ بعد الاجتياح المؤقّت الذي حصل في ١٦ و١٧ أيلول من العام ١٩٧٢، وكان سماحة السيد شريكاً أساسياً في تأسيس المقاومة منذ ذلك التاريخ، فضلاً عن التطوّر الذي حصل في العام ١٩٧٥، حيث محاولات زَرْعِ الفتن بين الفئات اللّبنانية، وبين اللّبنانيين والفلسطينيّين، لإنهاك هذه القوّة المناهضة لإسرائيل وإلهائها عن هدفها الأساسي...

استمرّ سماحة السيد في هذا الخطّ، وإن لم يعجب البعض في فترات محددة، علماً أن هذا الذي أشرتُ إليه حول شرعيَّة القوّة وقوّة الشرعيَّة، هو أمر أساسيّ في مسيرة سماحة السيّد، ليس فقط فيما يتعلّق بلبنان، بل حتى فيما يتعلّق بالعراق والمنطقة كلّها...

لم يكن سماحة السيد محصوراً بالشأن المحلّي فقط، فهو مع اهتمامه بالشؤون

المحليّة، كان يطّلع على الأخبار والأحداث والتطوّرات في العالم. وفي موضوع انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، كان لسماحة السيد ـ إلى جانب سماحة السيّد موسى الصّدر ـ الجهدَ الملموس في حماية كوادر المقاومة بدايةً، ومن ثم مؤازرة الثورة بكوادرها أينما كانوا.

كنت أجتمع بسماحة السيد في اللّقاءات، وقد كانت وجهات النظر متطابقة تماماً حول إقامة الدولة المدنيّة التي تكفل للمواطن حريّة الاعتقاد وممارسة معتقداته واعتناق أيّ مذهب وأيّ دِين، لا أن يُكره على قالب معيّن...

ومن الأمور المتّفق عليها مع سماحة السيِّد، أنَّ لبنان لا يستطيع أن يقوم بنظام علمانيّ أو دينيّ أو طائفيّ أو فرديّ أو عسكريّ، بل بنظام ديمقراطيّ وبرلمانيّ خصوصاً، ومن هنا كانت خطب السيّد في الفترة الأخيرة مناهضة لواقع المحاصصة الَّتي ظهرت آثار أضرارها على المجتمع اللّبناني منذ العام ٢٠٠٥ حتى الآن، حيث لا نزال نتخبّط بهذا الواقع...

لقد شملت رؤية السيِّد المسلمين والمسيحيين، ولم يكن يميّز بين طائفة وطائفة، وبين إنسان وإنسان، وهو صاحب عدة نشاطات في تبيان أنَّ الإنسان هو الأساس، وأنَّ كلّ الجهود يجب أن تنصبّ على خدمة هذا الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، دون تمييز بينهما في الحق والحقوق والواجبات...

كان سماحة العلامة المرجع السيد فضل الله(رحمه الله) يخصّني بعاطفة مميّزة، وكان يهمّه أن أستمرّ في نظريّة المسافة الطيّبة، بمعنى رفض الالتصاق الذي يمنع حريَّة الحركة وتقديم الفائدة للنَّفس وللغير، وقد كان سماحته ـ وكذلك الإمام السيّد موسى الصدر ـ يسمّيني صاحب نظريّة المسافة، لأنني لا أحبّ مسألة الالتصاق، سواء على الصعيد المحلّي أو الإقليميّ أو الدوليّ، بل أعتقد بضرورة الحفاظ على مسافة طيّبة...

كان سماحة السيِّد من أنصار هذه المسافة الطيّبة ومن الداعين إليها مع الشَّقيق والصَّديق، محليّاً وإقليميّاً. ومن هنا، كانت مسألة تأييد العلاقة المميّزة مع الشَّقيقة سوريا، ولكن مع وجود هذه المسافة الطيّبة، لأنَّ الالتصاق أنتج الكثير من الأضرار على الدّولتين، وهكذا بالنِّسبة إلى المجتمعات الأخرى والدّول الأخرى...

وفي هذه المناسبة، نستحضر كلّ آراء سماحة السيِّد، ونشدّد على الوفاء له، من خلال الاستمرار في الوفاء لرؤياه الَّتي تناسبنا وتناسب مجتمعنا...



# كان رجلاً عظيماً

سليم الحص (*)

كان سماحة السيّد يتمتّع بمكانةٍ عاليةٍ جدّاً ورفيعة بين اللّبنانيين جميعاً، وكان الجميع ينظرون إليه بعين الاحترام الشديد، وكنت أنا أحدهم، ومع الوقت تنامت العلاقة بيننا بطبيعة الحال وأصبحت مصدر محبّة واحترام متبادل.

وقد كان سماحته يتمتّع بعقلٍ راجحٍ جدّاً، ولديه أفكار وطنيّة مشهودة، كان الجميع يقدّرها له ويحترمونه عليها، ولذلك، فإنّ العلاقة كانت مبنية على هذا الواقع في كلّ جوانبه...

كان لسماحة السيّد وجود وحضور في كلّ المحطّات المهمّة، إذ لم يترك مناسبةً إلا وأدلى بموقفه منها بتصريح أو ببيان أو بأفكار معيّنة، فكان في كلّ هذه المواقف مقدّراً جداً.

لقد كان سماحة السيّد رجلاً كبيراً، وقد ملأ صيته السّاحة اللّبنانية والإسلاميّة بأكملها، لقد فرض نفسه على الجميع، فكان من الطبيعيّ ـ وقد شغلتُ موقع رئاسة الوزراء أكثر من مرّة في وجوده ـ أن تكون لي علاقة مباشرة وحميمة معه...

(*) رئيس مجلس الوزراء اللبناني الأسبق.

كان حياديّاً وموضوعيّاً عند الإدلاء بمواقفه، وكان صريحاً جداً، فلم يكن يكتم عن المستمع شيئاً ممّا يفكّر فيه، وهذه الصراحة والوضوح في الرؤيا جعلتا منه شخصيةً مميَّزة جدّاً في السّاحة اللّبنانية والإسلاميّة، وأنا أحد الذين يحترمون جداً رأيَ سماحة السيد ومواقفه، الأمر الذي جعلني أنفتح عليه، وأناقشه وأستمع إلى آرائه دائماً، وقد كان رجلاً محترماً ومقدّراً على جميع المستويات....

كان من الطَّبيعي أن يتعرض رجل بوزنه لمحاولة اغتيال، وخصوصاً أنَّ له تأثيراً كبيراً جدّاً على الرأي العام في لبنان، وقد عُرف بالصدقيّة، وهناك أناس كثيرون يصغون إليه، ويأخذون بآرائه ومواقفه ويتأثّرون به مباشرةً، الأمر جعل منه قوّة سياسيَّة هائلة.

هذا أبرز ما يميّزه فعلاً، كان مقاوماً في الدّرجة الأولى، وكان يتصدّى للعدوان الإسرائيليّ بمواقف واضحة وصريحة يطمئنّ إليها الناس ويثقون بها، ولذلك كانوا يسيرون في طريق ما يدعو إليه...

نحن نفتقده منذ أن غاب عنّا، وغيابه هذا كان مؤذياً جداً للموقف الوطنيّ، فقد كان رجلاً عظيماً وصاحب مواقف واضحة جدّاً وحاسمة، ناهيك بالصدقيَّة الكاملة التي يتمتّع بها، وأنا كنت من الَّذين يتابعون دائماً ما يقوله ويُدلي به.

كان ملتزماً بقضيَّة فلسطين بالكامل، فوقف مع الشَّعب الفلسطينيّ قلباً وقالباً من خلال كلّ مواقفه، وبالتالي، فإنَّ الشَّعب الفلسطيني يُكنّ له مودّة واحتراماً خاصاً.

إنَّ قضيَّة فلسطين هي أساساً قضيّة شعب مشرّد من أرضه ويسعى إلى العودة إليها، وسماحة السيّد كان أوّل وأكثر من يدرك ذلك، وكان يقف الموقف عينه الّذي يقفه الشعب الفلسطيني من قضيته....



# لتكن عمامة السيّد تاج مؤتمر التلاقي بين اللّبنانيين بكلّ طوائفهم

***الشيخ مالك الشعار***[*]

كلّما ادلهمّت الخطوب، وكثرت المحن، وطال ليل الأسى والحزن والألم، تذكّرت صاحب الوجه المشرق المضيء... بعقله المستنير ورؤاه الصافية وكأنّه يُمسك بزمام البوصلة السياسية في لبنان، ما شغلته جزئيّة أو حدث جانبي عن معركة الأصل، وعن الغاية المرجوّة من وجود أرباب العمائم والفكر والرأي..

رحل بجسده، نعم... ولكن ما زال لسانه ينطق ويتكلّم...

رحل بجسده... وبقي عقله وفكره...

رحل... ولم يغب عن العين أبداً...

رحل ولكن... ما زالت مدرسته جامعة، وما زالت مواقفه حاضرة...

ما زال الناس بحاجة إلى الاجتماع حول مائدته الفكريّة ورؤيته السياسيّة..

حرام أن يغيب عن الناس أنّ لبنان بلد متميّز، وأنّ لبّ تميّزه تعدّد الانتماء الفكريّ والثقافيّ والمذهبيّ والدينيّ...

---

(*) مفتي طرابلس والشمال.

وحرام أكثر أن يغيب عن الأذهان أنّ لبنان يموت إذا ضعف واحد من أجنحته..

تِلكُم هي بعض رؤاه.. وحدة البلد.. ووحدة المجتمع.. ووحدة الوطن ووحدة الأمّة...

ولذلك عاش كبيراً... ولم يُشغل بتحقيق مأرب مذهبيّ أو طائفيّ أو سياسي... لأنّ حجمه كان بحجم الرّسالة التي يدعو الناس إليها...

ميزته الأساسيّة أنّه كان صادقاً في ما يدعو الناس إليه، وما قال يوماً كلمةً قصد خلاف معناها، همّه الأساسي الوحدة التي هي صمّام الأمان الوحيد لدرء الفتنة وإطفاء نارها، وكم ينبغي أن نتحدّث عن هذا الكبير الذي تفضّل علينا بعقله ولم يأخذه معه....

وكم نحن بحاجة أن ندندن حول هذا الجوهر الإنسانيّ الذي كان يعتبر الإنسان القيمة الحقيقيّة في الحياة..

سماحة العلاّمة الجليل المجدِّد المجتهد محمد حسين فضل الله كان آية من آيات الله بلين جانبه وصدق محبّته وشدّة حرصه على أمّته وبلده.. ولم يكن صاحب لقب يُضاف إلى عقله وشخصيّته، وإنّما كان آية حقيقيّة جعلتنا نذكره بعد مماته ربّما أكثر من حياته... لأنّ الفراغ ببعده اتّسع، ولأنّ الحاجة إليه أشدّ.. لأنّ الخلاص الذي ينتظره لبنان لا بدّ وأن يمرّ عبر مدرسته الجامعة وجامعته الهادفة...

محمد حسين فضل الله... كان رمزاً للتواصل وعِلماً للوحدة والتلاقي، وكان منارة لكلّ من يُريد أن يسلك طريق المحبّة والعطاء للإنسان.

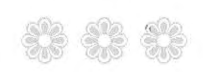
كلّ هذه المعاني تجعلنا نعتصر ألماً لغيابه ولغياب حركته وسرعة مبادرته التي كان يُتحف بها وطنه وأمّته عند كلّ خطب أو حدث..



وفي ذكرى غياب هذا الكبير... أتقدّم من اللّبنانيين عامة والمسلمين خاصة بتقديم الرّجاء أن تستوقفنا محطّات اليأس التي تمرّ بنا لتكون عمامة السيّد تاج مؤتمر التلاقي بين المسلمين مع بعضهم وبين اللّبنانيين بكلّ طوائفهم..

يرحم الله الإمام المجدِّد، ويجعل الخير والبركة في عقبه... في أبنائه النجباء الذين استحقوا لقب وشرف السيّد.. ثم جعل الخير والبركة في كلّ مؤسّساته وفي كلّ إرثه الفكريّ والثقافيّ والإعلامي... وآمل أن نستحضر ابتسامته يوم أن تمتدّ الأيادي إلى بعضها لتتصافح وتتعانق.

لكَ من الله شآبيب رحمته وأسكنك الله فسيح جنانه وجمعنا بك تحت لواء سيّدنا خاتم الأنبياء والمرسلين.. ولطف الله بالوطن والبلاد والعباد...





# مصلحٌ دينيٌّ في زمن غربة الدّين عن الحياة العامّة

الوزير محمد فنيش[*]

تعود الذكرى السنوية لرحيل آية الله السيد محمد حسين فضل الله (رضوان الله عليه) وحضوره لا يزال قويّاً لما تركه من آثار ونتاج فكريّ وثقافي.. وما قام به من دور رساليّ ريادي، وما بلغه من مكانة علميّة ودينيّة واجتماعيّة..

شأنُ آية الله الراحل شأن المصلحين الكبار الذين لا يعبرون الذاكرة فيطوي الزمن ذكراهم، بل هو حاضر دائماً في الوجدان والعقل والقلب. ومن خلال ما أسهم من نهوض ووعي وتحوّلٍ في واقع مجتمعنا وأمتنا..

سيكتب التاريخ المعاصر في صفحات مضيئة.. إسهامه الفاعل في التأسيس للصحوة الإسلاميّة والمشروع الإسلاميّ النهضوي. حيث كان سماحة السيد فضل الله ركناً بارزاً في حركة الإصلاح الدينيّ المعاصرة وتربية جيلٍ رساليّ في زمن غربة الدين عن الحياة العامة... وسيطرة الاتجاهات والنزعات الفكرية والفلسفية المادية.. وما تولّد عنها من مشاريع ومعادلات وقوى سياسية وأنظمة حكم... تميّز بسعة علومه وعمق ثقافته وأصالة فكره... فكان العالم الرباني..

(*) نائب ووزير لبناني

والمثقف المنفتح على قضايا العصر.. والمجتهد المتمكّن والجريء في تقديم آرائه وأفكاره.. جرأة العالم بمصادر التشريع.. والخبير في علوم الدين والدنيا... وكان المربّي الذي أحبَّ الناس وأحبّوه.. ووثق بقدراتهم على تغيير واقعهم وبناء مستقبلهم الأفضل... التصق بهمومهم وعاش مع الفقراء والمساكين... وأنشأ المؤسّسات لتلبية الحاجات الاجتماعية والإنسانية والتربوية.. لرفع مستوى الوعي ومعالجة أسباب التخلّف والحرمان... وبناء القدرات الذاتية في إطار رؤيةٍ متكاملةٍ لدور المؤسّسة الدينية في تحصين المجتمع وخدمة الإنسان ونشر المعرفة... وكان الأستاذ المحاضر الذي سخّر عمله لهداية الناس، فلم يتوقّف عن التعليم والعطاء من أجل وضع عمله وحصيلة تجربته ومعرفته في مشروع إعداد العالِم الديني المثقف، والرساليّ والواعي لقضايا الأمة والملتزم بأهداف الرسالة وبقي كذلك حتى آخر رمق من حياته الشريفة...

لا يتّسع المقام لإتيان ميزات وخصائص ودور الراحل الكبير... والكلمات تبقى قاصرة عن إظهار ما نكنّه له من حبٍّ ووفاء في مواقفه وفضله في مواكبة أهمّ مراحل حياتنا في لبنان وتجربتنا في لبنان.. وبلورة وعينا السياسي والتزامنا الديني.. إنّ شعورنا بالأسى والحزن لفقد هذه الشخصية الجليلة لا يعوّضه سوى ما نراه قد تحقق من إنجازات، وتقدّم ورسوخ ما حلم به وكرّس حياته من أجله... من تقديم الإسلام أنموذجاً رساليّاً حضاريّاً صالحاً لمعالجة مشكلة الإنسان والفرد. والمجتمعات البشرية في جوانبها الماديّة والروحيّة كافّة... وقادراً على مواجهة تسلّط القوى المستكبرة وصنيعتها المتمثّلة بالكيان الصهيوني... فمنذ انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران وقيام الجمهورية الإسلاميّة بقيادة الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه)... هذه الثورة التي أعطت قوّة دفع وحضور للمؤمنين بالأديان السماوية وبالإسلام عقيدة وتشريعاً ومنهج حياة..

منذ تلك الفترة والصراع يشتدّ بين القوى المتسلّطة والمستغلّة للشعوب... والمسيطرة على النظام العالمي وبين حركة المقاومة على امتداد العالم الإسلاميّ...

وبرزت المقاومة الإسلاميّة في لبنان في إطار هذا الصراع، وأثبتت قدرتها على إلحاق الهزيمة بالعدو... وتحرير الأرض... وفرض معادلة جديدة في الصراع وأجبرت الكيان الصهيوني على التراجع... وقلّصت دوره القائم على الإرهاب والعدوان، وحاصرت مشروعه وأهدافه التوسّعية وأحيت من جديد الأمل بإمكان الأمة، وقدرة الأمة على تحرير فلسطين واسترداد المقدّسات والحقوق المغصوبة، وأحدثت تحوّلاً في المفاهيم والثقافة السائدة.. كلّ ذلك بدعمٍ ومساندة من الجمهورية الإسلاميّة واتّباع لنهج قائدها. هذه الظاهرة المشرقة التي أحيت الأمل وأزالت حواجز الخوف.. وأعادت ثقة الشعوب والأمة بذاتها وقدراتها... واكب سماحة السيد فضل الله نشأتها ووفّر لها كلّ نصرته وتأييده ومساندته... فكان لمواقفه الشجاعة التي تصدّت لمشاريع تصفية المقاومة والكيد لها وإنهاء دورها بالغ الأثر في شدِّ أزر المجاهدين ورفع عزيمتهم لا سيما أثناء حرب تموز ٢٠٠٦ الإجرامية التي شُنّت على لبنان، وحشدت لها الإدارة الأميركية كلّ مؤيّديها والأتباع على امتداد العالم والمنطقة.. الانتصار المدوّي للمقاومة في لبنان ونهجها المستند والمتصل بنهج الثورة الإسلاميّة في إيران وقيادة الولي الفقيه، كان له التأثير البيّن في الحراك الشعبي الذي تشهده المجتمعات العربية والإسلاميّة... وكان له التأثير الكبير في اكتشاف الأمّة لمرارة واقعها المفروض من أنظم متخاذلة ومتواطئة مع الاحتلال.. وعاجزة عن الدفاع عن كرامة شعوبها، ومسؤولة عن هدر الثروات ومصادرة الحريات وخضوعها للسيطرة الأميركية وفشلها في تحقيق تنمية توفِّر الحدّ الأدنى من العيش الكريم،



وتحدّ من الفقر، وتؤمّن فرص العمل، وتحفظ ثروات الأمة، وتنمّي قدرتها وتعزّز حريّتها وسيادتها.. هذا الحراك اليوم الذي يمثّل في وسائله وغاياته نتاجاً لحركة الإصلاح الديني.. تتعامل معه القوى المتضرّرة والخائفة من بلوغه لأهدافه في التكامل والتفاعل والوحدة بين مكوّنات الأمّة، واستعادة دورها الحضاري والرسالي الذي ينسجم مع ثقافتها وقدراتها ويمكّنها من استعادة الحقوق المسلوبة في فلسطين وإشغال الموقع اللائق في العلاقات الدولية والنظام الدولي..

إنّنا في ذكرى الرّاحل الكبير... ندعو لاستعادة مواقفه... والاقتداء بنهجه بالانفتاح والحوار والتسامح مع الآخر من أبناء الوطن والأمة وحفظ وحدة مكوّنات مجتمعاتنا وتعزيز قدراتها والشدّة في مقاومة المعتدين والمحتلّين والتمسّك بالمقاومة ودورها والبناء على إنجازاتها باسترداد الأرض وتمكين الدولة من بسط سيادتها وحماية أمن الوطن والشعب...

سلام لروح سيدنا وأستاذنا آية الله السيد محمد حسين فضل الله، وعهداً أن نبقى في الموقع الرسالي المنفتح على قضايا الوطن والأمة والإنسان، لنكون على مستوى تطلّعات السيّد وطموحه وحلمه في تقديم النموذج الإسلاميّ الرسالي المتعدّد الأبعاد، والمتوافق مع متطلبات الانتماء الوطني والقومي والإنساني، في إطار منظومة قيم الإسلام وأحكامه ومفاهيمه...





# الوحدوي الإسلاميّ والوطني

**الأستاذ محمد السمّاك**[*]

في ذكرى غياب العلامة السيد محمد حسين فضل الله، نفتقده في قضايا كثيرة ولكنني سوف أتوقف أمام قضيّتَين أساسيّتين من قضايانا العامة... قضية الوحدة الإسلاميّة وقضية الوحدة الوطنية.. وافتقادنا له ليس افتقاداً لفكره أو لعلمه أو لاجتهاده فقط.. ولكنّه افتقاد لدوره ولعمله ولمبادراته...

ما كان السيد فقيهاً يعيش في برج عاجيّ.. كان إضافة إلى دوره الاجتهاديّ الشجاع، عاملاً على الوفاق، ساعياً إلى الخير، بانياً جسور التواصل والتلاقي.

كان يربط إيمانه بالعمل الصالح... بل كان يفهم الإيمان على أنّه العمل الصالح.. وكان في ذلك يستجيب في الواقع إلى دعوة القرآن الكريم الذي ما تحدّث عن الذين آمنوا إلاّ ربطاً بعمل الصالحات.... وعمل الصالحات لا يتمثّل فقط في إقامة المعاهد والمدارس والمآذن والمؤسّسات الاجتماعية والصحية التي تقدّم خدماتها للناس وللمجتمع، ولكنّه يتمثّل أيضاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

---

(*) الأمين العام للّجنة الوطنيّة المسيحيّة الإسلاميّة للحوار

وكان عنده الدعوة إلى الوحدة الإسلاميّة، وكان عنده التصدّي للفتنة والاقتسام نهياً عن المنكر..

كان الفقيه الكبير.. داعياً إلى الله.. ورجل الإيمان في المسجد وفي الشارع معاً... في الجامعة وفي حديقة الأطفال... في قصور الأنام كما في دور الأيتام.. كان في ذلك كلّه مؤمناً قوياً.. والمؤمن القويّ خيرٌ من المؤمن الضعيف كما قال رسول الله(ص)..

وهذا الخير التفضيليّ يتمثّل في الجرأة على قول الحقّ، وعلى ممارسة الاهتمام بتفانٍ لإصلاح الأمّة ولإصلاح ذات بينها، ومن ثَمَّ لصلاحها ولخيرها ولوحدتها..

فأن تكون مؤمناً.. ففيه الخير لك.. ولكن أن تكون مؤمناً قوياً ففيه خيرٌ لك ولقومك.. بمعنى أن تجعل من نفسك قدوة، وأن تضع نفسك في الخندق الأماميّ للدفاع عن هذا الإيمان... أي أن تكون حامل الراية ومتقدّماً الصفوف... وهو موقع يتطلّب التحصّن بدرعٍ لصدّ ضربات جهل الأعداء، وردّ طعنات ذوي القربى التي هي أشدّ مضاضة على النفس من وَقْع الحسام المهنّدِ..

وما الدّرع هنا إلا الثقة بالنفس، وبالإيمان القويّ، وبالاستعداد للتضحية بالنفس في سبيل الله، وفي سبيل ما يدعو إليه هذا الإيمان من قيم ومبادئ حقّ.. وهو ما نسمّيه في الإسلام بالإيمان الحسينيّ، أي التمسّك بالحقّ حتى الشهادة، والانتصار للحقِّ حتى الاستشهاد..

ففي اجتهاداته الفقهيّة كما في مواقفه الوفاقية، وكذلك في مبادراته التوفيقية.. مدّ السيّد الراحل جسراً بين الفكر والاجتهاد.. وجمع بين الفقه المتخصّص والثقافة العامة، واستطاع بذلك في مقاربة الهدف الأسمى، وهو تقريب



المضمون الإسلاميّ إلى الوجدان الإسلاميّ العام، وإلى ترتيب مفرداته لتركيز القاعدة الفكرية الواحدة في عالم القرن الواحد والعشرين كما كان يقول (رحمه الله)...

كان هدفه أن لا يكون هناك عدّة إسلاميّات.. بل إسلامٌ واحد لا تختلف عناوينه في خطوط الفكر والواقع، إلا ببعض التفاصيل التي لا تمسّ الخطّ العام.. وقد اعتمد في ذلك على إعادة قراءة النصوص والاجتهادات مستلهماً من التراث الإسلاميّ الغنيّ طرقاً ومسالك تقود إلى الهدف الأسمى الذي يرجوه...

ولذلك كان يردّد دائماً أنه لا يكفي أن يصل الإنسان إلى الحقيقة خلال تجربته الذاتية لأنّه من الممكن أن يكتشف شيئاً آخر في التجربة الثقافية المشتركة في ساحة الحوار، أي في ساحة احتكاك الأفكار والبحث عن الحقيقة في وجهة نظر الآخر المختلف..

وكان يرى (رحمه الله) أنّ الخطّ المذهبي يُجسِّد وجهة نظرٍ في فهم الإسلام في تجربته الثقافية... فالوحدة الإسلاميّة عنده لا تعني دعوة الإنسان ليترك مذهبه تلقائياً، بل إنّها تعني أن يلتقي المسلمون على الخطوط العقيديّة والشرعيّة للإسلام وليتحاوروا فيه.. يختلفون في التفاصيل هنا وهناك، على أساس إرجاع الأمر إلى الله ورسوله، فيما يتنازعون فيه على ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**﴾[النساء: ٥٩]..

فالتنازع هو مظهرٌ من مظاهر الاختلاف.. فلا تنازع إلا بين مختلفين، والاختلاف هو مظهرٌ من مظاهر تجلّيات الفكر.. فلا اختلاف إلاّ بين عُقلاء.. ولأنّ الاختلاف أمرٌ طبيعي في الإنسان، فلقد شاءت حكمة الله تعالى عندما دعا المؤمنين إلى الاعتصام بحبله أن يحذّرهم من التفرّق بقوله: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[آل عمران: ١٠٣].. لم يقل ولا تختلفوا.. فالاختلاف

سُنّةٌ من سنن الكون القائمة بإرادة الله والمستمرّ بمشيئته.. نحن نستطيع أن نكون موحَّدين ومختلفين ولكنّنا لا نستطيع أن نكون موحَّدين ومتفرّقين.. فالوحدة تسقط تحت معاول الهدم المتمثلة بالتفرّق.. لأنَّها تقوى باحترام الاجتهادات المختلفة..

ولقد كان علاّمتنا الراحل (رضوان الله عليه) من العلماء الذين اجتهدوا في وضع سقفٍ لهذه الاختلافات، ويتمثّل هذا السقف بالاحتكام إلى الله ورسوله لدى مواجهة أيِّ اختلاف، والاحتكام إلى الله بالقرآن الكريم والاحتكام إلى الرسول بالسنة النبوية الشريفة، هو في حدّ ذاته عمل إيماني سامٍ وراقٍ من أعمال العقل في ما يفرضه ذلك من حكمة الاستنباط والقياس.. ومن هنا أهمّية موقع العقل في الإيمان، بل من هنا القول: أنْ لا إيمان لمن لا عقل له..

كم نفتقد علاّمتنا المفكّر المؤمن السمح في هذا الوقت بالذات، حيث تذهب العصبيّات المذهبيّة إلى حدّ تكفير الآخر المختلف... والتكفير يعبِّر عن ثقافة إلغائية للمؤمن الآخر.. وهي ثقافة احتكاريّة للإيمان وفي الطريق إلى الله... وقد نهى الرسول(ص) عن العصبيّة، وعن الغلوّ، وحذّرنا في حجّة الوداع في أن لا نعود بعده كفّاراً يضرب بعضنا رقاب بعض.. وهو تأكيد لقوله(ص): «**كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**» ولكن من المحزن، ومن المخزي في الوقت ذاته، أن يتحوّل الاختلاف بين بعض المسلمين إلى خلاف.. والخلاف إلى شقاق.. والشقاق إلى صراع.. والصراع إلى استباحة للدم.. وضرب للأعناق.. ولقد كان فقيدنا الكبير أميناً على هذه الوصايا النبويّة الشريفة، ملتزماً بها وعاملاً عليها.. ولذلك نفتقده ونُحيي ذكراه افتقاداً منّا لهذه القيم ومحاولة منّا لإعادة إحيائها في العقول وفي القلوب..

وكما نفتقده في قضيّة وحدتنا الإسلاميّة، فإنّنا نفتقده أيضاً في قضيّة وحدتنا

الوطنية، ففي ضوء المتغيّرات التي تعصف في دول العالم العربي، سلباً وإيجاباً.. نبحث عن العقل الحكيم الذي يزرع الطمأنينة في النفوس القلقة والخائفة على المستقبل والمصير.. وهو الصوت الذي طالما ارتفع عالياً من على منبر مسجد الحسنين(ع) وردّدته كتبه ودراساته التي عالجت قضيّة العلاقات الإسلاميّة ـ الإسلاميّة والإسلاميّة ـ المسيحية وأصّلت لها تشريعاً وممارسةً..

ما كان للسيد أن يصمت أمام ما تعرّض له مسيحيّو العراق مثلاً.. وهم الذين دفعوا أوّلاً ثمن الاحتلال الأميركي للعراق.. ودفعوا ثانياً ثمن الصراع على السلطة بعد الاحتلال.. وما كانوا داعين للاحتلال أو مستقوين به، ولا كانوا طلاب سلطة أو جزءاً من التصارع عليها..

لقد افتقدنا بغيابه الصوت الإسلاميّ القويّ الذي يؤكّد على حرمة بيوت الله، وعلى حرمة بيوتٍ أَذِنَ الله أن يُرفع وأن يُذكر فيها اسمُه... تعرّضت للنسف والتدمير فوق رؤوس مسيحيّين مؤمنين، أو يؤكّد على حرمة دماء وأرواح مسلمين مؤمنين كانوا في طريقهم إلى الحسينيات أو المساجد أو إلى العتبات المقدّسة، قتلهم مجرمون انتحاريون بسياراتهم المفخخة..

كم نفتقده اليوم.. يقول لأهلنا مسيحيّي الشّرق.. إنّنا مسلمون ومسيحيّون لسنا أصحاب تاريخ واحد فقط، بل إنّنا أصحاب مستقبل واحد أيضاً... وإنّ الهجرة المسيحية من الشّرق، هي تهجير للروح من الشّرق.. وإنّ هذا الشّرق الذي كان دائماً إسلاميّاً مسيحياً، لن يبقى ويستمرّ إلاّ إسلاميّاً مسيحياً..

نعرف أنّ هذا القول يفرض أن يُترجَم إلى التزامات عمليّة حقوقية دستورية وقانونية.. ونعرف أنّها التزامات تحتاج إلى مرجعيّة في مستوى فقيدنا الكبير.. يشرّع لتأصيله ليصبح العمل بها ليس مجرّد واجب وطنيّ فقط.. ولكن التزاماً إيمانياً في الوقت ذاته..



من هنا.. فإنّ غيابه يجب أن لا يكون تغييباً لفكره الاجتهادي أو لمدرسته الوطنية.. إنّ الالتزام بهذا الفكر الاجتهادي المبدع، وبهذه المبادئ الوطنية النبيلة هو التزامٌ أخلاقيٌّ ودينيٌّ ووطنيّ معاً..

نستذكر اليوم العلامة السيد محمد حسين فضل الله لصون الوحدة الإسلاميّة ممّا يتهدّدها من مخاطر... ولحفظ الوحدة الوطنية ممّا تتعرّض له من انتكاسات..

نستذكره لفتح الطريق أمام المستقبل المشترك.. والمصير الواحد.. للمسلمين جميعاً... وللمسلمين والمسيحين معاً..





# كانَ إسلاماً في رحمته ومسيحيّاً في محبّته

*الوزير ناجي البستاني*(*)

قامةٌ فارعة بالإيمان والعقل.. أصالة متجذّرة وفريدة... ظلّ مؤتمناً عليها وحارساً لها حتى لحظات عمره الأخيرة... ثقافةٌ تقبُّل الآخر والاعتراف به وهَدْيِهِ إلى الحقيقة التي تنبع من الحوار وهو القائل: «علينا أنْ نحبّ الناس جميع الناس»..

حادُّ الذكاء.. غزير العلم... نضر الأدب... كثير السؤال عميق الأغوار... بعيد الرؤى متعدد الأبعاد..

فقيه مجدّد... فيلسوف مفكّر.. مترف بالأفكار المزدهرة بالمعرفة ومتنوّع القراءات والتجارب..

ترصد فيه أموراً من النادر أن ترصدها في غيره.. لا سيما مَن كان في موقع المسؤوليّة الدينية والسياسية والوطنية والقومية كما كان سماحة السيد...

حجّةٌ في الدين كما في الدنيا... كان الفقيه المجدِّد الذي أدار الحوزات الدينية... والسياسيّ المتيّم بأمور الأمّة والمهتم بأمور الفقراء والمحتاجين

---

(*) وزير لبناني سابق



والمعذّبين، والذي أقام الصروح العلميّة والجامعيّة والمؤسّسات الاجتماعيّة والصحيّة...

اجتذب إليه الشيوخ والشباب، وأعطى المرأة حقوقها ودافع عنها... رافضاً أن تكون في الدرجة الثانية في المجتمع..

كما اجتذب الشباب وخصوصاً الجامعيّ منه... فوجدوا في أجوبته خير مآل على أسئلتهم المعاصرة والمتلازمة مع الحداثة..

لم ينزل على الناس من برجٍ عاجيّ... ولم يشعروا أنّ ثمّة فارقاً بينهم وبينه... كان الأقرب إليهم وهو الذي كان يخاطبهم دوماً... أيّها الأحبة.. وهو القائل أيضاً: أنا تلميذ كلّ من أجلس إليه...

كنتَ تعرف مسبقاً وأنت تدخل إليه في قضية معيّنة أنّك سوف تحصل على جوابٍ جديد ورأيٍ سديد وحكمةٍ متعاليةٍ متسامية.. فهو يغوص دوماً في الجذور ويتعمّق في الأمور ويبحث دائماً عن الجديد والعصريّ.. لا يميل إلى التكرار المُمِلّ تحليلاً وموقفاً وقراءة، ولا يرضى بالروتين، ولا يألف التقليد، علماً أنّ مقلّديه هم بمئات الألوف المؤلّفة...

حرص كلّ الحرص على أن يقدّم الإسلام بثوبه الناصع.. وأن يتسامى في مخاطبة المحاور الغربيّة التي تجنّت ووصفته بالإرهاب، وقد استطاع أن يهزم أولئك الذين استخدموا كلّ الأساليب الإعلامية لتشويه الصورة الإسلاميّة التي كان يمثّل، والمقاومة التي أطلق، وكان يدفع عنها في كل مجالات النيل منها إلى آخر لحظات حياته..

وخير دليل في هذا السبيل ما أكّده الكاتب الأميركي فرانكلين لامب وما أعلنه الصحافي البريطاني روبرت فيسك في مقالته: فضل الله رجل عظيم والـ(سي

أن أن) أصبحت أكثر جُبناً.. وبوجه خاص ما تعرّضت له السيدة فرانسيس غاي السفيرة البريطانية في لبنان سابقاً بعد موقف جريء ومقدّر اتّخذته علناً وجهاراً.. كما تحضرني في هذا السياق كلماتٌ لكاتب سعودي يقول: «إنّه النور يرتحل عنّا والخاسرون هم الباقون في الظُلمة، وأيّ خسارة أعظم من أن يرتحل بنوره العظيم عنّا فيترك المساكين حيارى في دياجير الظلمة»..

لقد كان الرائد والمعلّم والنموذج في الحوار الإسلاميّ المسيحي... وهو المؤمن في حوار القاعدة مع القاعدة، وبوجوب انطلاقه من القاعدة، وأبلغ تعبير يتجلّى في كلمته الشهيرة: «لقد حاور الشعب اللبناني بعضه بعضاً وأخذ النتائج وبقيت فئة من رجال الدين والسياسية هم هم.. في أبراج عالية تتساءل مَنْ يحاور مَنْ، ومَنْ يجلس مع مَنْ» وكذلك في كلمة أخرى له مأثورة إذا أرادت القمة أن ترتفع، فعليها أن ترتفع إلى مستوى القاعدة..

منذ تعرّفتُ على سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله وفي كلّ زيارة إليه، كنتُ أشعر أنّني أدنو أكثر من الله، لأنّني أقترب أكثر من المسيح ومحمد... كان إسلاميّاً في رحمته ومسيحيّاً في محبّته... كان قدّيساً إسلاميّاً وشيخاً مسيحيّاً.. كان يردّد دائماً حديث علي بن أبي طالب: «**إنّما العلم لمن علم ثم عمل فوافق عَمَلُه عِلْمَه**»..

بعد سماحة السيد فضل الله تبدو الساحة فارغة تئنّ من تعطّشها للكبار الكبار، وتبكي على فراق الحكماء الحكماء.. فما أحوجنا في وطننا وفي المنطقة، ولا سيما في الأيام الدقيقة والظروف العصيبة إلى صوت العقل، هذا الذي ظلّ يزرع الأمل فينا، ويقوّي الإرادة لدينا ويدعونا إلى الحوار الإيجابي البنّاء وإلى الهروب من العصبيّات والحساسيّات التاريخية..

فما أحوجنا اليوم إلى هذه الشخصيّة الفريدة التي حاورت لا لتناور، بل لتضمّ

أجنحة الوطن إلى بعضها البعض، وإلى التطلّع بثقة ومحبّة إلى آفاق المستقبل..

وأستعير بالمناسبة قولاً للأخ الحاج هاني عبدالله وهو ابن روحيّ لسماحة العلامة.. كان يردّد فيه: «علوٌّ في الحياة وفي الممات... بحقٍّ أنت إحدى المعجزات»...



# المحلّق فوق التحجّر

د. إسماعيل سكرية[*]

بعد مرور عامين على غياب سماحة السيد العلاّمة محمد حسين فضل الله، نشعر أكثر فأكثر بغيابه.. وذلك بسبب ما نشهده من استخدام الدِّين الإسلاميّ في اتّجاهات متطرّفة، وفي اتّجاهات متحجّرة ومنكرة لباقي الأطراف...

السيد محمد حسين فضل الله هو الشكل الإسلاميّ المنفتح والحواري المتقبّل للآخر والذي يركّز على إنسانيّة الإنسان عندما يكون هناك حوار يخوضه للآخر...

السّموم التي نشهدها هذه الأيام، وخاصّة بعد ما سُمّي بالربيع العربيّ أو الحراك العربيّ، أو الثورات العربيّة، فإنّنا نفتقد لمن قدّم شكلاً إسلاميّاً بشكل كبير وواسع وإنسانيّ ومحلّق فوق التحجّر والتقوقع.. لا يلغي الآخر... وهذه هي الكلمة التي أحببت أن أقولها.. فإنّنا يوماً بعد يوم نفتقده أكثر فأكثر، عداك عن وجوده الشخصيّ وإطلالته وأسلوبه وتأثيره وحجمه.. كان السيد يشكّل مساحة من الأمان النفسي والاجتماعي والأمان في التعاطي بالشؤون الدينيّة..

(*) نائب لبناني سابق وطبيب له اهتمامات اجتماعية في مجال الدفاع عن صحّة المواطنين في لبنان.

# يعرف ما يقول ويقول ما يعرف

***الأستاذ محمد سليم العوا***[*]

سأتحدّث عن بعض الذكريات....

سماحة السيد محمد حسين فضل الله عرفتُه أول ما عرفتُه في طهران... في اجتماع سنة ١٩٨١ أو ١٩٨٢ يتعلّق بقضيّتنا المركزية الأولى الباقية حتى تُحسم لمصلحة الأمة كلها بإذن الله وهي قضية المقاومة للعدو الصهيوني والمشروع الصهيوني..

وكان هناك عددٌ كبير من علماء الأمّة الإسلاميّة في سنّتها وشيعتها... وجاء الدور لسماحة السيد فضل الله ليتحدّث.. فأيقنتُ بمجرّد سماع الجُمل الأولى من حديثه، أنّني أمام رجل كبير النفس.. عظيم الشأن... يعرف ما يقول ويقول ما يعرف... وكنت مستمتعاً بجوار شيخي وأستاذي العلاّمة الشيخ محمد الغزالي (رحمة الله عليه).. فمال عليّ برأسه وقال لي: ما هذا الكلام؟ هذا كلام كبير جداً.. فقلت له: مولانا سنستمع ونرى...

بعدها خرجنا ثلاثتنا من الجلسة... سماحة السيد (رحمه الله) وأستاذي

(*) حقوقي وباحث إسلامي مصري ومستشار رئاسة الجمهورية في مصر.

وشيخي العلاّمة محمد الغزالي، وأنا إلى المكان الذي كان يقيم فيه سماحة السيد.. حيث تغدّينا... ونشأت صلةٌ لم تنقطع قط إلى وفاته (رحمه الله)...

لا أستطيع أن أحصي فيها المرّات التي أتيت فيها إلى لبنان... ولكن ما من مرة أتيت فيها إلى لبنان، إلا وزرت سماحة السيد... أحياناً كنت آتيه لدقائق قليلة لألقي عليه السلام لانشغالنا نحن الاثنين... وأحياناً أخرى كنّا نجلس الساعات الطوال نتداول في أمر الأمّة وفي خلافات الفقهاء وفي طريق التقدّم، وكان هاجسه الذي يسيطر عليه كلّما رأيته من أول الجلسة إلى آخرها مسألة الوحدة التي تحدّث عنها إخواني المتحدّثون كلّهم من قبل..

لم يكن يتحدّث في وحدة الأمّة الإسلاميّة كمسلمين سنة وشيعة... فهذه بالنسبة إليه كانت مسلّمة... وإنّما كان يتحدّث في وحدة الأمة المقاوِمة لهذا العدو الصهيوني.. ووحدة الأمّة التي ينبغي أن يكون فكرها على نسقٍ متقارب، إن لم يكن على نسقٍ واحد...

وحدة الأمّة التي ترمي وراءها حزبيّتها وتعصّبها حتى لجماعتها الإسلاميّة..

لقد كنّا نتحدث كثيراً عن هذه الجماعات الإسلاميّة التي تملأ الدنيا عملاً، وأحياناً صياحاً وضجيجاً.. وكان رأيه أنّ التعصّب حتى للجماعة الإسلاميّة التي ينتمي إليها الناس تعصّب مرفوض... وقلت له ذات يوم يا سماحة السيد: التعصّب آفة تُعمي عن كلّ رذيلة عند الرضا... فقال لي: وتُغضي عن كلّ فضيلة عند الغضب.

أنا لا أستطيع أن أقلّد صوته الجميل... نغمته اللاّئقة، وعمق كلامه ولكنّه أتمّ لي الجملة....

هذا الرجل العظيم كان يعرف الناس الذين لم يرهم في حياته كما لو كان



يعيش معهم... يأتي ذكر رجل من الناس فيقول لي هذا الرجل: أحترمه كداعية.. لكن الفقه مهنة أخرى... يأتي ذكر آخر فيقول لي: قرأت له كتاباً في التفسير جيداً جداً، ولكنّه إذا تكلّم في المسألة الفقهية أساء ولم يُحسن لأنه لم يعرف هذه المهنة...

كنا نتحدّث بالأحاديث، والأحاديث بيننا نحن السّنة وبين إخواننا الشيعة.. كلام كثير في الأحاديث، البخاري، ومسلم، والكافي، والبحار وغيرهم... كلّما تحدّثنا عن الأحاديث يقول لي يا دكتور محمد بيننا وبين المحدّث، وبيننا وبين الرواية، وبيننا وبين الخبر سندها، إذا استقام سندها منّا ومنكم فهذا على العين والرأس.. أما إذا كان السند معوجاً فإنه لن ينعدل أبداً...

أنا تمنّيت أن أكون قد عَرَفت بهذا اللقاء لكنتُ أعددت له عدّة أقولها بين أيديكم ولكن رُبّ صدفة خير من ميعاد كما يقولون، والقدر دائماً خيرٌ من الترتيب.. سماحة السيد محمد حسين فضل الله... أتيته مرة ونحن نُعِدّ لما سُمّي بذلك الوقت المؤتمر القومي الديني.. والذي عُقد في القاهرة... وأنا أتيت رسولاً من ستة إخوان.. ثلاثة منهم مسلمون سنّة وثلاثةٌ مسلمون شيعة وستة آخرون من الإخوان القوميّين، فيهم المسلمون وفيهم المسيحيون... وحكيت له ما نريد أن نعمل.. فقال لي على بركة الله وماذا تريدون؟.. فقلت له أريد منكم تأييداً معنوياً وكلمة منكم.. فأرسل لي فعلاً كلمة ألقيتها في افتتاح المؤتمر في القاهرة... ثم بعد سنتين.. كان المؤتمر القومي الإسلاميّ وعقدناه في بيروت، وكان موقفه موقفاً هائلاً ودافع في دعمه وتأييده بمنتهى القوة..

ولما أسّسنا الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وكان الاجتماع التأسيسي في لندن سنة ٢٠٠٤ قال لي أنا ظروفي لا تسمح لي بالسفر إلى بريطانيا، ولكن ابني سماحة السيد علي سوف يأتيكم وسوف يحضر معكم الاجتماع ممثّلاً لي..

وهكذا كان.. حيث جاءنا السيد علي وألقى كلمة سماحة السيد في المؤتمر الذي حضره حوالي ٣٠٠٠ عالم مسلم من كلّ بلاد الدنيا...

الذكريات مع هذا السيد السند العظيم الشأن هائلة، ولكن المعنى الذي أريد أن أتركه بين أيديكم أننا لسنا ممّن تستغرقهم الأحزان ولا ممّن تستهلكهم الذكريات.. وإنما نحن كما قال الأُوَل:

**إذا مـاتَ مِنّا سيّدٌ قام سيّدٌ قـؤولٌ لِمَا قال الكرام فعولُ**

الفراغ الذي يشعر به أبناء السيّد ومحبّوه وأصدقاؤه وإخوانه... ليس فراغاً في الحقيقة وإنما هو الأرض الخصبة التي ستنبت سيداً وسيداً وسيداً... يحملون الرسالة ويؤدّون الأمانة ويبلّغون الكلمة.. ويعرفون شرفها... لأنّنا لا نسبح في أرض الإسلام بفراغ... ولا نقبل في أرض الدعوة الإسلاميّة بخلوّها من داعيةٍ مجتهد قادر على تنزيل الحكم الشرعي على الواقع العملي.. ولا نسمح في أرض المقاومة بأن تخلو من تنظيرها الفقهيّ وتنظيرها الدينيّ العلميّ، والقدوة والأسوة فيها التي يحملها أصحاب العمائم بقدر ما يحملها أصحاب الصواريخ والبنادق..

هذا هو الدور الذي عليكم يا محبّي سماحة آية الله محمد حسين فضل الله.. الذي على كلٍّ منّا أن يسعى في موقعه وفي مكانه إلى ما يشعر به من فراغ اجتماعي واقتصادي وسياسي وفكري وفقهي ووحدوي حتى نبلغ من هذه الدعوة ما نريد، ومن هذه الحركة الإسلاميّة المباركة ما ينبغي أن تصل إليه... وسلام على روحه في المؤمنين الصالحين والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.





# عَلَامةٌ فارقة بين المرجعيات

*الوزير غازي العريضي*(*)

تجمعنا اليوم ذكرى رجل كان سيّداً وعلاّمة وفكراً وثقافة ومعرفة وسعة اطلاع وفقهاً واجتهاداً...

وكان عَلاَمةً فارقة بين المرجعيّات... الروحيّة والفكريّة والثقافيّة والسياسيّة.. لأنّه تميّز بالأخلاق والإنسانيّة والانفتاح والتسامح والتواضع الذي غلّب عناصر هذه القوى المجتمعة في شخصيّته.. فهو الذي كلّما اجتمعت إليه استفدت منه وغرفت من عمله ومعرفته، وانجذبت إلى فكره وسعة اطّلاعه وإلى تواضعه... والتواضع كان مصدر القوّة الأكبر.. فالتواضع ليس خجلاً أو حياءً فقط وفي ذلك تهذيب كبير للنفس، وأمام الآخر وفي التعاطي مع الآخر.. ولكن التواضع كان قوّة، وهو كان حاضراً من خلال هذا التواضع بقوّة المعرفة والاحتكام على العقل... لم يكن يخشى حواراً أو لقاءً مع آخر، أو انفتاحاً على آخر أو تعاوناً مع آخر، لأنّه كان مؤمناً بقضية وكان مؤمناً بعقيدة، وكان يعرف كيف يدافع عن هذه القضيّة وكيف يعبّر عن هذا الإيمان، وكيف يتعاطى مع الآخر من خلال الإقرار

---

(*) وزير ونائب لبناني.

بحقّ الاختلاف معه وعلى قاعدة الإقرار بوجوده أولاً، وبالتالي كان مدرسة في هذا المجال.. نحن أحوج ما نكون إليه اليوم عندما نتطلّع إلى واقعنا، ونحن الذين أنجزنا الكثير الكثير بتوجيهات هذا الرجل مع رفاقه وإخوانه ومقلّديه وأقرانه من الذين دعوا إلى الوحدة الوطنيّة، وإلى المقاومة في وجه العدوّ، وإلى مقاومة الظلم والفقر والحرمان وإلى الانحياز إلى المستضعفين والفقراء وإلى الضعفاء وإلى المساكين، وإلى أصحاب الحقوق والحاجات والذين دعوا إلى دولة قويّة عادلة متماسكة تحترم أبناءها والناس فيها، وتقرّ حقوقاً وتقرّ واجبات ويلتزم الجميع بها.. هذا ما كان يدعو إليه ويفكّر فيه هذا الرجل الكبير الذي جمعتني به علاقةٌ أعتزّ بها مدى العمر..

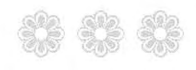
نعم، هي علاقة أخلاقيّة إنسانيّة وجدانيّة ثقافيّة سياسيّة.. كنتُ كلّما التقيت به أشعر أنّني أمام طاقة كبيرة من المعرفة، وقامة كبيرة من الأخلاق والانفتاح والتسامح.. وكنّا نستحضر رجلاً آخر تميّز بالأخلاق والمعرفة والعلم والانفتاح على ثقافات وحضارات وفلسفات.. عنيتُ الشهيد الكبير كمال جنبلاط.. فكم كنت أشعر بالاعتزاز أنّني في حضرة رجل، سلاحه العلم والمعرفة والثقافة، واحتكامه إلى العقل، وتستحضر معه رجلاً يماثله فكراً وثقافة وعلماً.. هذا هو لبنان وهذا ما نحتاج إليه في لبنان من الرجال الكبار الأقوياء بعقلهم وعلمهم ومعرفتهم وثقافتهم، لا بخطاباتهم المتشنّجة ولا بكلامهم القاسي والمستفز، ولا بالاستقواء والاستعلاء والاستكبار والادعاء وحقن الناس وشحن النفوس بالضغينة والأحقاد وكلّ أشكال الاتهام والتخوين والضغينة... هذا هو السيد الغائب الحاضر ينادينا جميعاً: «الحقد موتٌ والمحبّة حياة»... فلا حقد بين بعضنا البعض كلبنانيين، لا خطاب حقد ولا ممارسة أحقاد، ولا نفوس حاقدة، ولا عقول حاقدة، ولا نفوس سوداء، ولا عقول سوداء... نحن بحاجة إلى الحكماء



والعقلاء والكبار في مواقعنا السياسيّة والفكريّة والروحيّة والاجتماعيّة، لنحفظ وحدة الوطن وإنجازات الوطن... فقد حقّقنا إنجازات كبيرة وعلى رأسها إنجاز المقاومة التي هي كرامة الأمة وقوّة الأمّة...

هذا الرجل الكبير.. عاش كبيراً وعاش قويّاً، وعاش حاضراً ومؤثّراً وفاعلاً، وله الكثير الكثير من المقلّدين الذي يلتزمون بإشارة منه.. وكان محاوراً ومنفتحاً على الآخر... لذلك تعالوا إلى حوارٍ مفتوح بين بعضنا البعض... هكذا نحمي لبنان ونحمي الإنجازات، ونكون أوفياء لمسيرة الكبار، وعلى رأسهم هذا السيد الكبير الذي نتوجّه إليه بتحية الإكبار والمحبة والتقدير، وإلى نجله الأخ العزيز السيد علي وكلّ أبنائه ومحبّيه، بالتأكيد إنّنا نعتزّ بمسيرته وهو حاضر في مؤسّساته الكثيرة.. مؤسّسات الخير والمبرّات والإحسان والانحياز إلى الناس وهو حاضرٌ في تلك الدعوة المستمرّة المفتوحة التي نرى شعاراتها أمامنا...

سلامٌ عليك أيّها السيّد الراحل الكبير والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته...





# فضل الله.. أعذب كلمة تجسّدت

الشّيخ حسين المصطفى(*)

حين أترك دفّة سفينتي، أرتعش في نشوة آلامي..

وحين أغوص في الأشكال، ستحرق أوتار يدي ورجلي، حتّى تصير إلى رماد..

سنتان تفصلني عن جسدك..

وسنتان تفصلني عن حضورك..

وروحك لم تنفصل عنّا..

ما زالت روحك في كلماتك، وفي أنغام ترانيمك، وفي محراب صلاتك..

لا أستطيع أن أتحسّس أوتار المعزف..

فابدأ بموسيقاك..

ودعني أنسى فيها الألم..

إنّ قدميّ واهنتان من عبء قلبي..

(*) من علماء الدين في المنطقة الشرقية في السعودية.

ولتتسلّل في أوتار تتنزّل من نجومك، فتحيل البرعم إلى زهرة..

بعض النّاس يمضي في سبيله.. وبعضهم يتمهّل..

بعض النّاس حرّ.. وبعضهم مقيّد..

فالعالم لم يكن ليصدّقك وأنت تصرخ..

ولن يكذّبك وأنت تتجلّى بصدقك وكلماتك..

فطالما ـ سيدي ـ تحمّلت شوك وردك.. لتنثر فينا شوق عطرك..

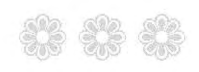
ففي ذكرى السّنتين..

تنفجّر الحروف في ضباب مستديم من العذوبة المبهمة..

وتنساب روحك عذبةً لتوقظها..

فأوّل حياتك رشفة..

وأوّل آخرتك رعشة..



# تراث سماحته ذخر للإنسانيّة يجب أن يحفظه المسلمون

*الشيخ غسان الحلبي*(*)

في هذه المناسبة العزيزة الّتي نستذكر فيها شخصيّةً كبيرةً، ليس فقط على صعيد لبنان، وإنّما على صعيد العالم، نشعر بالغبطة إذ كنّا في زمن شهد كلمات سماحة السيّد فضل الله وأقواله وخطبه.

كان السيّد فضل الله دائم النشاط الفكريّ، وعلاّمة كبيراً، وقد كنّا نشعر بقيمته عندما نقرأ له ونتابع ما يصدر عنه من كتبٍ وفتاوى، وكذلك في المناسبات الّتي كنّا نستمع فيها إليه، أكان في مناسبات ثقافيّة، أم عند استضافته في مؤسّسة العرفان التوحيديّة في الشّوف، حيث ألقى محاضرةً قيّمة جداً.

كان السيّد فضل الله ذا عقل واسع، يتناول الأمور الدينيّة، ليس فقط من المنظور العقائديّ البحت، ولكن من منظور الإنسانيّة الشّاملة ومنظور الثّقافة الشّاملة. أمّا كتاباته والمقاربة الّتي استخدمها، فكانت مقاربةً زاخرةً في البُعد الثقافيّ والحضاريّ لفهم الإسلام، كان ينظر إلى الإسلام ويتعامل معه في ظلّ الرّؤية الحضاريّة، انطلاقاً مما قدّمته الحضارة الإسلاميّة في الماضي، وما يمكن أن تقدّمه في المستقبل، وكانت هذه ميزته الكبرى، كان فكره في حركة دائمة،

(*) مستشار شيخ عقل طائفة الموحدين الدروز في لبنان.

ليس من خلال المبادئ والأصول الواردة في النّصوص الكريمة والتّراث الزّاخر فحسب، وإنما كان هذا الفكر في جدل إيجابيّ مع الواقع ومشكلاته، من أجل الوصول إلى رؤية متقدّمة قائمة على الأصول، وهذه الأمور يحرص كلّ العلماء المتمرّسين في الأصول الدينيَّة عليها، ولكن أيضاً في رؤية واضحة وجليّة ومتقدّمة للمستقبل، وكان دائم الحرص على أن تكون هذه الرّؤية للمستقبل خاضعةً للمكان الحضاريّ العام في المكان الجامع لمختلف المقاربات الإنسانيّة للموضوع.

هذا الانفتاح وهذه الجدليّة وهذا التطلّع إلى المستقبل، جعلت الكثير من أفكاره ورؤاه تأخذ حيّزاً متقدّماً جدّاً في السّاحة الإسلاميّة وفي السّاحة الإنسانيَّة عند من يتابعه، وقد كان شديد الحرص على أن تنظر هذه الحركيّة إلى المستقبل الواعد نظرة أمل وإنسانيّة.

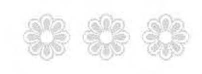
يشكّل تراث سماحته ذخراً للإنسانيّة يجب أن يحفظه المسلمون، ومن المؤسف القول إنّ في فمنا ماءً، ذلك أنّنا لا نستطيع الحديث بكلّ صراحة، في ظلّ وقوع بعض رجال الدّين ضمن أطرٍ ضيّقة بالمعنى الفكريّ، والاستخدام السياسيّ الضيّق، ولا أقول الإسلام والسياسة، فهذا أمر متجانس، ولكنّنا نفتقد إلى فسحته العظيمة، وإلى رؤياه الواسعة المنفتحة الّتي يمكن أن تتفاعل فيها إنسانيّاً، الرّؤية الّتي يمكن أن نتناقش فيها وتتحدَّث بها مختلف الطوائف، وهذا له أهميّة كبرى في لبنان أوّلاً، وفي العالم الإسلاميّ ثانياً.

هذه الشخصيّات العظيمة نفتقد إليها في هذه الأيّام، بالطّبع لا يخلو الأمر من وجود أفاضل، ولكن نفتقد برحيل هذا الرّجل العظيم اتّساع رؤياه.

إنَّ استلهام فكر السيّد فضل الله يكون بالعودة إلى رسالته ومعاني رسالته بإخلاص وصدق، وبالفهم الصّحيح لها كما يجب أن نفهمه وفقاً لما أراده هو،

وليس وفقاً لما نريده نحن أو فلان، لغرض استخدامات ومصالح ضيّقة، ما يشوّه رسالة هذا الرّجل العظيم المنفتح الّذي فتح الآفاق للفكر وللعلوم.

ترك هذا الرّجل مؤسّسات عظيمة وإرثاً عظيماً في المجالات كافّة، وينبغي العودة إلى رسالته بإخلاص لاستثمارها، ليس في المجال الإسلاميّ فحسب، بل في المجال الفكريّ الإنسانيّ بمعناه العريض الواسع، لأنّه يخدم لبنان ويخدم الحضارة الإنسانيَّة في الوقت نفسه.





# في آفاق المرجعيّة الرساليّة

*السيد عصام أحميدان*(*)

تَحِلُّ الذكرى السنويّة الثانية لرحيل العلاّمة المرجع السيد محمّد حسين فضل الله(رض)، وعالَمُنا العربيّ والإسلاميّ يدخل مرحلةً عصيبةً من تاريخه المعاصر، فمنطق الصّراع الداخليّ بين أبناء الوطن الواحد والأمّة الواحدة هو العنوان الأبرز للمشهد اليومي، ولا لغة اليوم أكثر انتشاراً من لغة الطائفيّة، ولا نزعةٌ مهيمنة أكبر من نزعة التكفير والتخوين والاقتتال.

إنّ المرحلة التي تلت رحيل سماحة السيد(رض) استثنائية بكلِّ المقاييس، ويدرك الكثيرُ منّا اليوم القيمة الفعليّة لمرجعيّةٍ رساليّةٍ كتلك التي جسّدها سماحة السيد(رض)، إذ كان حاضناً لآمال المستضعفين، والمخفّف لآلام المعذّبين، والكاسر لجبروت المستكبرين، والجابر لِما انكسر من عزّة المؤمنين.

إنْ كان لا بدّ من وَصْفِ مرجعيّة سماحة السيد(رض)، فلا وَصْفَ أبلغُ مِن وَصْفِها بـ«المرجعيّة الرساليّة»، فمفهوم «الرساليّة» لازمٌ لخطاب السيّد(رض) في كلِّ حديث، فاعتبر في بعض حديثه أنّ «الرساليّين هم الأقدر على فَهْمِ

(*) عالم دين من المغرب العربي.

القرآن، لأنَّ القرآن ليس كتابَ فلسفة وتجريد، بل كتابُ حركة وحياة»، وحيث إنّ الرساليّين هم الحركيّون في فَهْم وتمثّل الإسلام، فَهُم الأقدر على فهم القرآن، واعتبر في بعض حديثه الآخر أنّ «الراحة حرام على الرساليّين»، وانطلاقاً من كَوْنِهِ مرجعاً «رساليّاً» فقد قال أيضاً «لقد حرَّمتُ الراحة على نفسي»، وهو تفريعٌ من تحريمه الرّاحة على عموم الرساليّين..

لقد تحدَّث سماحة السيد(رض) في بعض كلماته ضمن كتابه «خطوات على طريق الإسلام» عن سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله كحركة رساليّة، تماماً كما تحدّث في بعضِ حديثه عن سمات المجتمع الرساليّ في فترة الإمام الصادق(ع)، بل إنّ الموقع الإلكتروني الرسمي «بيّنات» الذي عبّر عنه ولا يزال يعرِّف نفسه بأنّه «موقعٌ رساليّ تابع لسماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله»..

من هذا المنطلق، يمكن القول إنّ مفهوم «الرساليّة» شكَّل المفهوم المركزي في خطاب وحركة سماحة السيد(رض)، تماماً كما كان مفهوم «الخطّ» أساسيّاً في كلِّ كلماته وعباراته، حيث إنَّ سماحة السيد(رض) كان ينظر إلى حركة التاريخ نظرةَ استخلاص للدروس والعِبَر، ويعتبر أنّنا لا يجب أن نتجمَّد عند حدود الوقائع التاريخيّة، بل أن نطلق في مدى حركة التاريخ والمستقبل ضمن حركة خطٍّ تاريخيٍّ يشكِّل فيه أنبياءُ الله وأئمّة أهل البيت والقادة المصلِحون رموزاً للخطِّ الرساليّ، كما ينبغي النظر إلى الشخصيّات المنحرفة لا بوصفها شخصيّات تاريخية أو عابرة في واقعنا، بل بوصفها تعبيراً عن خطٍّ تاريخيّ متجدّد.

لقد مثَّل السيد(رض) فكراً وحركةً ومنهجاً ضمانةً قويّةً للوحدة الإسلاميّة والوطنيّة، كما مثَّل جسر المحبّة بين الأديان السماوية والثقافات الإنسانيّة، والأب العطوف على اليتامى والمساكين، والناصر لحقوق المرأة واليافعين، غير

أنّه في جانبٍ آخرَ مثَّل الخطاب المتمسّك بالقوّة والعزّة في مواجهة المنحرفين عقائدياً، والمستكبرين سياسيّاً، والفاسدين اقتصادياً.. تماماً كما وصف الله تعالى الجماعة المسلمة: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾[الفتح: ٢٩]، ومصداقاً أيضاً لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[المائدة: ٥٤].

إنَّ المرجعيّة الرساليّة للسيد(رض)، كانت تعمل على الدوام، من أجل حِفْظِ التوازن في وعي الأمّة وروحها، إمساكاً بالوسطيّة في الفكر والحركة والمنهج، في كلِّ المفردات: الرِّفق والعنف، السرِّ والعَلَن، الوطن والأمّة، العِرْفان والجهاد، الدين والمذهب، القرآن والسُّنَّة، العقل والنقل، الفقه والواقع.. وهو في ذلك يؤكّد على الوسطيّة التي كرّسها أئمة أهل البيت(ع)، فهذا أمير المؤمنين علي(ع) يقول في نهج البلاغة: «**فاليمين والشّمال مضلّة، والطريق الوسطى هي الجادّة، عليها باقي الكتاب وآثار النبوّة، ومنها مَنْفَذُ السُّنَّة، وإليها مصير العاقبة، هلك مَنْ ادّعى وخاب مَن افترى**». «نهج البلاغة، ص ٤٢».

ممّا لا شكّ فيه، أنّ الحاجة إلى مرجعيّة رساليّة تُعيد التوازن لواقعنا الإسلاميّ تتأكّد يوماً بعد يوم، كما أنّ الفترة التي نعيشها اليوم هي فترة صعود الحركات الإسلاميّة إلى الحكم، لتقف الحركة الإسلاميّة اليوم في موقفٍ صعبٍ وموقع أصعب، علماً أنّ المتربّصين بها الدوائر ينتظرون فَشَلَها وسقوطها، كي يتمّ القضاء على زخمها الشعبيّ ويبرّروا عودة الفساد والاستبداد، ويورّطوها في حفظ مصالحهم وأمن كيانهم الغاصب.. وقد شكّل الفكر الحركيّ لسماحة السيد(رض) الحاضنَ لهموم الإسلاميّين بمختلف مذاهبهم، والمرشد لهم في

كلِّ حركة تثبيتاً لأقدامهم من الاهتزاز في حركتَيْ الموقف والموقع.. تماماً كما كان جدُّه أمير المؤمنين علي(ع) معلِّماً معاوناً في مرحلة الخلفاء، بِغَضِّ النظر عن موقفه من شرعيّة الخلافة، وتعلّقاً فقط بأهداف رساليّة عُليا، تسمو فوق كلّ الحسابات الشخصيّة، والمنطق الفئوي الضيّق.

في ظلِّ غياب المرجعيّة الرساليّة ورحيلها، تزداد مسؤوليّة مؤسّسة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله(رض) في حفظ الخطِّ واستمراريّته، وفاءً للعهد والتزاماً بالوصيّة، كما أنّ مسؤولية محبِّي السيد(رض) ومقلّديه في أنحاء العالم لا تقلّ أهمّية عن تلك التي على عاتق المؤسّسة، لذلك لا بدّ من تقوية الامتداد الشعبي لخطِّ السيد(رض) ومَأْسَسته بطريقة توزّع الأدوار على امتداد الخطّ ضمن وحدة الهدف العام، تجسيداً لمقولة «معاً نكمل المسيرة».

وحيث إنَّ سماحة السيّد(رض) كان يؤكّد دوماً على ضرورة أن نفكّر بحجم العالم، وأن نتحرّك في الواقع بأدوات الواقع، كما أنّ الهمّ «المؤسَّسي» كان همّاً ملازِماً لفكر سماحة السيد(رض) وخاصّة في موضوع «المرجعيّة المؤسّسة»، وانطلاقاً من خصوصيّة المرحلة التاريخيّة التي تعيشها أمّتنا العربية والإسلاميّة، وجسامة الرهانات والتحدّيات، فإنّني أقترح أن تكون الذكرى السنويّة الثانية لرحيل سماحة السيّد(رض) مناسبة للتفكير في صيغ عمليّة لبناءِ حركة ثقافيّة إسلاميّة عالميّة، تنخرط فيها كلُّ الفعاليّات الثقافيّة والكوادر الرساليّة من مقلّدي ومحبّي السيد(رض) في كلِّ البلدان، لتجسيد الإطار المتكامل في مستوى الدور مع مؤسّسة السيد(رض) في بيروت، على أن تكون تلك الحركة تحت إشرافها، وأن تكون إطاراً منفتحاً على الحركات الإسلاميّة والمرأة والشباب في عالمنا الإسلاميّ، وهو ما سيُعطي لمؤسسة السيد(رض) القوة والزخم والامتداد، ويضمن لها الاستمرارية في عملها ضماناً لحفظ الخطّ والعهد والوصية.



# أيّها السيّد الحاضر، غبت فازددت حضوراً...

*الشيخ بهاء الدين سلام*(*)

سنتان مرّتا على غياب السيِّد صاحب الوجه البشوش، والعقل الراجح، والفكر النيِّر واللِّسان الصادق، والأعمال الصالحة. سنتان، ولا زال علمه، كما فقهه واجتهاده وموقفه، واضحاً جليّاً مؤثِّراً وسيّداً كما كان صاحبه، ولذا فسماحته الغائب الحاضر دوماً، ويا ليتنا في ذكرى رحيله، لا أقول نستذكر، وإنما نعمل على نشر الوعي الَّذي أضاء به طريق الكثيرين، ونعمّم الاجتهاد الَّذي خَلُصَ إليه، ونؤمن، نعم نؤمن بروح الوحدة التي كانت أساساً وهدفاً سامياً في منهجه.

و«نا» يا ليتنا، تخاطب المُعمَّمين من كلِّ الألوان، والدّعاة من كلّ الأطياف، والمشايخ من كلّ الفئات، لتسأل بكلّ وضوح: أما آن لكم أن تعودوا إلى رشدكم؟!

إنَّ كلام السيد قد أنذركم منذ زمن بأنَّ الشّعوب لن تسكت ولن ترضخ ولن تسامح من يسيء إلى تاريخها وحاضرها ومستقبلها، فكيف بمن يسيء إلى كرامتها!

---

(*) عالم دين لبناني

لقد خاطبكم السيد مرةّ فقال: «إنَّ أمراء السياسة يراهنون على جهلكم، ويراهنون على أنَّه ليس عندكم وقت للتفكير فيما يقولون، أو فيما يحدث من حولكم، إنَّنا لا نريد أن نكون حَمَلة شعارات، نريد أن نكون حَمَلة رسالات»، فهل سألنا أنفسنا مرة: حَمَلة ماذا نحن؟

إنّنا ننادي بالوحدة ونعمل ضدّها!

نطالب بالعدل ونُصِرُّ على الظلم!

ننشد العلم وننشر الجهل!

نسعى للحوار ونرفض الآخر!

نقول أخوة ونتصرّف كالأعداء!

إنَّ المسلم الحقّ هو من كان سيّداً في أخلاقه، وسيّداً في مواقفه، وسيّداً في معاملاته، وسيّداً في تصرّفاته، تماماً كما كان السيّد في حياته.

في ذكرى رحيل السيِّد محمَّد حسين فضل الله نستذكر جميعاً كيف أنَّ هذا البلد كان محور كلّ اهتماماته بكلّ مَنْ فيه، ونكرّرها بألف نعم «بكلّ مَنْ فيه»، فهو من أنشأ المؤسَّسات، وأقام المدارس، وشيَّد المستشفيات، ونشر العلم في لبنان ولكلّ لبنان ثم قال: «نحن عندما نعيش همّ الوحدة، لا نعيشه همّاً يتمركز حول قضيّة دون أخرى، وإنَّما نعيشه هماً إنسانياً بامتياز، همّاً يتناول قضيّة الإنسان في الصميم»... وهو مَنْ خاطب المسلمين، كلّ المسلمين في لبنان، فقال: «كونوا المسلمين السنّة والمسلمين الشيعة، لأنّكم إذا أغفلتم انتماءكم للإسلام، فإنّكم تؤكّدون المذهب على حساب الإسلام».

كذلك، هو مَنْ أطلق صرخة التَّحذير في وجه من يفترض أن يكونوا حرّاس الفضيلة في هذا البلد، فقال: «إذا كنّا نقتنع بالوحدة الإسلاميّة علينا أن ننزل إلى

القاعدة، وربّما تنطلق القاعدة التي ربّيناها على الحقد لترمينا بالحجارة، ولنعتبر هذه الحجارة وساماً، لأنّ الذي يرجمك هو التخلّف وليس الوعي، فالتخلّف هو الذي رجم الأنبياء في التاريخ».

إنَّ الحضور القوي للسيّد محمَّد حسين فضل الله في ذكرى رحيله، يؤكّد أنَّ الكبراء لا يرحلون وإن غابت أجسادهم، إنّه حضور يثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ أنَّ الفقيه والعالم والمجدّد ليس بالألقاب ولا بالمناصب ولا بالمراكز ولا بالسّلطة ولا بالدّعم السياسيّ أو المادي، وإنّما هو بالعمل الصّادق والقلب الصافي والنيّة الطّاهرة.

في ذكرى رحيل السيّد، نعلنها صراحة وليسمعها الجميع في كلّ أرجاء الوطن أينما كانوا: إنَّ رحيل العلامة السيّد محمد حسين فضل الله يؤكّد بما لا يقبل النقاش، أنّ سماحته هو الغائب الحاضر الَّذي لا يزال بيننا بعلمه وبعمله ومبرّاته ومؤسّساته وإرثه الفكري وذريّته العاملة الصّادقة.

وفي ذكرى رحيله نقول له:

أيّها السيّد الحاضر، غِبْتَ فازدَدْتَ حضوراً... وغيرك حضروا فتأكَّد غيابهم.





# كان مستقبلياً يعيش في الحاضر

عصام نعمان(*)

كان سماحة السيِّد محمَّد حسين فضل الله(ره) عالماً مميّزاً ملتزماً بقضايا أمَّته وشعبه، أطلّ من موقعه الدينيّ ليؤكّد أنّ الدِّين في خدمة الناس، ولا ينبغي أن يكون النّاس أسرى لطقوس الدِّين فحسب، وهو في نظرته إلى قضايا الناس لم يكن فئوياً، بل قدّم حلولاً وطنية.

عاش سماحة السيّد في الحاضر وكان ينظر إلى المستقبل، ولم يكن يعيش في قوالب الماضي، بل كان مستقبليّاً يعيش في الحاضر من أجل أن يعالج قضايا الحاضر، ليمكّن الناس من مواجهة قضايا المستقبل بجدارة، فلا يكونون أسرى الماضي وتعقيداته.

كان سماحة السيِّد مع النّاس ولكلّ النّاس، لذلك افتقده الناس جميعاً وتطلّعوا إلى أن تنجب مدرسته في الفقه والحياة علماء مثله، يعملون لخدمة الناس والقيم العليا، ويكملون رسالته الوطنيّة والإنسانيّة.

(*) نائب ووزير لبناني سابق.

## حَفظَ المرأة ـ الإنسان... أتى «الربيع» يدميها

د. ليلى نقولا الرحباني(*)

لم تكن مقاومة ظلم المرأة في المجتمع الإسلاميّ بالنسبة للسيّد محمد حسين فضل الله ترفاً فكريّاً، أو نوعاً من التباين مع الفكر السّائد لإظهار الذات، بل كانت خياراً عقلانيّاً إيمانيّاً بناءً على حاجة وضرورة للدفاع عن قيم الإسلام الصحيح، وردّة فعل ضدّ ظلم وتشويه الإسلام، وحقّ المرأة ـ الإنسان المهدور باسم الدين. ومن البديهي القول بأنّ رجلاً يمتلك فكراً ووعياً وعقلاً راجحاً كما يملك السيد محمد حسين فضل الله، كان ومن منطلق إيمانيّ صحيح، قد حسم خياره بالدّفاع عن الكرامة الكيانية للإنسان والسّير في معركة إخراج الدين من التصوّرات الإنسانية المشوّهة، التي جعلته في كثير من المحاور مليئاً بالخرافات والأساطير وبأساليب مختلفة للحطّ من قدر الإنسان وكرامته، وجعله أداةً لعبودية الإنسان للإنسان من خلال تعاليم وقيم متخلّفة أُلصقت بالدين، وهو بريء منها.

لقد رأى السيد أنّ الجهل والحرمان والتناحر الاجتماعي وحرمان المرأة ـ أي نصف المجتمع ـ من حقوقها الأساسيّة واعتبارها من قِبل البعض، وكأنّها

(*) أستاذة جامعية.

أَمَةٌ أو جارية للخدمة في المنزل، هي آفات تهدّد المجتمع في بنيانه وقوّته، وتحرم المجتمع من السَّير بطاقاته الكاملة بل تجعله مجتمعاً أعرج يسير بساق واحدة، ممّا يؤدّي الى تخلّفه وجهله. لقد وجد أنّ الموروثات الثقافيّة الحاطّة من شأن المرأة تنتشر في مجتمعاتنا أفقيّاً وعاموديّاً متخطّية الحواجز الدينيّة والطائفيّة والاقتصاديّة، ومنتشرة في الأمثال الشعبيّة المتوارثة عبر الأجيال. فمن المثل الشعبي «المرأة مثل السّجادة من مرّة لمرّة بدها تنفيض»، نجد السيّدات المعنّفات في مختلف الطّبقات الاجتماعيّة وبغضّ النظر عن انتمائهنّ الدينيّ أو الطائفيّ أو المذهبي، كما يذهب بعض الأزواج ـ بغضّ النظر عن مستواهم التعليميّ والفكريّ والماديّ ـ إلى اعتبار عقد الزواج، عقد عبوديّة وقّعته المرأة أو مَن ينوب عنها، أو عقداً بموجبه اشترى الرجل من المرأة عقلَها وقلبَها وعملَها وجُهدَها وفكرها وجسدها، ولم يعد بإمكانها استرجاع أيٍّ منها أو استرجاع قدرة التحكّم فيها.

وهكذا، حسم السيّد قراره واعتمد المواجهة ومقاومة واقع مركّب من صور الظّلم والعدوان على كرامة الإنسان وبالأخصّ كرامة المرأة، فكان خياره بمقاومة الموروثات الثقافيّة الحاطّة من قيمة ذلك الإنسان الأضعف بنيويّاً، ومجابهة الكثير من تقاليد «الجاهلية» التي جعلتها في كثير من الأحيان، عبداً أو على الأقل إنساناً أقلّ شأناً من الرّجل، وهو ما يناقض الإسلام الصحيح، وما جاءت به تعاليم النبيّ محمد.

تمثّل السيّد فضل الله قولَ رسولِ الله: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان**». وإذا أردنا أن نعطي تفسيراً حقيقيّاً للمعروف والمنكر، فالمعروف لا ينحصر بالصّلاة والصّوم والحجّ وغيرها من العبادات وأعمال الخير، بل يمكن أن يتّسع لكلّ عدل وحقٍّ في



الحياة، والمنكر لا ينحصر بشرب الخمر وأكل مال اليتيم وغيرها من المحرّمات، بل هو يتّسع لكلّ الظّلم والباطل في الحياة. وإذا عرفنا أنّ العلم والعدل هما أعلى أنواع المعروف، وأنّ التخلّف والجهل والظلم هي أشدّ أنواع المنكر، فالمؤمنات ـ كما المؤمنون ـ مدعوَّات إلى التحرك في خطّ العلم والثقافة وفي خطِّ العدل، وللتحرّك ضدّ خطّ الظّلم والجهل والتخلّف والانحراف.

انطلق السيّد فضل الله في مسيرته لإعلاء شأن المرأة معتمداً مبدأَيْ «التوعية الاجتماعية والبناء العقائدي» من أجل شرح الإسلام الصحيح، فدعا إلى نصرة الحقّ والدفاع عن المظلوم، ولم يكتفِ بالموقف الشخصيّ بل إنّه ومن مسؤوليّته الشرعيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة والإنسانيّة، حضّ الناس على نصرة الحقّ والدّفاع عن المظلوم ودعاهم لمواجهة الظّالم، أيّاً يكن هذا الظّالم سواء كان عدوّاً مغتصباً للحقوق، أو حاكماً مستبدّاً جائراً، أو مجرّد زوج يظلم زوجته وبناته في المنزل ويحرمهنّ من حقوقهنّ الأساسيّة.

وهكذا، كان للسيّد، صديق المرأة العربيّة والمسلمة ورافع شأنها، الكثير من الفتاوى التي أكّدت على هذا الدّور الذي أناطه بها الإسلام، والتي كان لكثير من الغلاة انتقادات عليها، فكان أهمّها أنّ «قوامة الرجل على المرأة لا تعني سيادته عليها» و«تكريس حقّ المرأة كإنسان في الدفاع عن نفسها إذا اعتدى عليها زوجها». لقد انطلق السيد في الفتوى الأخيرة من منطلق أنّ القرآن يقرّ بالمساواة في الكرامة الإنسانيّة بين الرجل والمرأة، ويعطي الإنسان الحقّ في الدّفاع عن نفسه إذا اعتُدي عليه ظلماً، ومنحه حقّ مقاومة المعتدي، لذا يكون من حقّ المرأة المظلومة كإنسان أن تدافع عن نفسها ضدّ الظالم المعتدي وحتى لو كان زوجها، وهو إنسان مثلها وهي ليست عبدة له أو أَمَة لديه.

لم يُرِد الإسلام للمرأة أن تنكفئ بعيداً عن حركة المجتمع والإطار السياسيّ

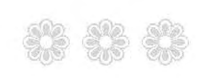
والاجتماعيّ العام، فالمجتمع يحتاج إلى جميع الطّاقات، ويحتاج إلى طاقة كلٍّ من المرأة والرجل، ويفرض على المرأة أن تنمّي طاقاتها كما يفرض على الرجل ذلك. وهكذا عندما يواجه المجتمع تحدّيات كبرى ويشهد انحرافاً ما، سواء كان انحرافاً في الحكم أو في السياسة وغيرها، لا بدّ من أن يكون للمرأة دور في مواجهة الانحراف، بكلّ ما لديها من طاقات وقدرات، وإلا اعتُبرت مُخلّة بواجباتها التي دعاها إليها القرآن، وهذا ما أراد السيّد محمد حسين فضل الله، أن يثبّته وأن يؤكّده في جميع خطبه وفتاواه بخصوص المرأة.

طيلة حياته، عاش السيد فضل الله همّ الأمّة، وهو يراها تسير في التخلّف والجهل، وتنحرف عمّا أوصاها به النبيّ محمد، خاصّة بشأن التعامل مع المرأة المسلمة. فما كان سيقول السيّد فضل الله اليوم وهو يرى الفتاوى المشينة بحقّ المرأة تطفو على وسائل إعلامية معدّة للفتنة والتجهيل، وماذا كان سيفعل لو شاهد الأمّة تسير في نفق من الظلاميّة والتكفير والجهل والتعصّب وحجب المرأة وإعادتها الى ثقافة جاهليّة، أسموه زوراً «ربيعاً عربيّاً»؟.

هل سنجد في هذه الأمّة مجدِّداً رجالاً تعتمد سلطانَ العقل، وتدرك كما أدرك السيّد قبلهم أنّ الدين أتى لخدمة إنسانٍ جعله الله القيمة الأسمى على الأرض وليس العكس، أو بالتحديد كما أتى في عبارة السيد المسيح للفريسيّين حين لاموه لأنه قام بمعجزة شفاء يوم السّبت، فوبّخهم قائلاً «السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت»، أي إنّ كرامة الإنسان هي الأهم والأسمى، وإنّ القانون والشريعة والدين كلّها خُلقت من أجل الإنسان، مخالفًا بذلك المفهوم اليهوديّ التقليديّ الذي يقوم على المظاهر الخارجيّة والطقوس وقشور الدّين، ومؤكّداً أنّ الإيمان الحقيقي هو ذلك النابع من القلب والذي يحترم كرامة كلّ إنسان بما هو خليفة الله وصنيعته.



بحسب فهمنا، وكما لمسنا من فكر السيّد فضل الله، يريد الله رحمةً لا ذبيحة، يريد قلوباً لا عروشاً، يريد محبّة وسلاماً لا اقتتالاً وحقداً وفتنة بين المؤمنين، يريد مؤمنينَ طاهري القلوب لا منافقين يُبطنون الكفر ويدّعون الإيمان. إنّ ما يحصل اليوم، يشير إلى أنّ البعض يريد للعرب أن يسيروا في التاريخ في مسارٍ تراجعيٍّ يسير بهم بسرعة الى العصر الجاهليّ وعصور ما قبل الإسلام، فهل من فكرٍ نيّرٍ في هذه الأمّة كفكر السيّد فضل الله يقف في وجه هذا المسار التأخيريّ، ويعيد للأمّة ذلك الفهم لصورة الله ومراده؟





# محمد حسين فضل الله
# شجاعة الفكر والقول والعمل

*الشيخ علي حسن غلوم*(*)

بعيداً عن الغوص في دهاليز التنظير والبحث الفلسفيّ حول موقع الشّجاعة من منظومة الأخلاق عند الإنسان، عاش الفقيه المجدّد والمفكّر المبدع السيد محمد حسين فضل الله «رضوان الله عليه» الشجاعةَ فكراً فاعلاً بعمق، وقولاً حاسماً ببلاغة، وموقفاً حاضراً بقوّة، سواء في مواجهة التعاطي السياسيّ الظالم للشعوب المقهورة، أو في مواجهة العدوان الاستكباريّ والصهيونيّ على الأمّة الإسلاميّة، أو في مواجهة الفكر اللادينيّ أو المنحرف أو المتخلّف، أو في الاجتهاد الفقهيّ والأصولي استنباطاً وتشخيصاً موضوعياً وإفتاءً.

قال المتنبي:

| | |
|---|---|
| الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعان | هو أوّلٌ وهي المحلّ الثاني |
| فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةً | بلغت من العلياءِ كلَّ مكانِ |
| ولرّبما طَعَنَ الفتى أقرانَه | بالرأي قبل تطاعُنِ الأقرانِ |

(*) عالم دين من الكويت

## منطلقات شجاعته

وانطلقت شجاعة «السيد» عن وعي لأهمّية هذا العنصر في تركيبة الشّخصية الرساليّة بما يمكّنها من أداء دورها لا في حالات الرخاء فقط، بل أن تتجلّى كلمة الحقّ وينبلج الموقف الحاسم عند الشدّة دون تردّد أو تلكّؤ قد يلجأ إليه البعض بذريعة التوقّف عند الشُّبهات، أو الهروب من الفتنة، أو الخوف على المصلحة العامّة، وما إلى ذلك من عناوين تُزخرَف بها مواقفُ النكوص عن تأدية الواجب، أو التخلّي عن مسؤوليّة «القائد» تُجاه قواعده حين تلتفّ السّاق بالسّاق، أو الرضا بالجهل بالموضوع هرباً من تشخيص التكليف.

كتب «رضوان الله عليه» ضمن حديثه عن أمير المؤمنين(ع): «كان كلّ شيء في شخصيته(ع) في خدمة الله، وهكذا كان سيفُه وبطولتُه وشجاعتُه، لا في خدمة الذات، وإنّما في خدمة الله. لم تكن الشّجاعة والبطولة عنده حالة ذاتيّة، ولم يكن السلاح مُلْكاً شخصيّاً له، فهو يعتبر ذلك مُلْكاً لله، لهذا كان لا يحرّك سلاحه إلاّ في المواقع التي يريد الله منه أن يحرّك سلاحه فيها، كان ينتظر أمر الله وينتظر المعركة التي يشعر أنّ الله يرضى بها، ولا يسمح لنفسه أن يدخل في أيّة معركة يمكن أن لا تكون في رضا الله، أو يمكن أن تُسيء إلى الإسلام». وبمثل هذه الرؤية لشجاعة علي(ع) انطلق «السيد» في حياته ليكون الشجاع لا في خدمة الذات، وإنّما في خدمة الله.

وكتب في أهمّية توافر عنصر الشجاعة في مَن يقود المسلمين من الفقهاء فكراً وعملاً: «يُشترط في المجتهد المتصدّي للقضاء أو للقيادة العامة جميع ما ذكر للمرجع المُفتي من شروط ما عدا الأعلميّة.. إضافةً إلى ذلك يُشترط في الفقيه المتصدّي للقيادة العامّة أمران: الأوّل، الشّجاعة المعنوية المتمثّلة في الجرأة والثبات على الموقف. الثاني، المعرفة بشؤون زمانه وعصره بالنحو الذي

يساعده على الأداء السياسيّ الحكيم والإدارة الرشيدة». وهكذا عرفناه (رضوان الله عليه).

## شجاعة حقيقية

كما كان «السيّد» يُدرك تمام الإدراك المعنى الحقيقيّ للشّجاعة وانعكاساتها على الإنسان، وأنّها ليست مجرّد ادّعاءات تتبخّر عند الشدائد، بل هي كما عُرِّفت تمثّل: «الإقدام على المكاره و المهالك عند الحاجة إلى ذلك، و ثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت».. وليس الموت الجسدي وحده هو التحدّي الذي يقابل الثبات، بل قد يكون التهديد بالموت المعنويّ الذي يبقى معه الإنسان حيّاً جسداً، إلاّ أنّه يفقد حرّية التفكير وحرّية الكلمة وحرّية الموقف، ليكون خاضعاً لهذا الشخص أو لتلك الجهة خضوعاً ذليلاً.

وقد كان «السيّد» بحقٍّ الفقيه والمفكّر والسياسيّ والقائد الشّجاع الذي لم يَهَبْ موت الجسد، كما لم يَهَبْ كلَّ التهديدات بالقتل المعنويّ التي وجِّهت إليه وسُعي لتحقيقها بأخبث الوسائل، وهو ما كرّره في أكثر من موقف: «هذا ما أتحدّث به دائماً. ولهذا، في كلّ مسيرتي لن أجامل أحداً.. قلت لهم عندما تروني لا أمثّل قناعاتي، فلن أكون موجوداً.. لن أجامل الخرافيّين.. لن أجامل المتخلّفين».. وغير ذلك من كلماته التي ترجمها على أرض الواقع، بل وطالب الآخرين بأن يعالجوا مشكلة التردّد والخوف عندهم كي يكونوا بمستوى المسؤولية، ومثال ذلك ما جاء في كلمته التي ألقاها في حفل إفطار النبطية ـ مجمع الرحمة عام ١٤٢٥هـ: «لنكن مقاومةً في الفكر تواجه كلَّ الظالمين والمستكبرين، مقاومةً تحاول أن تنتج عناصر القوّة من داخل الأمّة، تنتج عناصر القوّة حتى نتواصى بالحقّ فلا يسقط الحقّ بيننا، ونتواصى بالصبر فلا نسقط أمام

الجزع. تعجبني كلمة قالها رسول الله(ص) عندما أرسل شخصاً ورجع يُجبّن أصحابه ويجبّنونه في وقعة خيبر، وأرسل شخصاً ثانياً ورجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه، قال: «**لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبّه اللهُ ورسولُه كرّاراً غير فرّار**» لنكن هذا الرجل، حتى نشجِّع أصحابنا ويشجّعونا. ولنتحدّث عن الشجاعة ولا نتحدّث عن الضعف».

## قالوا في شجاعته

هذه الحقيقة ـ أعني الشّجاعة في الفكر والقول والعمل ـ أدركَها بوضوح كلُّ مَن صاحَب «السيد» أو تعامَل معه أو تتلمذ على يديه أو درس شخصيّته وسيرته، وبذلك نطقت أقلامهم وهم يكتبون عنه في حياته وبعد وفاته، وهذه نبذ من تلك الشهادات:

ـ كتب السيد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الفلسطينية معزّياً بوفاة «السيد»: «لقد كان الفقيد العزيز قامة من قامات الأمة الكبيرة والمتميّزة بعِلمه وفضله، واعتداله ووسطيّته وتسامحه وانفتاحه على الآخرين، فضلاً عن مواقفه الأصيلة الشّجاعة تجاه قضايا الأمة، وخاصّة تجاه قضيّة فلسطين والصراع العربي الصهيوني، حيث كان رحمه الله من أكبر الرموز والعلماء المدافعين عن خيار المقاومة والجهاد ضد الاحتلال، والمؤيدين للنضال الفلسطيني وحق شعبنا في الحرية والتحرر والتحرير».

ـ وكتب السيد إبراهيم الأمين رئيس تحرير جريدة الأخبار اللبنانية: «السيّد محمد حسين فضل الله شخصيّة إسلاميّة نادرة جداً في عالم الضّياع الكبير للواقع الإسلاميّ والعربيّ بوجه الخصوص، وتتميّز هذه الشّخصيّة بالانفتاح العقليّ. العالم العربيّ بحاجةٍ إلى شخصيّة تعيش الواقع بانفتاح، وبذلك نستطيع

أن نغيّر الواقع السيّئ إلى واقع أفضل. ولكن لديّ شكّ كبير بأن يكون لدى علماء الدّين تلك الشّجاعة والجرأة التي يتميّز بها السيّد محمّد حسين فضل الله».

ـ وكتب علي البغدادي عام ١٤٢٥هـ مقالة تحت عنوان: «فضل الله ـ مرجعية الانفتاح وملامسة الواقع»: «مرجعيّة لم نجدها تعمل بالتقيّة يوماً، بل ديدنها الشجاعة والصراحة والتحدّي لا تأخذها في الله لومة لائم. مرجعيّة حاربها الكثيرون وبكلِّ الوسائل والسبل فزادتها تلك الحرب تصميماً وثباتاً. مرجعيّة يسجّل لها التأريخ بأحرف من نور موقفها بالأمس دفاعاً عن عاصمة التشيّع النجف الأشرف بما تعنيه النجف من قدسيّة واحترام. مرجعيّة أطلقت صرختها محذّرة من المساس بمقدّساتنا في وقتٍ صمتت فيه معظم المرجعيات وتلاشت عن الأنظار. هذه هي مرجعيّة آية الله السيد محمد حسين فضل الله، المرجعيّة التي نريد في زمن الصمت والسكوت والهروب زمن الضعف والهوان».

ـ وكتب سماحة الشيخ حيدر حبّ الله بعد رحيله: «قد نجد عالماً أو مفكّراً يعيش الفكر في رحابته وخصائصه وعمقه ودقّته، لكن من الصّعب أن نجد مثل هذا ونجد معه حركيّته وفاعليّته في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة... إنّ ممارسة العمل السياسيّ والاجتماعيّ، وتكوين مرجعيّة التّواصل والحضور، لا مرجعيّة الغيبة والاختفاء، لهو امتيازٌ حقيقيٌّ يعطي العلم والفقه في الحياة حضوراً حقيقيّاً، كما يعطي الحياة ومتطلّباتها حضورها في العلم نفسه، فتُحدِث الحياة وعياً حركيّاً للنّصوص، ويتمّ اكتشاف العلاقة الجدليّة الحقيقيّة بين النصّ والواقع. إنّ الاجتهاد نفسه هذه المرّة يتّخذ المزيد من عناصر السّلامة، وإنْ كان هذا الطّريق محفوفاً بمخاطر الإسقاط، عنيتُ الإسقاط على النّصّ. لقد طرح الفكر الشّيعيّ منذ الستّينيات فكرةَ إضافة شروط جديدة لمرجع التقليد أو إمام المسلمين، وحذفَ شروطٍ سابقة. كان شرطُ الشّجاعة حاضراً بقوّة في أدبيّات الإسلام

الثوريّ؛ لأنّهم ما عادوا يطيقون المرجع السّاكت الصّامت الخائف الوَجِل تحت اسم الاحتياط أو غيره».

## شجاعته في مواجهة العدو

لم يهب «السيد» كلّ محاولات الاغتيال والصواريخ والمتفجّرات التي استهدفته شخصيّاً، وراح ضحيّتها المئات من الأبرياء، واشتركت فيها دول استكباريّة وَجِهات استخباريّة عديدة كانت ترى فيه الأب الروحي لكلّ العمل الإسلاميّ المقاوم، فأرادت أن تسكت ذلك الصوت، ولكنّهم لم يعرفوا مَن هو محمّد حسين فضل الله.. حسبوا أنّ رصاصتهم (التي إن لم تصب ستُدْوش) وتُزعج وتُفقد «السيد» توازنه، ليقبع بعدها في زاوية حجرته، مفضِّلاً الدور التقليدي للمرجعيّة، (فالباب الذي يأتي منه الريح سدّه واسترح).. ولكن كيدهم عاد إلى نحورهم، و في كلِّ مرة ينطلق «السيد» من جديد في ميدان المواجهة مع العدو كجدّه حيدرة(ع) أسداً هصوراً ازداد قوّة إلى قوّته، وعزيمة إلى عزيمته. وهكذا أثبت شجاعته في الميدان حين أصرّ على البقاء في الضاحية في مسجد (الحسنين) إبان العدوان الصهيوني على لبنان عام ٢٠٠٦، والصواريخ تنهمر ليل نهار، والعمائر السكنية تنهار الواحدة تلو الأخرى بصواريخ تخرق الأرض عمقاً بعد أن تدمّر ما حولها. ومَنْ عرف «السيد» منذ أمدٍ بعيد يعرف فيه تلك الشجاعة التي جعلته يعيش في منطقة (النبعة)، والتي تقع جغرافياً على تخوم مناطق من طوائف أخرى تختلف عنها بالعقيدة والتقاليد ومستوى المعيشة. وعن تلك الأيام يقول «السيد» في لقاء أجرته معه مجلة (الأفكار) عام ٢٠٠٦: «وهكذا بقيت في النبعة إلى ما بعد سقوطها عام ١٩٧٦، وقد تعرّضت لأكثر من خطر هناك، وكنت أنتقل من زاوية إلى زاوية في البيت الذي أسكنه، حتى إنّني كنت أكتب بعض مؤلفاتي في ضوء الشموع. وأذكر في هذا المجال أنّني بعد سقوط

النبعة وخروجي منها إلى الضاحية، كنت قادماً من إيران في العام ١٩٨٢م، وفي الطريق بين البقاع وبيروت، تعرّضت للخطف، وكنت مع أحد مرافقي وأحد أولادي.. ومن ثم عشت في الضاحية أثناء الحصار الإسرائيلي عام ١٩٨٢، وكنّا نعيش في الملاجىء وفي ظلّ أوضاع صعبة، خصوصاً في منطقة بئر العبد، ومع ذلك، كنت لا أترك المسجد وكنت أصلّي مع الناس.. كنت في الغبيري على كتف الحرش، وأُطلِقَ صاروخ على بيتي وتجاوز غرفة نومي.. ومن ثم انتقلنا إلى بئر العبد، وواجهنا متفجّرة بئر العبد التي دبّرتها المخابرات الأميركية حسب مذكرات «وليم كايسي»، والتي كانت في ذلك الوقت بالتنسيق مع بعض الجهات العربية واللبنانية. كما أنّني تعرّضت لأكثر من محاولة اغتيال آنذاك، خصوصاً من البعث العراقي، وعشتُ في ما بعد فترة الخطر أيام حملة «تصفية الحساب»، وعناقيد الغضب، عام ١٩٩٣ و١٩٩٦، ومع ذلك ظلّت علاقتي مع الناس كما هي، وبقي التواصل معهم، ولم أخرج من بيروت في كلِّ هذه المراحل».

## شجاعته في الموقف السياسي

عاش «السيد» في لبنان، ذلك البلد الذي لم يذق طعم الراحة منذ أمد بعيد، في أجواء الحرب الأهلية، وفي الاحتلال الصهيوني، وفي كلِّ النزاعات الطائفية والحزبية، وفي التدخّلات الإقليمية، وفي كلِّ الخروقات الأمنية وأجواء الصراع، عاش «السيد» في عمق الحدث، فكانت تحليلاته الدقيقة تسبق الحدث، وكانت توجيهاته الأبويّة تفرض احترامها على القريب والبعيد، لا يداهن في ما يقول، ولا يجامل على حساب المصلحة العامة، ولذا، عرف الجميعُ في موقفه السياسي: الإخلاص والصدق والبصيرة.. والشّجاعة. كما أنّه لم يؤطّر نفسه في حدود لبنان، بل كانت حركته السياسية فكراً وتفاعلاً وإحاطةً وتربيةً وتوجيهاً ذات شمولية واسعة، فقصدته الوفود الدولية والشخصيّات من ذوي الاهتمام

السياسي لينهلوا من عطائه الذي لا يعرف المجاملة السياسية. وأحسبه وهو يتحدّث عن شجاعة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) السياسية، ينطلق من إدراكه العميق لمعنى ذلك وأهميّته ومصاديقه، ومِن تمثُّل ذلك في شخصيّته هو، قال: (لقد كان الإمام الخميني (قده) عرفانياً ومؤمناً بحركته الإسلاميّة، وكان يرى أنّها تكليفه الشرعي تماماً كما الصلاة والصوم، ولذلك كان يريد أن يوصل المسألة إلى حافة الهاوية، ولم تكن ثمة مشكلة في أن يتجاوز الحافة، ولذا فإنَّ هذه العناصر التي تمثّل عمق وعيه لمسؤوليته وتكليفه الشرعي، كانت السبب في شجاعته وصلابته في المواقف، بحيث كان لا يحسب حساباً للاحتمالات السلبيّة التي يفكّر فيها السياسيّون عادة، وكان لا يوافق على أنصاف الحلول، كما كان لصلابة شخصيّته في عناصرها الذاتية التي انضّمت إلى كلِّ ذلك، الدور الكبير في شجاعته السياسيّة التي انطلق فيها متوكّلاً على الله ومستمدّاً القوّة منه، على طريقة قول المولى تعالى للنبي (ص) ﴿**إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[التوبة: ٤٠]، ومن دلائل شجاعته (قده) أنّه كان يثق بالشعب، وإنّي لأتذكره في أحد خطاباته وقد اجتمع لديه أركان الدولة كلها حيث قال: «كل ما عندنا من الله، وإذا كان هناك شيء فهو من الأمة، وليس لي شيء في ذلك»، فالإمام (قده) كان يؤمن بالشعب ويؤمن بطهارته وإخلاصه وإيمانه، وربّما كان يعتقد أنّ سلبيات الشعب قد تكون منطلقة من نقاط الضعف في القيادة من جهة، ومن الواقع المحيط من جهة أخرى، لكنّه رأى من خلال حركته كيف وقف الشعب معه، ولذلك فإنّه لم يفقد ثقته به، وكان لا يحمّله المسؤوليّة عن أيّ إخفاق، إنّما كان يحملها للذين وقفوا ضد الثورة ممن لا يمثّلون الأكثرية الشعبية، سواء الذين هم في مراكز القيادة أو بعض الأحزاب والتجمّعات وغيرها). إنّها في ذات الوقت الذي تمثّل فيه وصفاً للإمام الخميني بكلمات «السيد»، إنّما تمثّل وصفاً لواقع حال «السيد» في شجاعته السياسية.

## شجاعته في الرأي العلمي

تجلّت شجاعته العلميّة في المجال الفقهيّ والتفسيري والعَقَدي والتاريخي وغيرها، وقد عبّر عن ذلك بنفسه (رضوان الله عليه) حين حاورته جريدة الرأي العام عام ٢٠٠٣ حول فتواه في الاستنساخ فقال: (لـم يكن عندي خوفٌ من المعارضة للرأي، لأنَّني أعتقد أنَّ على الإنسان أن يقول كلمته بغضّ النظر عن ردود الفعل، طالما هو يؤمن بأنَّ كلمته تمثِّل الحقيقة، على الأقل من وجهة نظري، وقد قلت إنَّني لا أدّعي العصمة لنفسي، ولكن هذا ما انتهيت إليه في أبحاثي. وإذا كانت هناك أيّة وجهة نظر أخرى، فأنا مستعدّ لأن أدخل في الحوار معها. فإذا اكتشفت الخطأ فإنَّ لديّ الشجاعة للتراجع عن رأيي. أمّا قضيّة الخوف من الأخطار المستقبلية، فإنَّني لـم أُطلق الرأي بشكلٍ مطلق، وإنَّما أطلقته مع التحفّظات. ما يعني أنَّ أمامنا الكثير من الدراسات للسلبيّات والإيجابيّات لتتابع إعطاء الفتوى، سواء بالطريقة السلبيّة أو الإيجابيّة، فالأمر مرتبط بنتائج الدراسات).. شجاعة في إطلاق الفتوى، وشجاعة في الحوار، وشجاعة في التراجع إن قام الدليل على وقوع الخطأ.. شجاعة تترجمت إلى الإفتاء بما قام عليه الدليل ولو خالف فتاوى الفقهاء على مدى قرون.. وشجاعة قلّلت كثيراً من (الاحتياط الوجوبي) غير المبرَّر الذي يعقّد المكلّفين.. وشجاعة دفعت للأخذ بالمعطيات العلميّة اليقينية في التشخيص الموضوعي لكبرويات المسائل الفقهية ولم تكتفِ بفرض (إن كان كذا فكذا، وإن لم يكن فلا)، فقدّمت للناس الفتوى عن علم ودراية وتشخيص خارجي للمسألة.. شجاعة علميّة في مواجهة ردود الفعل العنيفة من أقرب الناس، وبكلّ الكلمات (المضلِّلة والمضلَّلة) التي تراكمت بحجم الجبال فلم يأبه بها، وتحوّلت عنده إلى هباء منثور.

إنّ هذه الأسطر القليلة لا تكفي لسرد المواقف الكثيرة التي ترجم من خلالها



(رضوان الله عليه) عنصر الشجاعة في شخصيّته إلى واقع على مستوى الفكر والقول والعمل، فضلاً عن تقديم دراسة متكاملة فيها.. عذرٌ لا أحسبه يغفر لنا عند فقيدنا الغالي تقصيرنا في دراسة شخصيّة عظيمة قلّ أن ينجب الدهر مثلها.





# نفتقدك

**_الشيخ ماهر حمود_**[*]

بعض العلماء وبعض الزعماء ينزلون إلى مستوى الجمهور ويحافظون عليه، وبذلك يكون عملهم تابعاً للجمهور، وليس صانعاً للرأي العام ولا صانعاً للحقيقة..

أمّا العلماء أو القادة الحقيقيّون، فإنّهم يحاولون أن يرفعوا الجمهور إلى مستواهم، وأن يأخذوا الرّأي العام إلى حيث ينبغي، وإن كانت هذه ـ ولا يخفى على أحد ـ مهمّة شاقّة، وليست سهلة ولا متيسّرة في العاديّين من النّاس، ولكن من أمثال الرّاحل الكبير السّيد محمّد حسين فضل الله فهذه صفته..

لم يرضَ لنفسه أن يكون تابعاً للرّأي العام وللجمهور... ولعامّة النّاس... ولم يرضَ لهذه الآفة الكبيرة الّتي تسيء إلى الإسلام والمسلمين أن تبقى موجودة... عنينا بهذه الآفة أن يكون العاميّ والأميّ أحياناً أقوى تأثيراً من العالِم ومن النافذ، ومن صاحب الرأي..

هكذا قد ألخّص ما انتهت إليه حياة سماحة السّيد الذي تمّت محاصرته حصاراً

---

(*) عالم دين لبناني



غير لائق في تاريخ علمه وعمره... وقد عانى بذلك ـ كما لا يخفى على أحد ـ ولكن عاد الجميع بطريقة متدرّجة ومرحليّة للتّراجع عن هذا الظلم، وبدأوا ينظرون إلى الحسنات الطّويلة على مدى عقود من الزّمن، ويتجاوزون السّيئات ـ التي بنظرهم سيئات ـ لينظروا إلى الموضوع من منظورٍ أوسع وأعمّ، وأكثر قرباً إلى الحقيقة..

قد يكون سماحة السّيد أيضاً من هذا النفر من العلماء الّذين لم تظهر قيمتهم في التّاريخ، إلّا بعد وفاتهم بعقود من الزّمن..

بين أيدينا فتاوى أو أقوال لعلماء كبار في وقتهم تعرّضوا للشّتيمة وللحصار وللإهانة بل وللقتل... وأصبحت كتاباتهم ومراجعهم ومواقفهم نبراس الحقيقة، والأساس في كلِّ ما نحن عليه من فَهْمٍ للإسلام...

وإذا أردتُ أن أعمّم فهذا ليس خاصّاً بساحة من السّاحات.. بل هذا الإمام الشافعيّ الذي هو ركنٌ ركين من علماء المذهب السّني، أو علماء المسلمين في حياته القصيرة عمراً ومدّة، والطويلة علماً ونبراساً تعرّض لاتهامات، فاتُّهم بالتّشيع لأنّه كان يُكثر من ذكر أهل البيت... حتّى اضطرّ أن يدافع عن نفسه بالبيت المشهور.. وإذا دققنا بلهجته للاحظنا أنَّه في حالة دفاع عن النفس..

**إنْ كان رفضاً حبّ آل محمّــد      فليشهد الثقــلان أنّي رافضي**

وقوله أيضاً:

**برئت إلى المهيمن من أناسٍ      يــرون الرفض حبّاً فاطمياً**

وله من ذلك ما لا يخفى... والعديد من الأبيات... ثم نرى في بعض المراجع ـ قد لا يكون في كلّ المراجع التاريخية ـ ولكن في بعض المراجع المهمّة الّذين يؤكّدون أنّ الإمام الشّافعي قُتل بضربة على رأسه من متعصّب مالكيّ.. وظلّ ينزف من جرحه حتّى مات منه...



أمّا الإمام أبو حنيفة فلا يخفى أنّه دعم ثورتين لآل البيت... ثورة (زيد) وثورة شقيقه.. وهي ثورة ضدّ الأمويّين، وثورة ضدّ العباسيين، ولم يكن معياره في ذلك أنّ هذا سنّي وهذا شيعي... بل كان معياره الأقرب إلى العدالة والأقرب إلى الحق..

ولا يخفى على أحد أنّه أيضاً توفّي في بيته محجوراً عليه من قبل العباسيّين، لأنّه رفض تولّي القضاء حتّى لا يكون لهم غطاءً شرعياً.. ولا يخفى على أحد أين أثر أبو العباس السّفاح مثلاً، أو أبو جعفر المنصور من أثر أبي حنيفة الذي انتشر مذهبُه في كلّ أصقاع العالم الإسلاميّ... وقد يكون أكثر الأئمة أتباعاً في أنحاء المعمورة كلّها..

وهناك الإمام النّسائيّ المحدّث المعروف الذي طُلب منه أن يكتب كتاباً في فضائل معاوية، فكتب في فضائل عليّ وقُتِل لذلك.. ولعلّ المثل الذي لا يُذكر كثيراً هو مثل العزّ بن عبد السلام. هذا العالم المغمور نسبيّاً الّذي كان حقيقةً هو خلف انتصار «عين جالوت».. هذا الانتصار الذي غيّر مجرى التاريخ وبدّل الموازين وأصبح التّتار في مرحلة الدّفاع عن النّفس، بعد أن كانوا في مرحلة هجوم وبعد أن اجتاحوا العالم الإسلاميّ من بغداد إلى منتصف فلسطين.. هذا العالِم الذي حرّض المماليك وأتى «بقطز» أميراً وأفهمه ماذا يفعل، وحدّد له كيفيّة الحصول على المال الذي يموّل به الحملة ضدّ التّتار.. ورفض أن يبدأ السّلطان الجديد حملة تمويل المعركة لمقاتلة التّتار، وجمع التّبرعات قبل أن يبيع الأمير كلّ ما في قصوره من ذهب وزخارف وتحف، ثمّ بعد ذلك يتمّ ذلك بالتّبرّعات.. هذا الرجل الكبير الذي لُقّب بسلطان العلماء في وقته والذي كان فريدَ عصره كان قبل ذلك قد عاش في دمشق ولخلاف على أمرٍ ـ للأسف ـ لا يزال موضع فتنة بين المسلمين وهو موضوع الصفات وتفسير قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى**

الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ضُرب وسُجن واضطرّ أن يهاجر سرّاً بعد ذلك، من دمشق إلى القاهرة.. فكان بطلَ الأمّة وكان يعاني في نفس الوقت من المتعصّبين الذين اضطرّوه أن يغادر دمشق..

هذا نموذجٌ بسيط من علماء لم يكتشف الناس قدرَهم في حياتهم.. ثمّ انتبهوا بعد ذلك بقرونٍ أحياناً إلى أهمّيتهم ومواقفهم وفتاواهم ونظرتهم إلى الحياة...

كُنّا نتمنّى لسماحة السيد رحمه الله.. أن يفهمه الناس... لأنّ الأمور التي تركها لو تمّت الاستجابة لها لقلنا إنّها تقطع نصف الطريق ـ أو حتّى لا نبالغ ـ ربع الطّريق إلى تقارب المسلمين.. أو ـ بالحدّ الأدنى ـ تزيل عقبات رئيسيّة من التّفاهم على محطّات رئيسيّة بين المسلمين كمقدّمة للتّوافق..ولكن لم يتسنّ له ذلك.. مع أنّه استعمل العقل والمنطق والحجّة والبرهان..

بعد مرور سنَتين على وفاته.. ونحن على عتبة فتنة سنَية شيعيَة يُحضّر لها بطريقة خبيثة.. حيث يظهر البسطاء، أو المغرّر بهم، من أوساط المتعلّمين ممّن يسمّون علماء دين.. وهم مستعدّون لكلّ فتنة ومستعدّون لأن يقدّموا للعدو الذي يخطّط لهذه الفتنة.. فرس الرّهان.. أو أفرسة رهان... رابحة وأن يسير هؤلاء في ركب تزوير الإسلام حيث يصبح الشّيعي بالنّسبة إليهم كعالم أو مدعي علم سنّي.. أشدّ عداوة من الإسرائيلي ومن الأميركي ومن أيٍّ من الصّهيونيّين...ـ والعكس صحيح أيضاًـ عندما توجد فئة ممّن يدّعون العلم من الشّيعة ويحرّضون تحريضاً غير لائق وغير مقبول ومرفوض بالمطلق على السنة ولكن لا يمنعهم ما يعتمرون من عمائم، أو يتّخذون من ألقاب، أن يزوّروا الحقائق وأن يقتطعوا نصّاً من هنا، ونصّاً من هناك، حتّى يوهموا المستمع من فضائيّاتهم المدانة بـأنّ السّنة يقولون كذا وكذا... وهذا ينسحب على الجميع... الجميع واقع في مثل هذه التّهمة البغيضة...



ما أحوجنا إليك سماحة السّيد... أنت الّذي عرفناك مدّة ثلاثين عاماً... لم تتبدّل فيها.. تبدّلت الظّروف وتبدّلت الأحوال وأنت كما عرفناك منذ العام ١٩٧٩ أو ١٩٨٠... وعاشرناك في السّفر، وفي الأزمات، وتحت القصف، وفي أحوال متعدّدة وتحت ظلّ الاحتلال، وبين الفتن المتنقّلة... وسمعناك كيف تخاطب الصّغير والكبير، والمتعصّب والمنفتح، والمتعلّم والأمّي... رأيناك في كلّ ذلك تحاول نشر الوعي وتحاول إهداء النّاس إلى صراط الإسلام إلى ذات الإسلام الأوسع من أن يحصرها سنيّ متعصّب أو شيعي متعصّب... أو أيّ واحد من هؤلاء...

نفتقدك ونفتقد بسمتك، طلّتك.. وتعليقاتك.. بل حتّى نفتقد صمتك.. لأنّك أيضاً كنت تتقن فنّ الصّمت، وتعرف أين تتكلّم، وأين تصمت، وأين تظهر، وأين تختفي خلف الكواليس ولو لمدّة محدودة..

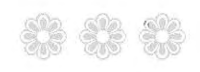
موعدنا وإيّاك إن شاء الله، ورغم أنف المتعصبين، في جنّة واحدة إن شاء الله.. لن يكون هناك في الآخرة جنّة للسّنة وأخرى للشّيعة... بل سيكون هناك بالتّأكيد جنّة للمؤمنين الصّادقين.. وجنّة للمؤمنين وللواعين وجهنّم لمن زوّر الدّين... ولمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض.. أو لمن علم أنّه مخطىء ولم يتراجع عن ذلك... أمّا من كان مخطئاً والدّليل يدفعه بالإيمان بما عنده، فهذا معذور عند الله سبحانه وتعالى... فهكذا نفهم وهكذا هو الواقع..

عندما غادرتَ إلى الرفيق الأعلى... كتبنا كلمة تحت عنوان «المحبّ» حيث فتّشت في كلّ ما كُتب عنك، ولم أجد أفضل من هذه اللّفظة تعبيراً عن شخصك، لأنّك فعلاً محبٌّ لمن يحبُّك، ومحبّ لمن يبغضك، ومحبّ لمن يسالمك، ومحبّ لمن يعاديك..

أنت تماماً كما نُقل عن سيّدنا محمد(ص): «**اذهبوا فأنتم الطّلقاء**».. كذلك

كما نُقِل عن سيّدنا عيسى: «اغفر لهم يا ربّ فإنّهم لا يعلمون ما يفعلون»، وهكذا هي أخلاق الأنبياء، وأخلاق من يحاول أن يسير على درب الأنبياء...

أنت محبٌّ والمحبّون ليس لهم ثواب إلّا الجنّة، ولا نزكّي على الله أحداً، ولا نعلم الغيب.. ولكن هذا ما نقرأه قبل انفراج الغيب ونرجو أن نكون من الموقنين والحمدلله ربّ العالمين.





# كُلّ شذاك طيّب

*السيد جعفر فضل الله*(*)

عامان.. وما زال حشاي يحتضنُ نار الشّوق إلى فيض روحك..

حتى غدت كلّ أيامي ليالي وجدٍ..

تناغيك ريشةُ القلم إذ تخطّ من معينِ ريّك

ويتراقصُ اليراع على أنغام أناملك إذ تعزف على قيثارة الوحي..

أحُنُّ إلى يدك تدغدغ أطراف الأوراق البيضاء، لتملأها حُبّاً في فيضِ فكر..

احتضانة عينَيك المُتعبَين كانت تزيل هموم الدّهر..

بضعُ كلماتٍ من فِيكَ كانت تهدهد آلامَ السنين..

كلُّ نظراتِك خلف هذا الأفق الذي سكرت عنده أعيننا والأمنيات..

كأنّك تُحاكي قلمَ التكوين

يفهمُ عليك إشاراتك، فيكتب للأجيال مساراً ومسيرة..

---

(*) عالم دين وأحد أبناء السيّد المرجع (رضوان الله عليه).

يحدو للرَّكبَ الذين لم تلدهم الأرحامُ بعدُ

يمهّد لهم طريقاً على أجنحة الملائكة

يفرش صفحته بورد الكلمات.. بفوحِ الحَرف إذ تُعطّره شفتاك..

تنثر من على منبرك المتّكئ على كرسيّ العرش.. بذاراً لسنابلَ امتلأت قبل أن تحمل..

أتدري يا أبتاه؟!

كُلّ ما فيك حلو

وكُلّ شذاك طيّب

حين تتكلّم... أو حين تتأمّل

حين تعلو أمواجُك.. أو حين تنساب صفحة مياهك..

الحياة من دونك فَقَدَتْ لديّ ألوانها وحلاوتها

يا حلاوة العُمر

يا كُلّ كُلّي

لا أزالُ أسمع نَبْضاً منك مع كلّ خفقة قلب

وكلّ إشراقة فكر

في قلب الضلوع ساكنٌ أنت

أبتاه..

لِتفُحْ روحُك المحلّقة في آفاق القُدُس

على القلب الصَدِئ

واللّبّ المتردِّد

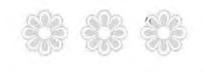
والجسم البليد

علّني أغدو بعضاً من رسالتك

كما كُنتُ بعضاً منك..

أبي الحبيب... سلاماً

وإلى المُلتقى بإذنِ الله



# نفتقد البدر في حالك الظّلمة

*الشيخ ياسر عودة*(*)

قال أمير المؤمنين(ع) في وداع رسول الله(ص): «... **خَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً...**» [نهج البلاغة].

يحار المرء عندما يتحدّث عن العظماء من أين يبدأ، فكيف إذا كان هذا الكبير قد جمع أطراف العظمة في تنوّع صفاتها العلميّة والأدبيّة والجهاديّة والرّوحيّة والأخلاقيّة وتحمّلها الصّعاب؟!...

لقد تميّزت شخصيّة السيّد الأستاذ الرّاحل، العلاّمة المرجع فضل الله(رض) بكلّ ذلك، ولا أخالني إلا مقصّراً في الحديث عنه دائماً، لأنّه لا تحويه كلمات، ولا تستوعبه مؤلّفات وصفحات...

ربّما تجد في الفقهاء من يمتاز بفقهه وتجديده عن غيره، بيد أنّ أمثال سماحة الأستاذ منقطع النّظير في القدرة الاستنباطيّة الفقهيّة العلميّة الّتي امتاز بها، فلم تخرجه عن النّصّ القديم، وحاكت فتواه كلّ حركة الواقع الحديث، والمجال لا يسع لشرحه.. وهكذا أبعد تفسيره للكتاب التّأويل غير المصيب، فابتعد عن

(*) عالم دين لبناني

أسباب النزول (آيات القرآن الكريم) الّتي لا تتناسب مع ظواهر الآيات، فلم يعد يقتصر على آيات الأحكام، بل تعدّاها إلى تأسيس مبانٍ فقهيّة من القرآن، وتحدّث عن الكثير من المغالطات والشّبهات والرّدود التي نُسبت إلى القرآن، ممّا يضيق المقام لشرحه...

امتاز سماحته بشجاعته في الاعتماد على الآيات القرآنيّة في مواجهة التخلّف والخرافة، وما نسب إلى القرآن عند تأويله لصالح أفكار الغلوّ والانحراف عن العقيدة السليمة...

لقد وعت أذن سماحة الأستاذ قلبَ القرآن ومعانيه، وقد تعي آذان أخرى ذلك، لكنّها لا تملك شجاعته وبسالته في مواجهة الخرافة والتخلّف والغلوّ، كان كلّ همّه أن يبلّغ رسالة الله، وأن يحمل أمانة الإسلام بصدق، وأن لا يجامل الخرافيّين ولا المتخلّفين، وأن يقدّم الإسلام وخطّ أهل البيت(ع) بطريقة حضاريّة علميّة للعالم، مطبّقاً بذلك حديث رسول الله(ص) قولاً وعملاً، حيث قال(ص): «**يحمل هذا الدّين في كلّ قرنٍ عدولٌ ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد**» [رجال الكشّي، ص ٦٤، حديث: ٥].

ليعرّف العالم أنَّ رسول الله(ص) وأهل بيته(ع) لم يخاطبوا إلا العقل والمنطق الّذي يحاكي كلّ زمان ومكان، ولم تأخذه في الله لومة لائم، وتحمّل كلّ الصّعاب، ولم يتراجع أمام كلّ تلك الحملات التي أثيرت ضدّه، وأرادت إطفاء نور الله، لأنّ الله كان يملأ قلبه وعقله، لم يرَ كلّ هؤلاء، فكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ**﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾[الكهف: ٢٩]...



أراد أن ينظّف الإسلام من كلّ أوساخ الغلاة والقصّاصين وأصحاب المصالح الضيّقة والجهلة والمتخلّفين الّذين أثقلوا الإسلام بكلّ جهلهم ومصالحهم، وأسقطوا أفكارهم عليه، وألبسوها لباس القداسة المخترعة. أراد أن يحرّك العقول بعد جمودها، وأن يحرّرها من براثن تخلّفها، وأن يرجعها إلى الأصالة الصّافية...

أراد تنقية الإسلام مما اعتراه طوال السنين، ليقول للعالم إنّ دستور الإله وعقيدة الإسلام لا شوائب فيها، ولا بدعة، مطبّقاً حديث رسول الله(ص): «**إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فإن لم يفعل فعليه لعنة الله**» [بحار الأنوار، ج٢، ص:٧٢]...

في زمنٍ كَثُر فيه تشويه الدّين، واعتلى منابر الإسلام الكثير من الجهلة، وابتدعوا مقدّسات مزيّفة وعقائد فاسدة، حتّى أبعدوا الأمور عن مسارها، واستغرقوا في طقوس مصنّعة، بدءاً من عاشوراء الإسلام وعقائد الإيمان، وجعل الأولياء شركاء مع الله في صنعه وخلقه ورزقه، وانتهاءً بأصغر تفصيل حوته كتبه ومؤلّفاته، متحمّلاً كلّ من حاربه لأجل الله، وفي سبيله عزّ وجلّ، فكان يحقّ كما قال الشّاعر:

**قُل للّذي بصروف الدّهـر عيّرنا ... هل عاند الدّهرُ إلّا من به خطرُ**

**ففي السّماء نجـوم لا عداد لهـا ... وليس يُكْسَفُ إلا الشّمسُ والقمرُ**

**وكم على الأرض من خضراء مورقة ... وليس يُرْجَمُ إلا من به ثمـرُ**

**أما ترى البحر تعلـو فوقه جيف ... وتستقرُّ بأقصى قعـره الدّررُ**

لم يساوم على دين، ولم يهادن زعيماً، ولم يتنازل لسلطان، ولم يحسب حساب عالم يقف ضدّه، ولا مرجع يحاربه، ولا حوزة تحمل عليه، كانت المسألة

عنده، كما قال(رض): «المسألة بيني وبين الله أن أقول ما أعتقد أنّه الحقّ، ولو لم يرض العالم».. كان من الرّجال الرّجال، المخلصين لله في كلّ حركته في الحياة الّتي ملأها علماً وفكراً وجهاداً وتفسيراً وأدباً ودعاءً وتعليماً للنّاس، كما كان جدّه الإمام الصّادق(ع)، والنّاس حوله في مِنى: كان معلّم صبية، حمل الإسلام بحزم، فكان رسول هذا الزّمان..

إنّنا نفتقد ذلك الصّوت المدوّي في وجه الخرافة والتخلّف، في زمنٍ سكت فيه الكثيرون خوفاً أو طمعاً أو مجاراةً للعامّة، أو مدافعةً عن التخلّف وحماته...

**ستبقى كثيراً هـذه الأزمـاتُ — إذا لم يقصر عمرها الصّدماتُ**

**إذا لم ينلها مخلصون بواسـل — جريئـون فيما يدّعون كفاةُ**

**يَظلُّ طويلاً يحمل الشّعبُ مكرهاً — مساوئ ما قد أبقت الفتراتُ**

وفي الختام، أعود إلى حديث أمير المؤمنين(ع)، ومعناه أنَّ من عرف رسول الله استغنى بمعرفته عن سائر النّاس، لأنّه القائد والأخ والمعلّم والمواسي والمؤنس والصّديق، وقد استطاع أن يوزّع كلّ ذلك على سائر النّاس، ومن عرف السيّد الأستاذ الكبير(رض) استغنى بمعرفته حباً وحناناً وعطفاً وعلماً ومعرفةً وأخاً وقائداً وناصراً وعوناً وما إلى ذلك.

لقد حمّلنا ثقلاً كبيراً وإرثاً عظيماً، علينا أن نرقى إلى مستواه ونفهم معناه ونعقله، وأن نعمل ونعيش فحواه، وأن لا نطلب الدّنيا بالدّين. فرضوان الله عليه وعلى التّراث الّذي حواه...

وأدعو كلّ إنسان أن يقرأ السيّد الأستاذ بإنصاف ليستفيد ويفيد..

# السيد محمد حسين فضل الله كان يريد ربيعاً للأمّة... و لكن؟.........!

أمين محمد حطيط (*)

بعد سنتين على رحيله حفلت المنطقة العربيّة باهتزازات زلزاليّة انقسم الناظرون إليها إلى حدّ التناقض، ففي حين رأى البعض فيها «ثورات شعبيّة» اندلعت كردّة فعل على ظُلم مارسته أنظمة حكم مستبدّة، وجد فيها آخرون وانطلاقاً من «نظرية المؤامرة» التي اشتهر العرب بترويجها من أجل تبرير عجزهم وتقصيرهم في المواجهة من جهة أو من أجل شيطنة المطالب بحقّه من جهة أخرى، وجدوا فيها مؤامرة أو فعلاً أجنبيّاً وأهملوا ظاهرة الحراك الشعبيّ وحقّ الشعب بالتعبير عن أوجاعه ومطالبه.

وبين الحدّين المتقدّمين ظهرت وجهات نظر عالجت كلّ حالة من الحالات العربيّة على حدة نظراً لما شابها أو تعلّق بها من تعقيد أو تراكم أو تركيب، و قدّمت توصيفاً لها يناسبها بقطع النظر عمّا تم توصيف سواها.

في ظلّ هذا المشهد الملتبس الفهم كان من تعلّق بالعلاّمة المرجع السيد

(*) كاتب وباحث لبناني، أستاذ جامعي وعميد ركن سابق في الجيش اللبناني.

محمد حسين فضل الله ـ قدس سرّه ـ ووثق بنظرته وتفسيره للأمور يفزع إليه عادة ليستفسره عن شيء التبس عليه أو حادثة خالطتها الشبهة، أمّا اليوم فقد يجد هؤلاء أنفسهم أمام سؤال كبير، ماذا كان يمكن أن يقول السيّد في الحراك العربيّ لو عرض الأمر عليه لاستيضاحه في موقفه من هذا الحراك؟ وكيف يكون تصرّفه تجاه هذه أو تلك من السّاحات العربية المشتعلة بالنار أو المضطربة القلقة بعد أن هجرها الاستقرار وعجزت عن استعادته؟

في الإجابة نقول بداية، إنّ العارف بطريقة السيّد في السلوك يذكر بأنّه كان رجل عقل وبصيرة ثاقبة، يلتزم حدود الموضوعيّة التي تبعده عن التطرّف إلا في التمسّك بالحق، وأنه ـ و رغم ما كان للقلب والمحبة عنده من أهميّة قصوى و نصيب وافر في السلوك والتعامل ـ فإنّه كان يُحكّم العقل المنفتح عند النظر للأمور ولم يكن ليُستدرَج إلى موقف يدفع إليه الهوى والغريزة والتعصّب، لأنّه انطلاقاً من إيمانه الإسلاميّ المطلق التزم في سلوكه في الحياة وفي تعاطيه مع مسائل المنطقة والأمّة وحيال الحوادث الطارئة منها ـ خاصة تلك التي تحتمل الشبهة ـ منهجاً عقلياً واعياً مرتكزاً إلى ثوابت وقواعد واضحة راسخة مستمَدّة من الإسلام الحنيف المتبلور في الكتاب والسّنة الثابتة.

لقد اعتمد السيّد محمد حسين فضل الله بدون شكّ المنهجَ العقليّ العمليّ وسعى إلى إعماله في مسيرته كلّها، للبحث عن الحقيقة و كشفها ليقدّمها للناس من أجل العمل بها وصون أركانها، الحقيقة التي إذا بلغها جاهر بها دون أن يخشى لوم لائم، وإن قصّر في تلمّسها، امتنع عن الادّعاء بالمعرفة، إذ إنّ من أساسات السلوك والفُتيا عنده الإدراك و إحكام العلم بالموضوع قبل النطق والتنظير فيه.

وهنا وتطبيقاً لما تقدّم، كان السيّد محمد حسين فضل الله سيحدّق في الحراك العربيّ ويحلّله ويدرسه بحثاً عن حقيقته ومؤدّاه معتمداً في ذلك معايير ثابتة قال

بها وعمل بها طيلة حياته، أو يمكن القول إنّه أرساها لنفسه ومقلّديه ولكلّ طالب علم وحقيقة، ومات عليها دونما أيّ تغيير أو تبديل طيلة حياته رغم ما تسبّبت له من أذيّة وعرّضته إلى مخاطر، والثوابت هذه هي:

١) قضية فلسطين التي كان يرى فيها موطن الاعتداء على الأمّة العربيّة والإسلاميّة، وأنّ الموقف منها يحدّد طبيعة السلوك حيال الأمّة ومدى الالتزام بقضاياها.

٢) قضيّة الوحدة الإسلاميّة، التي كان يرى أنّها السبيل لمنعة الأمّة واستقرارها، ثم سعيها للعمل كما فرض الله لتكون خير أمّة أُخرجت للناس.

٣) قضيّة حقّ الأمّة في الدّفاع عن ذاتها وحشد مصادر القوّة لاستعمالها، ورفض الاتّكالية والتسويف في الأمر، فمن كان قادراً على مقاومة الظلم فليفعل ومن عجز عن الأمر فعليه أن يمتنع عن تثبيط المقاومين أو عرقلة عملهم.

٤) قضيّة « الآخر» والاعتراف به والعلاقة به، والقبول بحقّ الاختلاف، والسعي عبر الحوار من أجل ردم الهوّة بين المختلفين أو التقريب بينهم أو جعل التفاهم المبنيّ على الحجّة العقلية والإقناع هو الحاكم بينهم. فالحوار لديه كان أسلوباً اساسياً في التعامل مع الآخر.

٥) قضيّة الإنسان وحقّه بممارسة حقوقه كإنسان، خاصّة لجهة العزّة والكرامة، فمن كرّمه الله وأعزّه ليس له أن يذلّ نفسه و يهينها بأيّ طريق من الطرق ومن ضمنها التبعيّة والارتهان للغير فرداً كان أم جماعة، من الداخل كان انطلاقه أو في الخارج استقرّ موقعه.

هذه هي ـ كما كنّا نفهم السيّد ونراه ـ هي الثوابت في نظرته للأمور والمعايير التي يلتزمها في تقييم المسائل والتحرّكات، ثوابت اجترحها بعقله الواعي

وبعدالته السلوكيّة من قواعد الدِّين الحنيف وثوابت الشريعة الإسلاميّة. ثوابت يسهل معها على الباحث عن الحقيقة أن يصنّف ما يجري على السّاحات العربيّة ليخلص إلى الموقف الذي كان يمكن أن يكون عليه السيّد من هذه السّاحة أو تلك فيما لو استُفتِي أو استُنصِح، وعليه نرى أنّه:

أ ـ لن يكون مطلقاً في صفّ من نسي فلسطين، واعتبرها شأناً للفلسطنيّين وحدهم، ولن يكون مرتاحاً لحراكٍ ما أو ثورة أُسميت، إذا كان من شأنها أن تقاتل مَنْ وقف في وجه إسرائيل ورفض التنازل عن حقوقه وحقوق الأمة. نحن نعلم أنّ الكثير ممّا أسمي «ثورات عربية» شطبت فلسطين من قواميسها، أو تحدّثت عنها بلغة مجاملة مقيتة دون أن تتعدّاها، وأكّدت تقيّدها واحترامها لاتّفاقات عقدت معها واعترفت بها.

ب ـ لن يكون متقبّلاً مطلقاً لمواقف من عادى المقاومة، وعمل من أجل تدمير محور المقاومة والممانعة، لأنّه لم يثق يوماً إلا بالمقاومة طريقاً استراتيجيّاً أساسيّاً لاستعادة الحقوق المغتصبة من قبل الغرب والصهيونيّة.

ج ـ لن يكون مطلقاً في صفّ من يدعو إلى التعصّب المذهبي، ويكفّر هذا، ويستبيح دم ذاك، ويبذُر الشّقاق بين المسلمين ويحضّ على الفتنة بين السّنة والشيعة.

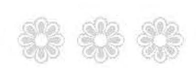
د ـ لن يكون مؤيّداً، بل سيكون رافضاً بعنف لأيّ استعانة بالخارج للتدخّل بشؤون الأمة بأيّ شكل خاصّة العسكري ولن يقبل أبداً أن يُقتل العرب والمسلمون أو يُقتتلوا، أو يستعينوا على بعضهم بعضاً بالأجنبي. وفي هذا كان سيتّخذ موقفاً معادياً لكلّ مَن استجلب الحلف الأطلسيّ إلى ليبيا، رغم أنّه كان يرفض ويدين سلوك القذافي واستبداده.



هـ ـ لن يقبل موقف مَن يرفض الحوار، لأنّه في نهجه يدعو دائماً إلى الحوار، ثمّ الحوار ثمّ الحوار بين أبناء الشّعب الواحد والأمة الواحدة، وما كان ليتقبّل مطلقاً أيّ ذريعة أو حجّة يتذرّع بها هذا أو ذاك لرفض الحوار ومنطقه، لأنّه كان يعتقد أنّه لا يرفض الحوار إلاّ ضعيف الحُجّة، والمستبدل للحقّ بمنطق القوّة.

و ـ كان سينشرح صدرُه وهو يرى تهاوي عروش الطّغاة والمستبدّين القامعين لشعوبهم، وانهيار قلاع المرتهنين للغرب والذين شكّلوا الكنز الاستراتيجي لإسرائيل.

ز ـ كان سينشرح حتى الأعماق لو تيقّن أنّ الحراك العربيّ هو يقظة وثورة حقيقية وأنّه سيشكّل ربيعاً للعرب والمسلمين، ولكنّه ما كان ليغشّ أحداً ويقول له إنّه الربيع إذا اكتشف أنّ في الأمر خريفاً أو شتاءً، وأنّ الربيع في مكان آخر، وهنا كان سيخاطب الشعوب: «أيّها الأحبة.. املأوا السّاحات واصنعوا ربيعكم الذي يكون حقيقةً ربيعاً عربياً وخريفاً لإسرائيل».





# الملتزم الوحدوي

*الفضل شلق*(*)

كان رحمه الله مناضلاً، وكان أديباً وشاعراً، وفوق كلّ ذلك، كان فقيهاً عارفاً وملتزماً بقضايا أمّته. ولأنّه كان ملتزماً كان وحدويّاً، فوحدة المجتمع والدولة كانتا من أولويّاته، كما نضاله من أجل المستضعفين في الأرض ضدّ قوى الاستكبار... ولم يغب عن ناظريه قضايا وحدة الأمّة والمجتمع، وفي مقدّم القضايا، القضيّة الفلسطينيّة. لذلك كلّه، لن يكون غريباً أن تستهدفه قوى الاستكبار بمتفجّرة كبيرة للخلاص منه.

قضى سنوات بعد ذلك يعمل في سبيل شعبه وأمّته، وفي سبيل قضاياها وقضيّة فلسطين، وعندما توفّي، كانت خسارتنا كبيرة، لأنّه لو كان حيّاً ـ والأعمار بيد الله ـ لما كنّا نشهد كثيراً من الفتنة الّتي نشهدها الآن في بلادنا، وأعني بكلمة بلادنا: لبنان وفلسطين وبقيّة الأمّة العربيّة. نحن نحتاج إلى رجالٍ مثله، ونفتقده، ونفتقد فيه تلك الرّوح؛ روح الأديب، وروح الشّاعر والمناضل، وروح الملتزم بقضايا الأمّة.

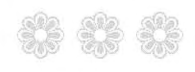
---

(*) كاتب وباحث لبناني

لقد ترك سماحته آثاراً كثيرةً على السّاحة اللّبنانيّة والعربيّة، أهمّها أعمال الخير، كالمبرّات والمؤسَّسات الّتي كان مشرفاً عليها، لكن يبقى أهمّ ما تركه، هو تلك الرّوح الوحدويّة، وحدة المجتمع ووحدة الأمَّة..

لقد كان له محبّة في قلبي، وأعتقد أنّ محبّته كانت متبادلة. كانت فترة تعرّفي بسماحة السيّد محمد حسين فضل الله في الثّمانينيّات، وكانت تلك الفترة فترة فوضى وتشرذم وانقسامات... فهو من القلّة، وله الفضل في الحفاظ على وحدة لبنان، وفي استمرار مسيرته الوطنيّة والقوميّة في مواجهة كلّ التحدّيات.

نفتقد إلى رجال مثله، فلو كان لدينا الآن رجال مثله، لَما كنّا نمرّ بما نمرّ به الآن.





# من فضاءات الفكر إلى تجلّيات الواقع

*د. السيد محمد باقر فضل الله*[*]

أسُّ الشيء: أصله وأمّه ورأسه والمؤسّسة هي المؤصّلة، وأسَّ الدار بيّن حدودها ورفع من قواعدها، وأساسات البنيان ركائزه وأعمدته التي عليها تقوم العمارة لبنة لبنة وحجراً حجراً، حتى تستقيم تماماً واكتمالاً وتناسقاً لا فجوة فيها.

كلّما كان الأساس ثابتاً راسخاً متجذراً، كان البناء متيناً باقياً مستمرّاً، والمؤسّسة في الاصطلاح هي الجمعية والجامع والمجمع أو الشّركة التي وُضعت قواعدها لغاية ما، سواءً كانت علمية أو اقتصادية أو خيرية.

## المنطلقـــات

التنظير للمؤسّسات ينطلق من فكر يُراد له أن يثمر انتشاراً ويتأصّل واقعاً من منطلق الإيمان برسالة ما ورؤية ما، تتجذّر إنجازات ونتاجات، تستمدّ دوامها بقدر ما تكون الرسالة إنسانيّة والرؤية واقعية لا تقف عند حدود الفرد المنظّر بل تتعدّاها إلى الحاجة الإنسانية في كلّ زمان ومكان.

(*) مدير عام جمعية المبرات الخيرية

## العقل المؤسّسي

العقل المؤسّسي هو العقل الذي يعتبر أنّ قيمة الأفكار النوعية المنتجة هو بقدر ما يجعل الناس يعتنقونها ويثبتونها ويلتزمون بها كحاجة إنسانية ويجسدونها في حياتهم الفكرية والعملية، يرى أيضاً أنّ الأفكار إذا بقيت بلا أطر تُنظّم تفاعلاتها تبقى أفكاراً فردية محدودة التأثير في الزمان والمكان...

## المؤسّســة

إنشاء المؤسّسة يحوّل هذه الأفكار من معانٍ مجرّدة إلى معطيات محسوسة، ويحوّل قيمة الأفراد إلى قيمة اجتماعيّة وإنسانيّة لها مدى لا متناه في تحرّكها وأبعاد لتأثيرها نتائج لتمثّلاتها في الواقع والحياة العملية.

## مسارات العمل المؤسسي (أو الوصول إلى المؤسسة)

انتقال من العمل الفردي إلى العمل الجماعي، ومن العرف إلى القانون، ومن المصلحة الشخصيّة إلى المصلحة العامة. الانتقال بالفكرة من مجالها التلقائي العفوي إلى مجال التنظيم ودوائر التخطيط وعمليات التقنين حتى تتبلور وتتّخذ لها شكلاً واضحاً بعد أن كانت حالة ضبابية يعوزها الوضوح والفعالية، للانتقال من النظرية إلى التطبيق:

مساحات ومسافات ينبغي تعبيدها.

إزالة العقبات التي تعترض طريقها.

تأمين الإمكانات اللاّزمة لقيامها.

بناء الجسور الآمنة التي تسهّل العبور إلى مراتب النجاح والتفوق والتميز والإبداع من خلالها.

## الفكر المؤسّسي عند سماحة السيد المرجع المؤسّس (رض)

هو فعل مسار واعٍ قبل أن يتحوّل التزاماً اجتماعياً، وقناعة بأهمية الأفكار الثقافية والاجتماعية والتربوية والرعائية والخدماتية وحتى السياسية والتزام بها وتجسيد لها من خلال العمل المؤسّسي، فكانت المؤسّسات فكرة تدغدغ وجدان السيد الثائر على الجمود.

## المؤسّسات كحاجة إنسانية

اليتم، الفقر، البطالة، حاجات سوق العمل، الشّباب الطامح وضيق الأفق، العلم والثقافة، هجرة الأدمغة، وسائر القضايا الاجتماعية تقابلها القدرات والكفاءات، الإبداع، ومواكبة الغرب في علومه ومنافسته، كلّ ذلك كان يدور في خُلد السيد (رض) إشكاليات تبحث عن حلول وجدلية ترفض الانصياع للواقع المفروض قهراً. «أنشأنا جمعية المبرّات الخيرية لتكون وسيلة لتحقيق خطين من الطموح:

الأول: إنقاذ الأيتام من الوقوع في متاهات الضياع والفساد ليكونوا طلاّباً يصلون إلى الجامعات ويساهمون في الأعمال الناجحة في المجتمع.

الثاني: بناء الإنسان المسلم الرسالي في إخلاصه لوطنه ومجتمعه وأمته وإسلامه».

## الأفكار من معانٍ مجرّدة إلى أفكار محسوسة

المال ليس حاجزاً، فمتى وُجدت الإرادة اجترحت المعجزات، وبهذه الإرادة وذاك العزم أبصرت فكرة المؤسّسات النور لتبتدئ مشوراها من المناطق المحرومة والسنوات العجاف والبدايات المتواضعة إلى الصروح القائمة التي

تحتوي اليتم والتعليم وذوي الحاجات الخاصّة والصّحة والمسنّين والعبادة والثقافة والخدمات..

## من قيمة الفرد إلى قيمة اجتماعية إنسانية

انطلق سماحته(رض) من تأسيس ذاته أولاً، وبدأ مبكّراً نشاطه في النجف الذي خرج فيه على التقاليد العرفية ومقتحماً ميادين كان مجرد التفكير فيها يُعدّ تجاوزاً لما هو سائد في الوسط التقليدي، يذهب بنفسه إلى الأماكن الفقيرة والنائية يجمع الناس ليعلّمهم أمور دينهم ويتفاعل مع الحلقات العلمية ويُفعلها، يساهم في تنمية الإسلام الحركي بالكتابة والفكر والشّعر، يحمل هموم معاناة المستضعفين ووحدة المسلمين وعند عودة سماحته إلى لبنان:

نشّط حركة المسجد الذي أقام الصلاة اليوميّة فيه وجعله مركزاً للتعليم والتثقيف.

فعّل عمل جمعية أسرة التآخي الخيريّة في المنطقة إذ تزايد عدد المتنسبين إليها.

طوّر دائرة العمل بافتتاح المعهد الشرعيّ الإسلاميّ لأنّه وجد حاجة إلى مؤسّسة في لبنان تُخرّج علماء متخصّصين في أمور الدّين منفتحين على مستجدات العصر.

أنشأ مستوصفاً مجاوراً للمسجد والمعهد لمداواة جروح الناس وإشاعة الثقافة الصحية في منطقة شعبية تفتقر لهذا المجال..

أسّس بناء لمدرسة لم تكتمل بسبب الحرب اللبنانية.

حوّل أماكن العبادة التي أَمّها إلى مراكز استقطاب مشهودة من حيّ السلم إلى



بنت جبيل إلى مسجد بئر العبد وصولاً إلى مسجد الإمامين الحسنين(ع) في حارة حريك.

## جمعية المبرّات الخيرية: نموذجاً للعمل المؤسّسي في فكر سماحة السيد(رض)

تجلّى الفكر المؤسّسي بأبهى صورة مع المؤسّسة النموذجية التي أشادها وجعلها ثمرة عمره المؤسّساتي، إنّها جمعية المبرّات الخيرية.. هذه الجمعية التي بدأت تتأسّس لتحتضن معاناة الأيتام زمن الحرب في مبنى متواضع ونمت بعين الله «ما كان لله ينمو» فباتت المؤسّسات الرعائية والتربوية والصحية والثقافية والعبادية إضافة إلى الإنتاجية التي تضمن التنمية الذاتية للموارد المالية، مؤسّسات شكّلت ـ إلى حدٍّ ما ـ نموذجاً في المستوى والخبرات والكفاءات.. وحدثت النقلة النوعية:

امتدّت أذرع الجمعية إلى أربعة اتجاهات من لبنان فضلاً عن قلبه، وشرعت تمدّ الخارج بخبراتها..فكانت بحقّ حُلماً في فضاءات أفكار السيّد وتحقّقت تجليات في الواقع بهمة من انطلق معه في البدايات ومن أخذ على عاتقه لواء الاستمرار في تحقيق هذا الإنجاز العظيم من عاملين وداعمين ومتحمّسين للمبرّات حتى يومنا هذا.. «لا بدّ للطموحات أن تتطوّر من خلال ملاحظة التطوّر العلمي والتربوي والرعائي، بحيث نستطيع من خلال الجمعية أن نقدّم للمنطقة تجربة رائدة في مماشاة التطوّر الذي لا يبتعد عن مبادئنا وديننا، وأن نحقّق نقلة نوعية في رعاية المستضعفين من الأيتام والمكفوفين والصم والبكم، ومن الذين لا يملكون فرص العيش الكريم».

«إنّ تنشئة طلاّبنا المحبّين لوطنهم، الملتزمين بالأخلاق الفاضلة، ذوي وعيٍ فكري، ومهارات متميّزة، تمكنّهم من تلبية متطلبات المستقبل والعصر

بكفاءة ودراية. إنّها مهمة وطنية عامة يشارك فيها جميع التربويين في لبنان، لأنّها تكتسب أبعاداً جديدة ومهمّة وخصوصاً في عصر ثورة المعلومات الذي نعيش، والذي يتطلّب جهوداً فكرية إضافية، والتي تتطلّب بدورها إعداد الأجيال بشكل أفضل».

## النهج المؤسّساتي لسماحة السيد(رض)

### التنظيم: البنيان والأسس

النظام: طالما صدح صوت السيد(رض) معلناً «**الله الله في نظم أموركم**» وبيّن السبب الأساسي في استمرار المؤسسة حفظ النظـام:

لذلك يجب أن يكون هناك شعور بأنّ هذه المؤسّسة يحكمها قانون يتساوى فيه الجميع، ولا بدّ ونحن نحفظ النظام أن نطبق القانون مع احترامنا لإنسانية الإنسان. «تطبيق النظام يتطلب توثيقه بوضوح وتعميمه وشرحه للجميع والعمل على تحسينه باستمرار فكانت مباركته لنظام الجودة وإصراره باستمرار للحفاظ على النظام وتطويره». وعنوان الجودة هو من العناوين المتحركة المنفتحة على أكثر من موقع ومن برنامج ومن حركة ومن جهة إنّنا عندما نأخذ بسياسة الجودة فإنّنا نحقّق هدفين:

ـ الأول: هو الإفادة المباشرة من عملنا.

ـ الثاني: أن نقدم تجربة ناجحة للمؤسسات الأخرى التي إذا اطلعت على تجربتنا فإنّها تسير بهدي هذه التجربة.

تطبيق القانون على الجميع: رأى سماحته أن الخضوع للقانون يشمل رأس الهرم إلى قاعدته، وأن مراكز القوى لو انفردت بقرارتها خارج القانون لأدّى ذلك إلى خراب المؤسّسة فلا أحد مهما علا يمكن أن يعلو على القانون، « أعتقد أنّكم

في مستواكم الثقافي والروحي لستم بحاجة لمزيد من التأكيد على هذه النقطة وهي الالتزام بالقانون بشكل دقيق وإذا كان لأحدكم ملاحظة على هذا القانون فينفذ أولاً ثم يناقش».

التشاور: اعتبر السيد(رض) أن التشاور هو الضامن لاختيار الأمثل من الأفكار والمشاريع وحلّ المشكلات وعدّ العمل الجماعي يكفل وحدة الصف ودوام العطاء فكان يقول إنّ « مسألة التشاور والعمل الجماعي في الإدارة وتهيئة كوادر مستقبلية مسألة مهمة»..

الحوار: عُرِف السيد(رض) بجملته الشهيرة «الحقيقة بنت الحوار» وعدَّ التحاور تلاقحاً معرفياً يغني الفكر، يقرب المسافات ويقود إلى ترسيخ القناعات أو التخلّي عنها عند الاقتناع بحجّة الطرف الآخر فكان يقول: «من حقّ كلّ شخص أن يكون له وجهة نظر، وتحصيل الرأي الأفضل يكون عن طريق التفاهم، وكلّ واحد يمكنه تقديم الأدلة الداعمة لوجهة نظره»، «أنا متأكد ومن خلال تجربتي أنّه لا يمكن أن يحرك الإنسان شيء مثل الحوار».

العمل الفريقي: أعطى السيد(رض) أهمية للمجالس من حيث إصدار القرارات على أن تتمّ مناقشة القضايا بعقلٍ هادئ يضع نصب عينيه المصلحة التربوية والرعائية فكان يقول «المجالس في الداخل هي التي تصدر القرارات... ينبغي مناقشة الأمور بعقلٍ هادئ من حيث المصلحة التربوية والرعائية...معرفة الحدود لكلّ إدارة وخطوط التنسيق من اللّجان العليا للمبرة أو المدرسة...».

دور المرأة: تناول السيد(رض) قضية المرأة من داخل النصّ القرآني (مريم، بلقيس إمرأة فرعون..)، كان الفكر الذي حرّر المرأة من قلب النصّ وعمق الإسلام فأعادها إلى موقعها الطبيعي الإنساني.. أكّد وفعّل الدور القيادي للمرأة في المؤسّسات، والإصرار على تعليم الفتيات ووصولهن إلى أعلى مستويات

التعليم وإنشاء مبرّات ومدارس أكاديمية ومهنية للفتيات.

«نريد أن يكون للمرأة دور في جمعية المبرّات وفي كثير من أعمالنا الأخرى من أجل تأكيد إنسانيّتها من جهة والاستفادة من طاقتها والعمل على تنمية هذه الطاقات، لذلك تشتمل المبرّات على الكثير من المتخصّصات في أكثر من جانب في مجال التربية والتعليم».

## القيم التـي شكّلت الوقود والمحرّك

إن النظرة التأملية في مسار الفكر المؤسّسي لدى السيد(رض) يوقفنا على سلسلة من الشبكات المتداخلة التي توثقت واتّحدت حتى صار كلّ عاملٍ فيها ذوباً وانصهاراً في العوامل الأخرى، فالإيمان بالإنسان وقدراته كان المنطلق وبناء الذات والآخر كان الشّعلة، واحترام الآخر والانفتاح عليه كان المحرّك، والطموح الواعي والتخطيط الممنهج كان الوقود، وتهيئة الكوادر كان المعين والمساعد والمتابعة الدؤوب لشتّى التفاصيل كان المؤثر في الاستمرار والنجاح..

«إنّنا لا نؤمن بطموح جامد نقف عند حدوده ولكنّنا نؤمن بطموح متغير أمام المتغيرات والحاجات»، «أقول لكم وبكلّ محبّة كونوا متصوّفين للعلم..»، «منهجنا على مستوى الخطاب للمشرفين على الجمعية والخاضعين لرعايتها وتربيتها هو الانفتاح على الأديان الأخرى والانفتاح على الإنسان الآخر على مستوى الحوار وعلى مستوى اللقاء، والحوار في مواقع الخلاف امتثالاً لقول الإمام علي: (**الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق**)».

الاستقلالية والفكر الواضح الرسالية، العزم والتوكّل على الله، العمل الجماعي، الفاعلية في التخطيط، حفظ النظام واحترام القانون، التشاور والتحاور والانفتاح توصلاً إلى الحقيقة، كيفية اتخاذ القرارات بما يضمن المصلحة العامة،

عدم الاستئثار والتفرّد من موقع قوّة المركز والرتبة، فعالية التواصل بالحكمة والموعظة الحسنة والتواضع والكلمة الطيّبة، حسن التنفيذ والرقابة والمتابعة والتقويم المستمر..

«المسألة أن لا تكون الجمعية حزباً سياسياً أو تجمّعاً للأحزاب السياسيّة ولكن أن تكون مركزاً من المراكز التي تصنع الإنسان في مفاهيمه العامة» «إنَّ عليكم أن تجعلوا لفكركم حالة الاستقلال والحركية والحرية على قاعدة الاعتراف بالآخر للانفتاح عليه ومناقشته وحواره..» «أحبّ أن يكون التواضع مع الآخرين كلّ الآخرين لأنَّ ذلك هو القيمة الإسلاميّة التي توفر احترام الإنسان للإنسان لأنَّ مسألة عرض العضلات المزاجية أو الوظيفية والإدارية لا تكبّر المرء بل تصغّره عند الآخر».

«إنّ كلّ المؤسّسات الاجتماعية والتربوية والخيرية هي مؤسّساتنا ومعنيون بها جميعاً انطلاقاً من مروءتنا وتكاملنا وانفتاحنا على الحياة والكون والمؤسّسات الأخرى، فالمروءة الإسلاميّة تحتّم عليك الوقوف مع الإنسان كلّه».

«إذا غضبت فليتّسع صدرك، وكُن حليماً تنفتح على القضيّة من موقع التفكير الهادئ الذي يتلقى الأمور بصدر رحب ليعالجها بحكمة وروية».

« نتواصى بأن يكون جميع العاملين صورة جيدة للأخلاق الإسلاميّة بالمحبّة للناس والإنفتاح عليهم..» .

## التجذيـر والتأصيـل

التخطيط الممنهج: بين النظرية والتطبيق ميزّ سماحة السيد(رض) بين التخطيط والإدارة التنفيذية وعدّ كلاًّ منها رافداً للآخر فأعلن مقولته «إنّنا كما نحن مسؤولون عن العمل التنفيذي للمهمّات التي نتابعها هناك أيضاً مسؤولون

عن العمل التخطيطي في هذا المجال وعلى أساس التجربة».

«لا يكفي أن نبدع النظرية بل لا بدّ من استكمالها بخطوات التنفيذ ليصبح ما خطّط له واقعاً حيّاً».

«إنّ عليكم كمدراء كما صبرتم على صنع النظرية أن تصبروا على التطبيق والتنفيذ حتى لا تذهب معاناتكم في ما أنجزتموه هباء».

تهيئة الكوادر والخط التصاعدي: أصّل السيد للأجيال القادمة النهج المؤسّسي انطلاقاً من عناصر متضافرة أولها تنشئة الكوادر بتنمية الطاقات واستثمارها لأن الاستثمار في المورد البشري هو من أهم موارد الاستثمار بحيث يُعدّ القادة المتعلّمون مدى الحياة...المتحمّسون للعمل... الذي يعتبرون العمل جزءاً من العبادة والاتصال بالله...لذلك آثر عدم الوقوع في شرك جمع الاتباع «أنا أربّي رفقاء لا أتباعاً»...

في كلامه للمديرين: «ما تمثّلونه من حركة المسؤوليّة في إدارة الخط التصاعدي الذي اعتبرت منذ البداية الخطّ الذي يحكم حركة الجمعية في نموّها المستقبلي أؤكّد على أن الجمود على أيّة مرحلة مهما بلغت من التقدم سوف يؤدّي إلى التراجع وربّما يؤدّي إلى الموت العملي والحركي والتربوي».

متابعة آليات التنفيذ: «إنّ مشكلتنا في الشرق أنّنا قد نطرح مشاريع كبيرة جداً ولكنّنا نفتقد إلى الآلية والتنفيذ مما يجعل هذه المشاريع حبراً على ورق».

الإبتعاد عن الأنا والذاتية: الذاتية والتشرنق على الأنا كانت العدو الذي نصب له السيد أسلحة القضاء المبرم والحاسم فكان يقول: «لم أفكّر يوماً في الذات، فالإنسان عندما يفكّر في الذات يُصغِّر الذات، ويُصغِّر المؤسسة»، وآمن بانصهار الفرد في الكلّ مع الحفاظ على خصوصية كلّ فرد وحقّه في التحاور وإبداء



رؤيته.. ووضع المصلحة العامة فوق كلّ اعتبار « كلّ واحد ينبغي أن يعطي كلّ جهده للوصول إلى المصلحة العامة أو يقتنع بأنّ ما يقوله هو خلاف المصلحة العامة... وقد يُختلف في ما هي المصلحة العامة فيُرجع إلى أهل الخبرة في ذلك»..

المسؤوليّة الشخصية: تحويل العمل العام إلى عمل ورسالة شخصيّة و تعزيز الخصوصية في منظور السيد(رض) لا تتم إلاّ بتحمل المسؤوليّة التي من شأنها أن تجعل العمل العام عملاً خاصاً فكان يقول «...تحمل المسؤوليّة يُشعر بأن العمل العام هو عمل خاص»، لقد آمن السيد بالناس وعلّم مريديه الارتباط بالناس بشكل عاطفي وروحي ووجداني وعقلاني بما يجعل العمل أكثر من وظيفة، بل يجعله رسالة خاصة في الجانب الإنساني لاحتياجات الناس الذين هم بحاجة للمساعدة.

«العمل الوظيفي يتحرك بروحية رسالية عالية لا أن تتجمد في داخل أجهزة لا تعيش من خلالها القضية».

دور الإعلام: اهتمّ السيد(رض) بالعمل المؤسّسي الإعلامي وكان يراه أداة التواصل مع العقول سواء المسموع منه والمرئي وكذلك الصفحات الإلكترونية فكانت مؤسّساته ضمن الإمكانات المتاحة من إذاعة البشائر إلى نشرة بيّنات وموقع بيّنات الإلكتروني، وقناة الإيمان الفضائية.

## التحـدّيـــات

«إن التحديات الكبرى التي تواجهها الجمعية مستقبلاً هي أولاً أن لا تستسلم لما حقّقته من نجاحات فتعتبر أنّها بلغت القمّة أو الهدف الكبير، بل لا بدّ أن تعمل على أن تحافظ على هذه النجاحات وتقويتها وتنميتها ثم تحاول مراقبة

التطورات الجديدة فيما تتحرك فيه الجمعية من وسائل التربية والتعليم والتوجيه والتدريب.. لهذا نحن نؤمن بأنّ كلّ مؤسّسة لا بد لها أن تحافظ على حركيّتها وحيويتها وانفتاحها على المستقبل وأن لا تتجمّد في الحاضر أو بالنظر إلى الماضي....»

تمكّـن السيـد(رض) لا من فهم الإنسان في خبايا نفسه وإنّما استطاع كقـرآن ناطـق في حياته أن يعيش مرونة استفتاء الواقع بهدي الكتاب السماوي، وأن يستنطق إنسان الغد المرجوّ المواكب لعجلة التبدّلات العملية والتقنية بقراءة الحاضر الراهن بميزان العقل وشفافية الروح التي تبتدع آفاق المستقبل.

اختزل السيد(رض) الزمن بحركة الفكر من ذاكرة التاريخ واقعاً يدور مدار القديم المتجدّد في سلسلة قانون الترقّي والتطوّر..وجعل الحركة لولبية التعالي من الفكرة الأم إلى فلك الإنجازات العملية.. قدّم النظرية في إطارها التطبيقي مؤمناً بالخطوة الجريئة التي تتجاوز العوائق فما من فكرة تخطر على بال إلاّ ولها إمكان التجربة والتحقّق وما من خيال محال إلاّ وله اختراق لعالم قابل لشتّى الاحتمالات...

ويبقى الوفاء لا للسيّد الشخص بل للسيّد الإنسان هو الوفاء للحياة التي تجلّت من خلال فعل تغيير وقدرة تأسيس للمستقبل، الوفاء للإرادة التي أنتجت عبره حركة تطور مستدام، الوفاء للمؤسّسة التي أضحت بجهد السيد(رض) الفرد، انصهاراً للكلّ في حفظ الأمانة، أمانة أن يستمرّ العطاء ويدوم النتاج الخصب، الوفاء للسيد المؤسّس يدفعنا إلى دراسة فكره المؤسّسي ويفرض علينا من منطلق حبّ المعرفة وطلب الحقيقة أن نعود إلى دعائم البنيان وأساسات الصروح لنستنطق فكر السيّد عموماً في كلّ حجر وبشر، وفضاءات فكره المؤسّسي في كلّ أثر تجلّى على أرض الواقع، من وصيّته عند تشكيله لهيئة الأمناء من بعده:

«.... ولما كنت أرغب أن تستمرّ مسيرة هذه المؤسّسات في إطارها المؤسّسي الرائد..أوصيهم ونفسي بتقوى الله ونظم أمرهم وأن يكونوا أمناء على مصلحة العمل وأن يحافظوا على العمل المؤسّسي بمراعاة نظمه وقواعده ما دامت في الاتجاه السليم والصحيح وأن لا يتنازعوا فيفشلوا... »





# أيّها الرّاحل العظيم

**د. محمد رضا فضل الله**[*]

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات: ٥٥].

في ذكراك الثانية يتجدّد الألم، ويتّسع الفراغ، وتهيمن الوحشة، وتكبر المسؤولية.

في ذكراك الثانية، نعود لنؤكّد تسليمنا بقدر الله وحكمته وقضائه.. الله الذي جعل الموت حقّاً والساعة حقّاً واللقاء به أمراً لا بدّ منه، لا يستثنى من نبيّ ولا وصيّ ولا وليّ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[الأنبياء: ٣٤]

في ذكراك الثانية، وفي كلّ ذكرى لاحقة، نعود ونؤكد لك وأنت في عليائك، في جنّة الخلد مع من كنت تحبّ وترغب وتعمل، أنّنا لا نزال أوفياء للخطّ الإسلاميّ المحمّدي الأصيل، الخطّ الذي نذرت حياتك، كلّ حياتك لخدمته وحفظه وحياطته وتحصينه وتنقيته من كلّ شوائب الانحراف والتخلّف والخرافة واللاّمنطق من أجل أن يعيش الإنسان صفاءه ونقاءه وإنسانيته.

---

(*) أستاذ جامعي وشقيق المرجع الراحل.

في ذكراك العزيزة الغالية، ومن أجل أن نأخذ منه العبرة، نتوقّف أمام محطّات من تاريخك الغنيّ بالخبرة والتجربة والمعاناة والتضحية.

التاريخ السبعينيّ الطويل، القصير بحساب الزمن، التاريخ الذي يروي أقواله وأفعاله ومواقفه ونشاطاته وإنجازاته بكلّ تنوّعاتها النظرية والعملية، وبكلّ مجالاتها الفكريّة والروحيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة، التاريخ الذي تشهد بفعالية كلّ الساحات المحليّة والإقليميّة والإسلاميّة والإنسانيّة.

التاريخ المجيد الذي عشنا بعضَ معالمه، ولا نزال ننعم بما فيه من سموّ وغنى وإبداع وابتكار، تاريخ كنّا نعيشه، نواكبه، نلاحقه، نتربّى به، ننهل منه، نتثقّف بنتاجه، حتى أصبحت ملامح شخصيّاتنا مرآةً لواقعه ومحتواه.

التاريخ المشرق الذي ينضح بالحيوية والحركة والنشاط، شعاره المفضّل «الراحة عليّ حرام»، لم يهدأ عطاؤه في زمن، ولم ينحصر في مكان، لم يتأطّر في حركة أو حزب أو اتّجاه، انفتح على الله تعالى، لينفتح من خلاله على العالم في كلّ آفاقه الواسعة، وامتداداته المترامية.

التاريخ الحميم الذي كُتبت كلماته بحبر المحبّة والرحمة والرّفق والمودة، حمل الحبّ لكلّ الناس من خلال تعاليم ربّه، ومن موقع إنسانيّته، أَحبّ من يختلف معه ليتواصل معه بمحبّة، ويحاوره بثقة ويجادله باحترام، فينطلق من خلال القناعات المشتركة، ليَعبُر منها إلى التفاهم الودّي على المختلف انطلاقاً من التوجّه القرآني:

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥].

التاريخ الأخوي العزيز الذي واكبت بداياته في النجف، وانطلقت معه طوال فترة حركته العلميّة والتبليغيّة والجهاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والتربويّة

والمؤسّساتيّة، التاريخ الذي شكّل منعطفاً مصيرياً في كلّ حياتي، جعلني أنتقل من واقع التقليد إلى الحداثة، ومن إطار الجمود إلى الحركة، ومن سجن الخرافة إلى أفق العلم، ومن ظلام الانغلاق إلى نور الانفتاح والحضارة والمعاصرة.

لم نتعلّم منه الحقد في دراسة التاريخ بأحداثه ورموزه، ولا الكراهية لمن نختلف معهم، كان يقول: لا تحوّلوا التاريخ إلى عبءٍ ثقيل يرهق الحاضر، ولا إلى وسيلة خبيثة تعقّد المستقبل، ادرسوا التاريخ، استفيدوا من تجاربه، خذوا العبرة من نتائجه، لتنطلقوا إلى الواقع بروحية البناء، وإلى الغد بذهنية التخطيط، الجميع في النهاية سيقفون أمام المحكمة الإلهية، اتركوا الحساب لله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور..

كان ـ رحمه الله ـ يردّد دائماً:

**﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**[البقرة: ١٤١].

كان السيّد رائعاً في معالجته للواقع الإسلاميّ المعاصر، كان يعتبر أنّ المشكلة تكمن في التربية الغرائزيّة المنبثقة من عالم التخلّف، التربية التي تركّز على نشر الماضي بأحقاده، لتثير الحساسيات الدينيّة، وتفعّل العنصريات القبليّة وتوتّر العلاقات العرقيّة، وتحفّز الهمم على الثأر والانتقام وتأجيج نيران الفتنة بين أبناء الوطن الواحد، والدين الواحد من أجل تمرير سياسات الاستكبار والاستعمار.

من أجل ذلك، رفع شعار الوحدة الإسلاميّة وعمل على تجسيده قولاً وفعلاً وسلوكاً، كان صادقاً في دعوته ظاهراً وباطناً، سرّاً وعلناً، مع ما كان لهذا الموقف من تداعيات واتهامات عانى منها الكثير.

تاريخه في دروب السبعين كان يضجّ بالإيمان والعلم والصدق والحركة،



كان يتسم بالحيوية المفرطة، والنشاط المميّز، تاريخ عشتُ في أجوائه الأخوّة الصادقة، والأبوّة الحانية، والتربية المسؤولة، والروحانية السامية، والأخلاقية الإنسانيّة ممّا ترك سماته على شخصيّتي في حبّ الله، وحبّ الناس، وبَذلِ الجهد في خدمة دين الله، والتضحية في سبيله.. كما أزعم.

في حال مرضه، كانت الفرصة كبيرة في اللّقاء اليومي معه، وهذا ما سمح لي بأن أعيش بعض تفاصيل أحلامه وطموحاته، ومفردات آماله وتطلّعاته، وعناوين آهاته وعذاباته، آهاته في تجاربه مع الأصدقاء، وعذاباته في معاناته مع المتخلّفين الخرافيّين، التكفيريّين.. عشنا صبرَه على الألم، وصلابته في الموقف وإرادته في التحدّي.. وعنفوانه في التهديد، وحرّيته في الرأي، وعاطفته في الحبّ، وأخوّته في الدين، وبالتالي إنسانيّته في المعاملة.

عشنا بعض طموحه أو كلّ طموحه الذي كان يودّ أن يسابق الزمن ليحقّقه، كان يردّد وباستمرار، أيّها الأحبّة، الوقت فرصة لن تعود، والعمر محدود لن يرجع، اغتنموا الفرص من أجل أن تملأوا حياتكم بما ينفع الناس ويطوّر الحياة..

في أواخر حياته، وهو على فراش المرض استدعى طبيبه وقال: أرجو أن تصارحني في وضعي، فأنا أريد أن أتثقّف وأثقّف، أتعلّم وأعلّم، وأرشد وأوجّه، فإذا كان الحال لا يسمح بذلك فأنا في شوق للقاء ربي.

كانت لديه أحلام يرغب في تحقيقها، وأهداف يسعى لبلوغها، فمن جهة حالَ المرض العضال من الوصول إليها، ولعل شدّة مأساته كانت في صراعه المأساوي مع أتباع الجمود والتخلّف والخرافة، الذين حالوا دون اندفاع أفكاره التقدّمية التنويريّة المعاصرة في عقول جمهوره، بفعل الخطط الماكرة التي ركّزت على التراث الغرائزي البالي.



مع ذكراه الثانية، لا نزال في حنين إلى محبّته وقوّته، وعنفوانه وروحانيّته، وعمله وفقهه وتفسيره وشعره... لا أبالغ إذا قلت إنّنا نعيش الوحشة، لا بل اليتم في الفكر الحركي، والحبّ الإنساني، والإيمان الروحي، ولكن ما يعزّينا أنّ أفكاره وأحلامه لا تزال تحوم فوق ضريحه الطاهر، لتظلّ شاهداً ومحفّزاً ودافعاً لأن نسلك في غيابه طريق ذات الشوكة، كما سلكناه في حياته:

**أنا حسبي إن تغشاني الدجى في ظلام الليل آهات جروحي.**
**فالتفاتات حياتي فكرة سوف تبقى حُلُمَاً فوقَ ضريحي**

أشعر أنّني قد أطلت في التوقف عند محطات من تاريخه الرساليّ الحركي، كلّ ذلك من أجل أن أقول: إنّ هذا التاريخ الذي يثير الفخر والعنفوان والاعتزاز هو وليد مسيرة جهادية علمية تربوية طويلة بدأت بواكيرها المثمرة مع الطفولة وبلغت قمّة عطائها مع الشباب الذين واكب كلّ آمالهم وطموحاتهم وتطلّعاتهم الحالية والمستقبلية.

الراحل المرجع أكّد على الشباب وحاورهم بمحبّة وصبر وأناة وحكمة، باعتبارهم أدوات التغيير ووسائل البناء.

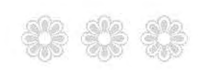
إنّ ما كان يعيشه الراحل الكبير، من خلال كتاباته التي اختصرها كتابه (دنيا الشباب) كان يعتبر أنّ الأمم التي تنشد الرقيّ وتطمح للأفضل، عليها أن تسعى إلى تربية رائدة لهذه الفئة من أجل إثارة الوعي لديها، وتنمية قدراتها، وتوسيع آفاقها، لتحصل على الأسلحة الكافية التي تواجه بها التخلّف والفساد والتحدّي.

أيّها الأخ الراحل، نَمْ قرير العين، فإنّ ما كنت تطمح إليه من طروحات فكرية وروحية وجهادية وعلميّة هي أمانة غالية عزيزة، سوف يتبنّاها الشباب فكراً ونهجاً وسلوكاً وعاطفةً، ليكونوا كما أردت أنصاراً للوعي وثورة على التخلّف، فهم لا



يهادنون الاستكبار العالمي حتى لو كان في حجم أميركا ولن يهادنوا الاستكبار الإقليمي حتى لو كان في حجم إسرائيل، فهم لن يهادنوا الخرافيين والتكفيريين والمتخلّفين.

هذا هو خطّهم، وهذا هو مسارهم، إنّهم كما تريد، وإرادتك هي مرتكزة ومنطلقة من إرادة الله الذي هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو حسبنا ونعم الوكيل.



# نفتقد كثيراً لقراءة «السيّد» العقلانيّة والمستقبليّة

سركيس أبو زيد [*]

بعد التطوّرات الّتي حصلت في العالم العربيّ والإسلاميّ، نفتقد كثيراً السيّد في هذا الظّرف، ولا سيّما أنّه كانت لديه قراءة مستقبليّة ومتنوّرة، وقراءة عقلانيّة للحالة الإسلاميّة، بينما الّذي نشهده في هذه الأيّام صورة منغلقة، صورة تكفيريّة للإسلام لم يكن يوماً يشجّع عليها أو يتبنّاها.

كان السيّد يقدّم الإسلام بصورةٍ معاصرة وبصورة تواكب العصر، وأحياناً تتجاوزه.

لهذا السّبب، كان بإمكان رؤيته أن تحقّق فعلاً ثورةً في العالم العربيّ والإسلاميّ، لأنَّ الثّورة الحقيقيّة والرّبيع الحقيقيّ، هو في بناء دور الإنسان الّذي كان يدعو إليه السيّد، لأنّ خارج هذه الرّؤية سنعيش نوعاً من الجاهليّة الجديدة.

ولهذا السّبب، وفي هذه المناسبة، مطلوب إعادة قراءة السيّد، للاستفادة من قراءته للإسلام وللعصر، لأنّه تمكّن من قراءة الواقع والمستقبل على ضوء الإسلام، بينما حاول الآخرون أن يقيّدوا الإسلام والواقع بقيود متنوّعة.

---

(*) كاتب وإعلامي لبناني.



# نورٌ من خالقِه

جان عبيد(*)

علاقتي بسماحة الإمام السيّد محمد حسين فضل الله عريقة وعميقة، وعمقها في الزّمن والرّوح، فهو رجل يسري عليه القول: «رُبّ أخٍ لم تلده أمّك»، وكنّا طوال السنوات الماضية على تواصل مستمرّ، فلا يكاد يمرّ شهر دون أن نُجري حواراً أو أكثر، فالحوار مفتوح، والعقل مفتوح، والقلب مفتوح، وكان عقله كبيراً وقلبه كبيراً...

هو رجل لا تصفه وصفاً دقيقاً إذا قلت عنه إنّه شيعيّ فقط، ولا إنّه مسلم فقط، ولا إنه لبنانيّ أو عربيّ فقط، كان مع ربّه كما مع النّاس، لا فضل عنده لعربيّ على أعجميّ إلا بالتّقوى، ومع أصدقائه كان صادقاً وصديقاً وعميقاً، هذا أبرز ما يبقى في ذهني، وهو الرّجل الّذي لا يغادر ذهني ووجداني، لأنَّ إيمانه فوق دينه وأوسع من دينه، ودينه فوق مذهبه وأوسع من مذهبه، وأكاد أقول إنّه من الناس الذين تتّسع عقيدتهم لتكون شبه كونيّة...

إنّ الناس كما قلنا مراراً في حواراتنا، ترث أديانَها وعائلاتها ولكنّها تختار

---

(*) نائب ووزير لبناني سابق.

إيمانها، وربّ العالمين لا يؤخذ بالكلام على أهميّة الكلام، إلا إذا أتى الكلام من قلبٍ صادق سليم أمين، والصّدق والأمانة في هذا الأمر تحدّدهما الأعمال، فليست نبرة القول وتكراره هي التي تقرّب الإنسان من ربِّه، بل صِدقه وأعماله... بهذا المعنى كان السيد مثلاً يُحتذى، كنّا نتناقش ونتعمق في الحوار ونختلف، ولكن كان هدفنا الحقيقة والحقّ، والحقّ ليس حكراً لشخص أو لمذهب أو لدين، وقبلهم ليس حكراً لطائفة أو لأمّة من الأمم، الحقّ من أسماء الله الحسنى، وعندما قال الله في الذكر الحكيم: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩]، أعطى صورتَين وتوجيهَين أساسيّين، أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يقيم للحقّ الكامل محرابه.. ولا يمكن أن يغلب امرؤ على أمر في الدنيا، بل الغلبة النهائية لقول ربّ العالمين وحُكمه، كما أنَّ في الآية حرية، وهذه الحرية هي النعمة الثانية من الوجود، والنعمة الأولى هي الرّوح، لأنّه لولا هذه الرّوح لكان الجسد نفايةً، فالرّوح هي التي أسطعت فيه الضوء، والحرية هي المقياس للحساب وللثواب والعقاب، فلو أكرهت على اقتناع فلست مسؤولاً، وإذا لم تكن حرّاً لن تحاسب، وربّ العزة يعلم أنّه منذ مطلع الخليقة ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاأَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٩٩]، كان باستطاعة ربّ العالمين أن يُكرِه آدم على أمره، وهو عالم كعلاّمٍ مطلق للغيب أنّ آدم ذاهب إلى المعصية، كان يملك أن يردعه عن غيّه وأن يقوّم له أمره، ولكن لن يكون لآدم في حالة الإكراه قيمة في دينه، ولن تكون عليه مسؤولية في عصيانه وتمرّده...

كان السيّد بهذا المعنى العميق للفهم الدينيّ والإيماني، وأنا كنت أقول له إنّني لا أنزعج إذا قالوا لي إنّك لست مارونياً كفايةً، وأنت لا تنزعج إذا قيل لك إنك لست شيعيّاً كفاية، الانزعاج هو أن يُقال لك إنّك لست مؤمناً كفاية، لأنك أنت

لست شيعيّاً فقط، وأنا لست مارونيّاً فقط، وعندما ينير ربّ العالمين الوجدان والضمير والعقل والقلب، يفتح لهذه الحواس كلّها ما يُسمّى «روح الكونيّة»، لأنّ روح الله ورحمته وسعت كلّ شيء...

أقول في باب التعمّق في الأمر، لدى السيد ثقافة شاملة وأدب رفيع ووجدان حيّ وضمير شفّاف وعقل شامل واسع، وكان صاحب قيمٍ ونِعمٍ وشيمٍ وحِكم، وكان، كما تابعتُه، كلّما كبر في العلم والعقل والعمر والقدرة يكبر بالنعمة، وهذه تكاد تكون أميز ما فيه. كان كبيراً بنعمة الله عليه، وإنَّ الله يحبّ أن يرى أثر نعمته في عبده، كان يوزّع هذه النعمة، لا يبذّرها ولا يدفنها، إنّما يوزّعها على الناس وعلى الخلق، أقربين وأبعدين...

وأنا عندما أذكره، أذكر دائماً حواراتنا حول نهج البلاغة، وحول الشّعر العربيّ والمتنبّي، حول الذّكر الحكيم والأحاديث الشريفة، حيث كان لا يبالغ في أمرٍ، ويرفض الغلو.

لم يكن سهلاً أن تخاصمه، لأنّه لا يفتح لك باب الخصومة إلا الشريفة إذا أنت أصررت عليه، وكما قال الإمام علي(ع): «**من بالغ في الخصومة أثِم، ومن قصر فيها ظلم**»، هو لم يكن مقصّراً عندما يخاصم بالرأي، بل كان يسير على هدي هذه القاعدة الذهبية للإمام علي(ع)..

كان بعيداً عن الإفراط والتفريط، لأنّه كما قال أيضاً الإمام علي(ع): «**لا ترى الجاهل إلا مُفرِطاً أو مفرِّطاً**»، وهو رجل كرمت عليه نفسه فهانت عليه شهواته، وأكاد أذكره باستمرار بمزيج من الحزن والفرح؛ حزن الغياب وفرح الحضور الذهنيّ والأخلاقيّ والقيَميّ والمعنويّ والروحيّ والوجداني... ويستحسن دائماً أن تستذكر أحباءك لا لتحزن فقط، بل لتفرح أيضاً، وهذا هو الشأن مع الإمام العلامة السيد محمد حسين فضل الله.

لقد أحببته من عقلٍ وقلب، وكنّا متقاربَين ومتشابهين في الطباع، وتشابه الطباع هو الذي يصنع الصداقات الدائمة، ولا أذكره إلا وأنا على صلةٍ وحزن؛ صِلة بروحه الفياضة المنيرة المستنيرة، وفي الآن نفسه على حزنٍ لانقطاعه عنّا، لأنّ الناس بطبيعتها تحبّ أن ترى الناس وتشاهدهم وتمتلكهم بأعينها وبحواسها كافة.

كان سماحته مرجعاً كبيراً يتدفّق فكراً وقولاً وسلوكاً واستشعاراً وشعوراً، وكان صاحب رأيٍ ورؤيا، كما كان لا يبالغ في خصومة فيَظلِم، ولا يقصّر فيها فيُظلَم.

إنَّ فيه الكثير من نور خالقه، وفيه من درر وجواهر لا تقيَّم ولا تُقاس بثمن، وبهذا المعنى، كانت الحُجُب تسقط بينك وبينه، لأنّ سبيل الحقّ والعقل هو سبيل اللّقاء المستمرّ عنده، ولم يكن عنيداً إلا في حقّ، ولم يكن عنيداً على باطل وعلى مكابرة وخطأ، وكان يتعلّم كلّ يوم حتّى يكون معلّماً...

هناك رسالات سماويّة، وربّ العالمين لم يحجب ضوءه أو نوره عن أيِّ أمّةٍ في التاريخ أو عرقٍ أو عصبٍ أو عنصر، والله تعالى يقول في الذكر الحكيم: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾[غافر: ٧٨]، وفي مكانٍ آخر ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾[النحل: ٣٦]. من هنا، فلا يمكن لربّ العالمين أن يكون قد حجب قِيَمَه وفضلَه وخُلُقَه ونورَه عن أيّ أمةٍ في التاريخ...

ولذلك، نتساءل: هذه الأمّة التي لم يصلها الكتاب العربيّ المبين، أو لم تصلها الأناجيل، أو لم تصلها التوراة، هل كانت في ظلام؟ لا يمكن لربّ العالمين وهو الأعدل والعادل أن يحجب في لحظةٍ في التاريخ ضوءَه ونورَه وإرشادَه ورسله ورسالاته عن أيّ أمّةٍ في التاريخ، أيّاً كانت لغتُها أو لونها أو عرقها أو زمانها أو

مكانها... وعندما تفهم الأمور على هذا النحو، تكرم وتقدس ما ائتمنت عليه أو ورثته، ولكنَّك أيضاً تفتح قلبك وعقلك ووجدانك وضميرك على سائر الرسل والرسالات والأمم الأخرى في أزمنتها وأمكنتها كافة...

كان سماحته حرّاً ومسؤولاً في الوقت نفسه، فلا يمكن أن يكون الإنسان مسؤولاً إن لم يكن حراً، لأنَّ المسؤوليّة تقع على الإنسان الحر، وهذه مسؤوليَّة الخلق منذ البداية عندما أعطى ربّ العالمين الحريّة لآدم، وإلاَّ لكان أكرهه على الإيمان ومنع عنه المعصية، ولكنَّه أعطى نعمتَين لهذا التراب، نفخ فيه من روحه وجعله كائناً حيّاً، وأعطاه الحرية، والرّوح والحرية هما أهم نعمتَين أعطاهما الله للإنسان، لأنَّ عليهما تترتب الحياة والمسؤولية...

قلت للسيِّد، إنَّ النّفوس والناس والأصدقاء مثل الخيل، لا تعرف الخيول الأصيلة إلا بعد السّبق، والأصدقاء كذلك لا تعرفهم إلا بعد التَّجربة، وهذا ما قاله المتنبي:

وما الخيل إلا كالصّديق قليلة        وإن كثرت في عين من لا يجرّب

ونحن جرّبنا في حياتنا أنواع الحوار والنّقاش والإقناع كافّة، ولقد كان سماحته صديقاً صدوقاً وصادقاً، وإذا قورن الأصدقاء بالخيول الأصيلة، فالسيّد من أفرس الخيل وأحصنها عقلاً وقوّةً وتجربةً وقيمةً ونعمةً...





# سنتان على رحيل فضل الله.. فراغٌ ومسؤوليات

باسم سعد[*]

على أبواب الذكرى الثانية لرحيل العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، والتي تصادف في الرابع من تموز المقبل، ينشط المحبّون والعاملون والمسؤولون في تيّاره لإحياء هذه المناسبة، وسط «الرُّكام السياسي» والتطوّرات التي عصفت بالمنطقة العربية والإسلاميّة في السنتَيْن الماضيتَيْن، والنتائج الناجمة عنها على أكثر من صعيد وتأثيراتها على المشروع الكبير الذي عمل «السيد» لإرساء دعائمه وتركيز قواعده.

وتلاحظ مصادر أساسية في هذا التيار أنّ رحيل السيد فضل الله ترك فراغاً كبيراً في الساحة الإسلاميّة عموماً، واللبنانيّة خصوصاً، وأنّ هذا الفراغ تجلّى مظهرُه في عددٍ من الأمور أبرزها:

أولاً: على الصعيد السياسي، حيث رحلت تلك الشخصيّة التي كانت تتوجّه بالنصح للكثيرين، وكان لكلامها وَقْعٌ كبير في دَفْعِ الفُرقاء إلى اختصار

(*) كاتب وصحافي لبناني.

مسافة الاختلاف في ما بينهم، والإقلاع عن سياسة المقاطعة، أو رمي الآخرين بالاتهامات، أو تخوينهم أو التشكيك بسلوكيّاتهم وأهدافهم.. فمن المعروف أنّ السيد كان يرفض سياسة المقاطعة، وكان يرى أنَّ هذا الأسلوب لا أساس له لا في العمل السياسي الوطني ولا في القواعد السياسيّة الإسلاميّة، ولذلك كان يحثّ الحركات والأحزاب الإسلاميّة على الاقتراب من الآخرين حتى على صعيد المبادرة السياسية وحتى في الأوقات والأحايين التي تشعر فيها هذه الأحزابُ والحركات بأنّها تملك الأرض كما تمتلك عناصرَ القوة السياسيّة والعسكريّة وما إلى ذلك.

وقد كان العلاّمة فضل الله حريصاً على اجتذاب الآخرين إلى الخطّ الإسلاميّ الحركيّ كما كان يعبّر من خلال سلوك قواعد الحوار والخطاب الإسلاميّ التي تفرض قَوْلَ التي هي أحسن والدّعوة بالتي هي أحسن، بدلاً من استخدام الخطاب المتشنِّج والمنفِّر، والذي يرتكز على مفردات التوهين للآخرين، أو تهديدهم حتى في الوقت الذي تُخطئ فيه الجهاتُ والأحزابُ الأخرى...

لقد كان السيّد فضل الله جِسراً فكريّاً وسياسيّاً استطاع أن يضيِّق الهوّة بين الإسلاميّين والعروبيّين، وهو الذي نظَّر لذلك بما كتبه ومارسه، فحطَّم الحواجز التي كانت قائمة بين الطَّرفين، وقَرَّب بين الإسلاميّين والعلمانيّين حتى في الوقت الذي كان يُصرّ فيه على عدم التنازل عن الطَّرْح الإسلاميّ، أو مخالفة القواعد الإسلاميّة التشريعيّة والسياسيّة، وفَتَح الآفاق واسعة للانفتاح داخل السّاحة اللّبنانية وخارجها، ولكن «ركام التخلّف» ـ وهكذا كان يعبِّر ـ عاد إلى الساحة من جديد وبات المشهد بحاجة للحكماء وأين هم الحكماء؟

ثانياً: على صعيد التجديد الفقهي، حيث يلاحظ الكثيرون أنَّ المساحة الفقهيّة الواسعة التي كان يتحرّك فيها السيد فضل الله قد ضاقت كثيراً، فليس هناك من

فتاوى جديدة تلاحق تفاصيل الحياة اليومية التي يقتحم العنف الاجتماعيّ المشفوع بالعنف السياسيّ ساحاتها الداخليّة وتفاصيلها اليومية..

وهنا تشير المصادر الى أنَّ السيد كان يلاحق حتى المناسبات التي ركّزتها الأمم المتحدة، كيوم العمل والعمّال، أو يوم المرأة العالمي، ليُصدِر الفتاوى الدقيقة والحاسمة في كيفية التعاطي مع العمّال ومع المرأة، ولعلّ الجميع يتذكّر فتواه الشهيرة في الدفاع عن خادمات المنازل، وفتواه الأخرى في مشروعيّة دفاع المرأة عن نفسها في مواجهة عنف زوجها، والفتاوى المتّصلة بجرائم الشرف وما إلى ذلك، وتلك التي تتّصل بشهر رمضان واستخدام الفَلَك لمعرفة بدايات الشهور القمرية. لقد ترك غياب السيد أثراً كبيراً على حركة التجديد الفقهي الإسلاميّ، والكلّ يتحدّث عن أنّه منذ رحيله إلى الآن لم نرصد فتاوى تجديديّة بارزة لمراجع إسلاميّة يقلّدها الناس ويعودون لها في عملهم الديني، بينما نرصد إصراراً على دعوة الكثيرين الى التخلي عن تقليد السيد فضل الله، حيث لفت الكثيرون إلى تعلّق الناس به والتزامهم بمرجعيّته وخطّه، كان مصدر حاجة كما هو مصدر حبّ ووفاء لهذه الشخصيّة التي التصقت بناسها ومجتمعها وأهلها إلى مستوى كانت تعيش وسط آلامهم وأحزانهم وتطلّعاتهم بشكلٍ يومي.

ثالثاً: على مستوى الوحدة الإسلاميّة، فمشروع السيد فضل الله لتوحيد المسلمين تعرّض لنكسات حقيقية حيث طفا على سطح العلاقة بين السنّة والشيعة ركام جديد ساهمت في بروزه التطوّرات المتسارعة في المنطقة، خصوصاً في العراق وسوريا وصولاً الى لبنان، وباتت للمعطيات السياسية تفسيرات مذهبية، ودخل الهاجس المذهبي في كلِّ شيء وبات الخوف من الأزمة في سوريا وتداعياتها يثير الغرائز بدلاً من أن يكون دافعاً الى توحيد الساحة الإسلاميّة وتهيئتها لمواجهة الانقسامات الحاصلة..



من هنا، تتحدّث المصادر عن الدور الذي قام ويقوم به تيّار السيد فضل الله لتضييق الهوّة السياسية والنفسية بين الأطراف، وإصرارها على دفع القيادات للقاء والتواصل ليس في العاصمة فقط بل في المناطق اللبنانية كافة، لأنّ من شأن ذلك الانعكاس إيجاباً على العلاقات الوطنية، وإن كانت اليد الواحدة لا تصفّق، أو كانت كلمة دعاة التفرقة والانقسام هي المسموعة أكثر من غيرها لأنّها تعتمد على الغرائز ولها وسائل إعلام متعدّدة المصادر والتوجّهات في التمويل والتوجيه.

وتختم المصادر بالإشارة الى أنَّ الساحة الإسلاميّة تحتاج الى ورشة عمل وحدوية تبقى في حال استنفار لمواجهة كلّ التمزّقات، خصوصاً في ظلّ صعود تيّارات الإقصاء والتكفير. وتروي أنّ السيد فضل الله في آخر أيام حياته كان يردّد أمام بعض مساعديه: «إنني أخاف على الإسلام من هؤلاء الخرافيّين الذين باتت لهم مساحات الفضاء إعلاميّاً وسياسيّاً، ولا مجال لحماية الإسلام إلا بالاندفاع نحو خطّ الوحدة والتجديد لقطع الطريق على هؤلاء».



# المرجع فضل الله وقضايا الحركة الإسلاميّة

فاروق رزق(*)

يعدّ العلاّمة المرجع السيّد محمد حسين فضل اللّه أحد أبرز روّاد مسيرة الحركة الإسلاميّة الذين سعوا دوماً إلى تصويب أدائها وأهدافها ورفدها بالأفكار التي تغذّي ثمارها وحيويتها، كما سعوا طيلة أعوام تربو على الستين عاماً على بلورة خطابها الديني والفكري والسياسي.

والسيّد فضل اللّه، إلى ذلك، هو أحد أهم القيادات التي عملت على ترسيخ دعائم الحركة الإسلاميّة في الأوساط الشعبية العربية والإسلاميّة، وشكّل مرشداً لها يقيها من التعثّر في مراحل حرجة، ويقودها في مراحل حسّاسة إلى برّ الأمان، ويدافع عنها في مراحل عزّ فيها الناصر، ليضمن لها تحقيق أهدافها الكبرى.

لقد كان السيد صاحب خطاب مسموع عند الكثير من هذه الحركات، وكان نجماً من نجوم الحِراك، لم توجد حركة لم تدمج برنامجها أفكاراً للسيّد، أو لم تتأثّر بخطابه الحركي، ثمّ ترجمته في خطابها دون أن تحيله إلى السيّد، وهو راضٍ كلّ الرضا، إذ كان يصرّح دوماً «أعتبر نفسي وقفاً إسلاميّاً ومستعداً للعمل

---

(*) كاتب وإعلامي لبناني





مع الجميع في سبيل الإسلام».

حاول السيد إبداع نهج لحركة إسلاميّة جديدة تعمل بكلّ قوّة ووعي وتدقيق من أجل أن يكون الإسلام قاعدة للفكر والعاطفة والحياة، كما لعب دوراً كبيراً في انفتاح بعض الحركات على مقولات سياسيّة وفكريّة حديثة بعد أن كانت تعيش نوعاً من التخلّف الفكريّ، وكان الطاغي عليها التسطيح وأسلوب الوعظ والإرشاد، ولم تحمل العمق والفكر والكياسة السياسيّة ولا البُعد الاستراتيجي.

كما عمل على تهذيب نهج الحركات الإسلاميّة، وتثبيت مواقعها، وتأصيل مفاهيمها، وإثارة القضايا التي تحتاجها في مسيرتها، معتبراً أنّ ذلك هو الذي يكشف لها معالم الطريق، ويحدّد لها اتجاهات الريح، ويثبّت لها مواقع أقدامها في المسيرة الطويلة ويمنحها الثبات في حالات الاهتزاز، ويمنعها من الانحراف، ويبقى معها في الخطّ السليم.

لقد تمتع السيّد بفرادة المنهج، ودقّة التحليل، وثقافة التأمّل، وأسلوب النقد، وحكمة المعالجة، وجدّية المجتهد في مراقبة الواقع وتحليل التطوّرات ومعاينة المستجدات، دون أن يظلم أيّ عنوان من العناوين الإسلاميّة الحركيّة مهما اختلفت معه في الرأي أو الموقف.

وكان إلى ذلك، شخصيّة عارفة بعمق الإسلام وشريعته، ومتحرّكة في واقعه، ليس بإملاءات الذات الجهويّة الطائفيّة أو المذهبيّة، إنّما بشخصيّة رجل الانفتاح والإصلاح والإيجابيّة والواقعيّة والشجاعة في الخطاب، وصاحب المنظور الاستراتيجي البعيد المدى، والمعتَمِد منطق الأولويات الذي يدرك ترتيبها بنظرة علمية، وهو المفكّر والفقيه الذي قدّم للحركة الإسلاميّة روحاً جديدة وعقلاً ناضجاً وفلسفة للتعامل مع التحدّيات، متجدّدة بالتنوّع وصادقة في التوجّه.



مع كل ما تقدّم، كان السيّد من القيادات النادرة في العالم الإسلاميّ التي تُجري، بعد كلّ مرحلة من مراحل تطوّر مسار الحركة الإسلاميّة، مراجعة نقدية لما آلت إليه التجربة، حتّى لا تسقط هذه الحركة تحت تأثير الأخطاء القاتلة والمميتة، ولكي تبقى في حركة وعي للواقع فلا تقع في خطأ، وفوق ذلك لكي تعود إلى أصالة المفاهيم الإسلاميّة، بعيداً عن المفاهيم المنحولة التي قد تَعْلَقُ بأهداب مسيرتها أثناء علاقتها الجدلية بالواقع.. فكيف شخّص السيد مشكلات هذه الحركة وإلى ما دعاها؟

## أزمة خطاب ماضويّ

رأى السيّد أنّ الحركة الإسلاميّة تعاني من أزمة خطاب لايزال ينطلق من مفردات الاجتهادات التاريخية وأساليبها من دون دراسة المتغيّرات الكبيرة التي تحكم الواقع في تطوّر قضاياه وحاجاته ووسائله وعلاقاته سواء من ناحية طريقة الحكم وعنوانه وإرادته وتنظيمه، أو من ناحية الأوضاع السياسيّة التي تحيط به، أو من جانب التحدّيات الفكريّة التي تترك تأثيراتها على المسألة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة.

كما لاحظ أنّ اللّغة التي تتحدّث بها هذه الحركة، على صعيد المضمون والأسلوب، لا تتناسب مع مفردات اللغة المعاصرة، مسجّلاً العديد من الثغرات في خطابها الإسلاميّ على الوجه الآتي:

ـ الارتجال في محطّات عدّة، كمسألة الدخول في السلطة والموقف من التعامل مع الأنظمة، وتنظيم الأوضاع المحليّة للناس، فيما بين المطالبة بدولة إسلاميّة أو دولة ديموقراطيّة، أو دولة بلا دين.

ـ إثارة قضايا ميتة أمام التحدّيات المتّصلة بالقضايا المصيريّة الكبرى كإشكالات الماضي وقضاياه، والعمل على تحريك نزاعاته وخلافاته لإشغال

السّاحة بالأوضاع السلبيّة التي لا علاقة لها بالواقع من قريب أو من بعيد.

ـ الانكماش في محيط محدود يتحرّك فيه الخطاب من خلال قضايا غارقة في خصوصيّات المحيط ومفرداته الداخليّة التي تبعد الحركة عن الانطلاق على أساس الخط الإسلاميّ العام.

ـ الغلوّ الذي يجد آذاناً صاغية له من خلال فضائيّات لا همَّ لها ولا شغل إلاّ دسّ السمّ في الدسم، ما يزيد الواقع الإسلاميّ تعقيداً، ويمنعه من تلمّس الأخطار الآتية إليه من الخارج، وخصوصاً من العدو الإسرائيلي ودول الاستكبار العالمي.

ـ النزعة المذهبية التي تحاول مصادرة الحاضر على أساس خلافات الماضي، الأمر الذي يثير الشكوك والتشنّجات النفسية في ساحة الواقع الإسلاميّ الحركيّ بطريقة قد تساهم في إسقاط عناصر القوّة في خطّ المسيرة العام.

أمام هذه الثغرات الخطيرة، دعا السيد إلى ضرورة توسيع آفاق الخطاب الإسلاميّ ليشمل خطاب الإنسان للإنسان، لأنَّ «إسلامك هو عيش للإنسانيّة فيه، ولأنّ هذه الإنسانيّة هي صورة داخلنا، وصورة عقلنا المفكّر، وقلبنا النابض في الذات، وطاقتنا المتفجّرة في الواقع».

## إسلاميّون لا يملكون ثقافة الإسلام

لاحظ السيّد أنّ بعض الإسلاميّين من الدعاة والعلماء أو من الخطباء والوعّاظ أو من المتحرّكين في نطاق المسؤوليّة السياسيّة أو الاجتماعية أو حتى الدينيّة، لاحظ أنّهم لا يملكون ثقافة الإسلام، ولا يملكون كفاءة الخطاب الإسلاميّ، ولا ثقافة تحريك الخطاب الإسلاميّ في الواقع، لذلك فإنّ سلبيات خطابهم تماماً كسلبيّات أيّ خطاب ثقافيّ أو سياسيّ يقدّمه مَنْ لا يملك المعرفة الجيّدة به، ولا يملك المضمون العميق له.



كما لاحظ خللاً في الوعي الإسلاميّ عند هؤلاء فيما هو الانفتاح على الحياة الإسلاميّة التي يعيشها المسلمون في ساحات الصراع، وفي الفهم الموضوعيّ للواقع بجميع أوضاعه، أو في الثقافة الإسلاميّة المنفتحة على مشاكل الحياة وحاجات الإنسان فيها بالطريقة التي يستطيع هؤلاء من خلالها أن يواجهوا ذلك كلّه بالعمق والامتداد، بحيث يشعر الناس بأنّ الإسلام قادر على أن يملأ الفراغ من موقع فكره ومنهجه وتشريعه.

لقد استطاع هؤلاء الدعاة، وفق سماحته، أن يعمّقوا التخلّف في ذهنيّة الأمّة، ويدفعوا زعاماتهم إلى مستوى القداسة، وأن يثيروا الفتن المذهبية داخل الحياة الإسلاميّة، حتى ارتفعت الحواجز بين المسلمين بحيث حالت بينهم وبين اللّقاء حتّى في مواطن الاتفاق، وذلك من خلال التأكيد على المفردات الصغيرة والآفاق الضيقة التي تحبس كلّ مسلم في دائرته الخاصة، كما لو كانت ديناً مستقلاًّ ينفصل عن الدين الذي يلتزمه الآخر.

وفي سياق متّصل رأى السيد أنّ التيّارات الإسلاميّة تعاني في الغالب من فقدان المنظّرين الفكريّين، وأنّ أغلب قياداتها، إمّا شخصيّات شبابيّة مناضلة، أو رجالات دَعَويّة ناشطة في مجال التبليغ الديني، لافتاً إلى أنّ الضعف العلميّ الملحوظ في أوساطها قد أدّى إلى تنامي التيارات التقليديّة المذهبيّة داخلها، وهو ما ينذر في المستقبل، بافتقاد هذه التيّارات الشرعيّة الدينيّة، علماً أنّ هذا الأمر قد لا يلاحظ حالياً بسبب القوّة السياسية والإعلامية التي تملكها هذه التيارات.

## غياب حركة النقد

لاحظ السيّد، في سلبيّات واقع الحركة الإسلاميّة، غياب حركة النقد الذاتي في نطاق القاعدة والقيادة، بحيث يعيش الناس ما يُشبه عبادة الشخصيّة التي

تمنع تسجيل الملاحظات على تصرّفات المسؤولين، أو مواجهة أفكارهم بالنقد الموضوعي، فتحوّلت المسألة في الوعي الحماسيّ الانفعاليّ إلى أن يكون النقد مظهر عداوة بدلاً من أن يكون وسيلة ترشيد للقيادة وحركة مسؤولة لتحقيق الكمال للعمل الإسلاميّ، «وأصبح المسؤولون يسمعون كلمات الإطراء التي أدمنها الكثيرون منهم والتي شاركت في انتفاخ شخصيّاتهم وأفقدتهم روحانية التواضع في أخلاقهم، وحيوية التقوى في سلوكهم، حتّى تحوّلت الأخطاء مقدّسات، وبدأ الانحراف يأخذ معنى الاستقامة.. وأصبحنا نعيش في كهوف مغلقة يُمنع فيها فتح أيّ باب للحوار والنقاش».

## مرض التعصّب الأعمى

لم ينسَ السيّد التصويب على أهم الأمراض التي تعاني منها الحركة الإسلاميّة، ألا وهو سيطرة مرض التعصّب الأعمى على الكثير من النُّخب والتيّارات الإسلاميّة وادعاؤها القبض على ناصية الحقّ المقدّس دون غيرها.

ويطرح سماحته هذا المرض المقيم في داخلنا من منظور شرقيّ عام، مُظْهِراً أنّ مشكلتنا في هذا الشرق؛ وفي العالم العربي تحديداً، أنّنا نُتقن فنّ خطاب الأزمة والتعصّب، ولا نُتقن خطاب الوعي والعقلانيّة المنفتحة في كلّ ما نفكر فيه، وأنّنا نحدّق بأنفسنا قبل التحديق بالآخر، وأنّنا نحاول من خلال هذا الخطاب الديني أو الثقافي أو السياسي، أو الاجتماعي، الاستماع إلى صداه في داخلنا لا في الآخر، وبهذا كففنا عن أن يفهمنا الآخر لأنّنا لسنا معنيين به.

وكما أنّ هناك تمذهباً يصل إلى حدّ العصبيّة في الدين، يرى السيد أنّ في العلمانية تمذهباً أيضاً قد يصل إلى حدّ العصبية في الانتماء، لأنّ «قضية العصبيّة في هذا الشرق ليست خصوصية الدين في إنتاج العصبية في الإنسان، وإنّما هي

خصوصية الإنسان الذي يعيش الانفعال والغرائزية ويتحرّك من خلال كثير من مفردات التخلّف، وهو ما ينتج العصبية والحقد».

من هنا تنطلق العصبيّة، كما يحدّدها السيّد، من حالة الضعف الثقافي، لأنّ من يملك زمام الفكر الذي يؤمن به، لا يخاف من أن يعطي الحرية للآخر، فالذين يصادرون الحرية هم الخائفون من أن تصادر الحرية تخلّفهم وضعفهم وتردّدهم.

## فجوة بين الأداء والأخلاق

رصد السيّد فجوة لدى الحركة الإسلاميّة بين القاعدة الفكرية وبين الأداء الحركي، معتبراً أنّ هذا الأمر يمثّل حالة كبيرة من الخطورة، «لأنّنا عندما نفتقد القاعدة الفكريّة للأداء الحركيّ فإنّ الأداء سوف يخضع لتعقيدات الظروف، ولردود الفعل، وللأوضاع المزاجية التي تعيشها هذه القيادة أو تلك، وللمؤثّرات غير المدروسة التي ينطلق منها هذا الاتّجاه أو ذاك».

على سبيل المثال، لاحظ السيّد أنّ بعض الإسلاميّين يعتدي على الناس الأبرياء من دون أن يكون لهم دور في الصراع، بينما يؤكّد الإسلام القاعدة الأخلاقية الإنسانية «لا يُؤخذ البريء بذنب المجرم». وهكذا يمارس هؤلاء ظلم الأبرياء في الوقت الذي يحملون فيه شعار محاربة الظلم.

كما لاحظ أنّ بعض الإسلاميّين ينطلقون في حركتهم الأمنيّة والسياسيّة بالوسائل اللاأخلاقية التي يلتزمها الآخرون ما يعني أنّهم لا يملكون الأخلاق الإسلاميّة في العمل السياسي أو الأمني، وأنّهم لا يملكون الأصالة الإسلاميّة في سلوكهم العام. وقد يؤدّي هذا السلوك، كما يرى السيد، إلى تشويه صورة الإسلاميّين في نظر الناس، حتّى المسلمين منهم الذين يفهمون العمل الإسلاميّ، حركة في خط الالتزام الدقيق بأحكام الإسلام في وسائله وغاياته.



وفي هذا الإطار أيضاً، يرى السيّد أنّ العنف المسلّح الذي يأخذ فيه البعض كوسيلة وحيدة للوصول إلى النتائج السياسيّة الحاسمة قد يدفع بالحركة إلى التطوّرات السلبيّة لوسائل العنف، كالأعمال التي لا تتناسب مع الصورة الأخلاقيّة العامّة للمنهج الأخلاقي الإسلاميّ، كخطف الأبرياء أو قتل الأجانب، أو الاعتداء على المثقّفين، ونحو ذلك من الأساليب التي قد تكون لها نتائج سلبية تشوّه صورة الحركة الإسلاميّة حتّى لدى الناس الذين يتعاطفون معها.

## الذهنيّة المذهبيّة المنغلقة

لاحظ السيّد أنّ المذهبية المنغلقة لا تزال تطبع الشخصيّة الإسلاميّة بطابعها الذاتي المتخلّف، ولا يزال الواقع الإسلاميّ يرزح تحت ثقل هذه الذهنيّة في عناوينه الفكريّة وفي حركته السياسيّة، بحيث تجد الإسلاميّين، حتّى القياديّين منهم، يتحرّكون في هذه الدائرة الضيّقة في العمق، فيما يحرّكون الشعارات الوحدويّة في الشكل. وإذا كان البعض منهم قد استطاع أن ينجح في تحرير ذهنيّته من الانغلاق الفكريّ والسياسيّ فإنّه لم ينجح في استيعاب القاعدة التي تلتزم حركته لمصلحة هذه الدائرة الواسعة، ولم يتمكّن من احتواء الفريق الآخر من غير مذهبه في ساحة حركته. وقد أدّى ذلك وفق ما يرى السيد، إلى دخول الحركة الإسلاميّة في دائرة التعدّد على أساس المذهبية، كما هي الطوائف الإسلاميّة في القاعدة الشعبيّة العامة.

هذه العقليّة المذهبيّة كما يرى السيّد، سمحت:

ـ أن يبرّرهذا الفريق الإسلاميّ أو ذاك، القتل المذهبيّ من قبل جماعات تكفيريّة بحجّة أنّه يطال أتباع المذهب الآخر، ولا يمكن للإنسان أن يسجّل موقفاً اعتراضياً على المتسمّين باسم مذهبه في ظلّ أتون الحمى المذهبية، وهنا ضياع

للحق والعدل حتّى فيما خصّ انسجام الإنسان مع القيم التي ينادي بها.

ـ أن يتساهل هذا الفريق أو ذاك، في تمرير بعض الخطوط السياسيّة الدولية أو الإقليمية اللاّعبة دوماً على الوتر المذهبي، إذا ما رأى أنّ ذلك يخدم مذهبه دون الآخرين.

ـ أن يقوم هذا الفريق أو ذاك، بعقد صفقات سياسيّة سلطويّة ارتكازاً على اعتبارات مذهبيّة تضعه في مواجهة حركات إسلاميّة أخرى تختلف معه في المذهب، من دون أن تكون مناقضة له في حركتها الإسلاميّة السياسيّة ولا سيّما تجاه القضايا الكبرى.

## الأخذ بمرونة الأساليب

دعا السيّد الحركة الإسلاميّة إلى البحث عن الأساليب المرنة المتحرّكة التي يمكن استخدامها للوصول إلى النتائج الكبرى من أقرب طريق، ملاحظاً «مرونة الإسلام في أحكامه على أساس المصالح والمفاسد التي هي ملاكات الأحكام، أو على أساس العناوين الثانويّة التي تتغيّر فيها الأحكام بعناوينها الأوليّة، إضافة إلى وجود مساحة واسعة لحركيّة الأسلوب والأخذ بالأساليب المتنوّعة وصولاً للنتائج الكبرى المتوخّاة».

ومثالاً على ذلك لم يرفض السيّد العنف بالمبدأ، من حيث حاجة الموقف إليه في مواجهة العنف المضادّ، أو من خلال الحاجة إليه في بعض مواقف القوّة، التي تُوحي للناس بأنَّ عليهم أن لا ينسحقوا أمام تهاويل القوّة لدى الآخرين.

«وهكذا، لا يُرفض العنف الذي تختزنه الحياة في حركة العواصف وهيجان الأمواج وطغيان الماء وزلزال الأرض»، لكنّه مرفوض كقاعدة تشمل جميع المواقع، وكلّ الناس، لأنّ هناك موقعاً قد يثبته الرّفق بما لا يستطيع العنف أن

يثبته، كما أنّ أغلب الناس لا تنفتح قلوبهم إلاّ للكلمة الهادئة، العاقلة، أو للفكرة الموضوعيّة المتّزنة. يضاف إلى ذلك أنّ الإسلام اعتبر الرّفق أساساً للأسلوب وللحركة وهذا ما جاء به الحديث النبوي المأثور: «**إنّ الرفق ما وُضع على شيء إلاّ زانه ولا يُرفع عن شيء إلاّ شانه.. وإنّ الله** رفيق **يحبّ الرفق وإنّه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**».

إنّ الثوريّة، وفق ما يقول السيّد، لا تعني القسوة في الكلمة والعنف في الأسلوب، بل تقتضي توفير العناصر الضروريّة التي تساهم في تغيير الفكرة والموقف بالأسلوب الحكيم الذي يدرس كلّ الشروط الموضوعية في حياة الإنسان ممّا يحقّق النتيجة الحاسمة في ذلك كلّه.

## دعوة إلى الحوار الشامل

دعا السيّد الإسلاميّين إلى الدخول في حوار شامل ومتنوّع مع المختلفين كافّة حتّى «لا يغرقوا في الأوهام السياسيّة القائمة على إثارة الخوف من الحركة الإسلاميّة، ولكي لا يستسلموا للمخطّطات الاستكباريّة التي تعمل على توظيف مشاعرهم الحسّاسة في خدمة الخطط الموضوعة لإسقاط قضيّة الحرية في حياة الناس».

فعلى مستوى الحوار مع الأديان المختلفة، رأى السيد أنّه لا بدَّ من التأكيد على أنَّ كلمة الله تجمع ولا تفرِّق، وأنَّ كلّ الحروب التي نخوضها فيما بيننا باسم الله لا تزيدنا من الله إلا بُعداً، وكذلك التأكيد على نبذ العنف من قاموس العلاقة بين أتباع الديانات السماوية، وجعل التسامح قاعدة حاكمة لعلاقاتهم فيما بينهم، وإعادة الاعتبار للأديان كقيمة تتجاوز المصالح الخاصّة للمجموعات البشريّة في الشرق والغرب.



كما دعا إلى تعزيز القواسم المُشتركة بين أتباع الديانات السماويّة، والتعريف بها والدعوة إليها، وعدم وضع ما هو مُختلف في دائرة النزاع أو الصراع، فكلُّ دين له مجالاته وخصوصيّاته، وليس لأحدٍ أن يمنع أحداً من حريّة القول والفعل بحدود عدم الاعتداء المباشر الماديّ أو المعنويّ، وفي إطارٍ من احترام إنسانيّة الإنسان والتأكيد على أنّ غاية الأديان هي حماية الإنسان من الشرور والمفاسد، والعمل بمبدأ المشاركة في الدائرة الإنسانيّة العامة التي تحفظ حقوق المواطنين في الوطن وإنسانيّة الإنسان في العالم.

أمّا على المستوى الإسلاميّ، فقد أكّد السيّد أنّه من غير الصحيح إدارة الحوار بين أتباع المذاهب الإسلاميّة عن طريق التراشق بنتاج التاريخ لدى هذا المذهب أو ذاك، لأنّ الفكر يتطوّر، والظروف التاريخيّة الضاغطة على الفكر المنتِج والمُنتَج تختلف، فالأجدى هو الانشغال بالتعرّف على الآخر الذي نعيش معه، لا الآخر الذي عاش وأنتج ورحل عن الدنيا متحمّلاً مسؤوليّة ما أنتج أمام اللّه وأمام التاريخ الذي قد يحمل مبضع نقده للأفكار التي لا تحمل في ذاتها أيّ قداسة بعيداً عن الأدلّة والبراهين.. وليس معنى ذلك أن نقطع مع التاريخ كلّياً، بل معناه أن نقرأ التاريخ قراءة نقديّة، وأن نستعيد منه ما يمثّل قناعاتنا والنفع لنا في حاضرنا بكلّ تداعياته وتحدّياته المعاصرة.

وفي هذا الإطار، لَفَتَ السيّد إلى ضرورة التعامل مع التيّارات الإسلاميّة التقليديّة بإيجابيّة ومرونة وعمليّة، لتوفير الكثير من الجهد في مواجهة القوى المضادّة داخل المجتمع الإسلاميّ، «لأنّ الخصوم يسعون للاستفادة من هذا التمايز بين القديم والجديد في المسألة الإسلاميّة لمحاربة الحركة الإسلاميّة بالعناصر التقليديّة، بحيث يتحوّل هؤلاء إلى عناصر ضاغطة على الواقع الحركيّ الإسلاميّ الجديد، من خلال مواقع القوّة التي يملكونها، ومن خلال أدوات

الضغط التي يحرّكونها، ومن خلال وسائل الإثارة التي تتجمّع لديهم في تحريك السلبيّات الجماهيريّة ضدّ إيجابيّات الحركة الإسلاميّة».

أما على مستوى العلاقة مع القوى العلمانيّة، فلاحظ السيد أنّ الواقع المعقّد والتحدّي الخطير الذي تواجهه الحركة الإسلاميّة يستوجب التحالف مع القوى الأخرى التي تتّفق مع هذه الحركة في الأهداف. وأنّ المشروعيّة الإسلاميّة في هذه القضيّة تنطلق من موقع تحقيق المصالح الإسلاميّة العليا، من دون أن يشوّه ذلك الصورة الإسلاميّة أو يلوّث النقاء الإسلاميّ.

## خيار الوحدة الإسلاميّة

رصد السيّد ظاهرة فقدان سيادة فكرة الوحدة الإسلاميّة عند الحركة الإسلاميّة، سواء في الخطّ الفكري، أو المنهج الحركي، أو الأسلوب الإعلامي، أو العنوان السياسي، أو الوسائل العملية، ما جعل المسألة تتّخذ بُعداً سلبياً لا يخلو من الخطورة بحيث تعيش كلّ حركة إسلاميّة منفصلة عن الحركات الإسلاميّة الأخرى في الوعي والممارسة والعمق والامتداد.

ويؤكد السيّد في هذا المجال أنّ الوحدة الإسلاميّة هي الخيار الوحيد الذي لا بدّ للمسلمين جميعاً من أن ينطلقوا نحوه ليحقّقوه في كيانهم الثقافيّ والسياسيّ والفقهيّ والاجتماعيّ.

يقول سماحته: «إنّ الإسلام شدّد في تعاليمه وأحكامه ومفاهيمه على التلاحم داخل الجسم الإسلاميّ، وعلى اعتبار المسلمين بمثابة الجسد الواحد الذي تتداعى له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر إذا اشتكى أيُّ عضو من أعضائه، وعلى تقديم الشخصيّة الإسلاميّة العامّة على أيّة شخصية أخرى، سواء أكانت إقليمية أم قُطرية أم حتّى مذهبيّة، لأنّ الإحساس بحضور هذه الشخصيّة يدفع بالأفراد

والجماعات والحركات إلى تلمّس الأهداف الكبيرة، انطلاقاً من شعور كلّ هؤلاء بأهميّة الانتماء إلى هذه الشخصيّة والعمل وفق المقتضيات التي يفرضها هذا الانتماء».

ويضيف سماحته، أنّ النبي الأكرم (ص)عمل على صوغ المجتمع الإسلاميّ على أساس الوحدة التي تدفع كلّ شرائح هذا المجتمع إلى التفكير في أنّ ثمّة مسؤوليّة تقع على عاتقهم تقتضي منهم الاهتمام بأمور المسلمين، وأنّ الهروب منها يعني الخروج من الدائرة الإسلاميّة بشكلٍ عمليّ. ولا يعني ذلك أنْ يعمد المسلمون إلى إلغاء خصوصيّاتهم وانتماءاتهم الإقليميّة أو الوطنيّة، ولكن ألاّ يفسحوا المجال لهذه الخصوصيّات أن تتحكّم بذهنيّتهم في مسألة التفاعل مع القضايا الكبرى.

ويشير في هذا السياق، إلى أنّ الواقع قد يفرض على الحركة الإسلاميّة أن تعمل للاستفادة من الخصائص الذاتيّة أو الظروف الموضوعيّة التي تتيحها هذه السّاحة أو تلك لتحريك الحلول الواقعيّة الإسلاميّة في المشكلات العامة أو الخاصّة، ولكن لا بدّ للعمل أن يتحرّك على أساس جعل الخصوصيّات في خدمة الخطّ العام.

وعلى ضوء هذا الواقع، يشدّد السيّد على الحاجة إلى مبادرات وحدويّة غير عادية تعمل على تلمّس آليات واقعيّة متحرّكة لإخراج الأمّة من جحيم المذهبيّة المغلقة التي يتثقّف بها الناس يومياً من خلال انفعالهم بالحوادث بطريقة موجّهة وغير حكيمة، داعياً الحركة الإسلاميّة إلى التنبّه إلى خطورة ما يجري والعمل على المستويات كافّة لإعادة تحريك العنوان الإسلاميّ في الأمور السياسيّة، بحيث يخرج هؤلاء من انغلاقهم على العنوان الداخلي لحساب العنوان العام.



## التوازن في العمل الإسلاميّ

لفت السيّد إلى أنّ الحركة الإسلاميّة تملك قوّة جهادية ولكنّها لا تفهم دور المرأة في الإسلام مثلاً، أو كيف تواجه الانحرافات بالأساليب المرنة المنفتحة، فهي تعيش في قلب العصر جهادياً، ولكنّها تعيش ما قبل القرون الوسطى ثقافيّاً، أو تعيش المسألة السياسيّة من خلال التجريدات أو أنّها تعيش الانغلاق عن الآخرين.

لذا دعاها إلى التوازن في العمل الإسلاميّ بين ما هو سياسيٌّ وما هو فكريٌّ وروحيٌّ واجتماعيٌّ، لأنّ هذا التوازن هو الذي يضع العمل في إطاره الصحيح، ويحقّق له الكثير من النتائج الإيجابيّة على صعيد الحاضر والمستقبل في ساحة الصراع الفكريّ والسياسيّ، ولأنّ التحرّك الخارجيّ لا ينطلق بقوّة إذا لم يكن البناء الداخلي في الحركة الإسلاميّة والواقع الإسلاميّ قويّاً في مضمونه، منفتحاً في آفاقه، متوازناً في مواقعه وتطلّعاته وحاجاته وأهدافه، فلا يطغى جانب على جانب، ولا يقوى موقع على حساب إضعاف آخر.

كما شدّد على ضرورة عدم إغفال الجانب الروحيّ، فكراً وممارسة وشعوراً، لأنّ له الدور الكبير الفاعل في شخصيّة الإنسان المسلم «التي لا تمثّل حالة فكريّة ثقافيّة مجرّدة، أو حالة علميّة متحرّكة بل هي إلى جانب ذلك طاقة روحيّة إيمانيّة متجدّدة فيّاضة بالمعاني الروحيّة، التي تصل الإنسان بالله»، ولأنّ الإسلام، كما يراه، فكرٌ وعملٌ وحركةٌ وروحٌ ممتدّة في عمق الحسّ الإنسانيّ.

وفي سياق التوازن المطلوب، أثار السيد اهتمام الحركة الإسلاميّة نحو الأعمال الاجتماعيّة الخيريّة، ليشعر المسلمون أنّهم يعيشون الرعاية الإسلاميّة داخل مجتمعاتهم، وبذلك لا ينعزل العاملون للإسلام عن حركة الناس من حولهم، بل يشعرون بأنّهم قريبون من القضايا الحياتية اليومية للناس، ملاحظاً أنّ الإسلام يتحرّك من أجل الإنسان في قضاياه الكبيرة والصغيرة.

## إعادة النظر في التصوّرات الفكريّة

أثار السيّد مشكلة عدم وجود برنامج تفصيليّ يتناول التصوّر الإسلاميّ للعناوين الإسلاميّة الكبيرة، في الخطّ السياسيّ والنهج الاقتصادي والأسلوب الإعلامي، حتّى إنّ الحركات الإسلاميّة التي تحوّلت إلى دولة، «لا تزال تنطلق في تقنينها الإسلاميّ من المفردات الفقهيّة المتناثرة هنا وهناك، من دون منهج عام تتوزّع خطوطه على كلّ المواقع».

مثالٌ على ذلك، يرى السيّد أنّ الحركة الإسلاميّة لم تقدّم نظرية سياسيّة متكاملة ومتمايزة عن النظام الليبرالي، متسائلاً عن دور الشّعب في المسألة السياسية؟ وعن دور الحاكم فيها؟ وملاحظاً أنّ هناك أفكاراً عامّة تقول بأنّ للأمّة دوراً في انتخاب الحاكم على أساس نظريّة الشورى، أو على أساس نظريّة ولاية الفقيه. لكن عندما تُدرس المسألة على حجم الواقع، فإنّ النظرية الإسلاميّة لم تستطع حتّى الآن أن ترسم الآلية التي تحمي الشعب من انحراف الحاكم أو تركّز للمسألة الشعبية خطوطها في مسألة ممارسة الشّعب لدوره؛ هل يمارس الشّعب دوره حتّى مع اختلاف الآراء، خصوصاً إذا كانت هناك آراء تختلف عن الخطّ الإسلاميّ المعتمد؟ أو هل يفسح المجال للمختلفين أن يعبّروا عن آرائهم؟ وكيف يتحرّك الاستفتاء أو الانتخاب على أساس شروط إسلاميّة معيّنة؟.

وفي سياق نقده للأدبيّات السياسيّة، يشير السيد إلى أنَّ الإسلام يؤكّد الحرية، معتبراً حرّية الإنسان داخل النظام الإسلاميّ ضمن الدائرة الأخلاقيّة التي يخضع لها التشريع الإسلاميّ في تنظيم حياة الإنسان، كما أنّ الإسلام لا يتحرّك على أساس الديكتاتوريّة، بل يعتبر أنّ للناس دورهم في معالجة مشكلاتهم.

قد لا تكون الديموقراطية بتفاصيلها الفكريّة والقانونيّة، كما يرى السيد، هي ما نلتزمه كاملاً، ولكنّ روح الديموقراطيّة التي تعتبر أنّ رأي الناس مهمّ في اتّخاذ أيّ

قرار داخل الدولة، لافتاً إلى «أنّ الإسلام لا يتنكّر للناس فيما يراد أن يتّخذه النظام الإسلاميّ من مواقف سياسيّة أو اقتصاديّة أو ما إلى ذلك، لأنّ النظام الإسلاميّ لا يمثّل الحكم الإلهيّ المطلق كما يصوّره البعض في القرون الوسطى، حيث يعتبر رئيس الدولة نفسه ظلّ اللّه على الأرض، وأنّ كلمته التي قد تنشأ عن مزاجه نافذة على كلّ الناس، بل إنّ رئيس الدولة هو إنسان يتقيّد بالقانون في قراراته كما يتقيّد أصغر إنسان بالقانون، وللأمّة أن تحاسبه على أخطائه، ولها أن تعزله إذا انحرف».

وفي مثال آخر، يرى السيّد أنَّ الحركة الإسلاميّة لم تستطع أن تقدّم حتّى الآن، نظريّة إسلاميّة اقتصاديّة في الخطوط العامّة متمايزة عن الخطوط العامّة في النظرية الاشتراكية أو الرأسمالية، مشيراً إلى أنّ هناك مفردات يتحدّث عنها المفكّرون الإسلاميّون لم تصل إلى مستوى النظرية العامّة. ومع تقديره لما كتبه السيّد الشهيد محمد باقر الصدر، وتقديره لبعض التجارب التي كتبها أبو الأعلى المودودي أو بعض المفكّرين الإسلاميّين، لكنّها بنظره، تحرّكت في نطاق النظرية الفوقيّة ولم تتابع التجارب على الأرض، ولم تدخل في عملية مقارنة بين النظريّة الإسلاميّة والنظريّات الأخرى.

وفي هذا الإطار، لاحظ السيّد أنّ النظام الاقتصاديّ في البلاد الإسلاميّة لا يستطيع، على الأقلّ في ظروفه الحاضرة أو في المستقبل المنظور، أن يتحرّر من ارتباطه بالاقتصاد العالمي، أو من ارتباطه بالاقتصاد الأميركي بالذات، من خلال طبيعة التعقيدات الاقتصاديّة التي تمنع أيَّ بلد أن يكون اقتصاده مستقلاً، متسائلاً هل يستطيع الاقتصاد الإسلاميّ أن يركّز نظريّته في أرض الواقع بحيث يتحرّر من ضغط الآخرين؟ وكيف يمكن أن يلائم بين النظريّة الإسلاميّة تجاه الرباط بين الواقع النقديّ أو التجاريّ الاقتصاديّ في العالم؟، متصوّراً أنّ العمل الإسلاميّ لا يزال غير دقيق في هذه المسألة.



## تأصيل القضايا المعاصرة

دعا السيّد الإسلاميّين إلى أن يتحمّلوا مسؤوليّة تقوية عناصر الحياة للحركة الإسلاميّة، من خلال الوقوف أمام التطوّرات الإنسانيّة في الفكر والسياسة والاجتماع والاقتصاد، لافتاً إلى ضرورة تأصيل العناوين الجديدة التي فرضتها التطوّرات، كقضايا حقوق الإنسان، والحريّات الإنسانيّة، وقضايا المرأة، والتعدديّة والديمقراطيّة، والبيئة والتنمية، والمتغيّرات الواقعة في العالم الإداريّ والقانونيّ والاجتماعيّ الذي يبحث عن أجوبة فقهيّة أو فكريّة للكثير من علامات الاستفهام التي تتحدّى الجميع. وبذلك تثبت الحركة الإسلاميّة أنّ خطوطها الفكريّة تملك القدرة على رعاية حاجات الإنسان كلّها في واقع المتغيّرات العامّة أو الخاصّة، وتستجيب للتحدّيات المتنوّعة على كلّ الصعد.

وبذلك أيضاً، تكون في موقع الفعل الذي يؤكّد أصالة مفاهيمه الفكريّة، بدلاً من موقع ردّ الفعل الذي يمثّل خطّ الدفاع أمام اتّهامات الآخرين، فتكون صدى لهم وللطريقة التي يعالجون بها الأمور.

## مركزيّة القضيّة الفلسطينيّة

حثّ السيّد على التصدّي للكيان الإسرائيلي انطلاقاً من رفض شرعيّة وجوده كدولة، «لأنّ أحداً لا يملك أن يعطي المشروعيّة لدولة قامت على تشريد شعب من بلده، والسيطرة عليه من دون رضاه بواسطة الإرهاب والدعم الدولي من الدول المستكبرة التي رأت في ولادة هذه الدولة اللاّشرعيّة حماية لمصالحها ولأطماعها في منع العرب والمسلمين من التحوّل إلى قوّة موحّدة في تأكيد وجودها ومواجهة المستكبرين الظالمين».

في ضوء هذا، وجد السيّد أنّ وسائل التصدّي لا بدّ أن تبقى في عملية إنتاج

دائم من خلال الظروف المتجدّدة والمتغيّرات المتحرّكة، لتحديد نوعيّة أسلوب المواجهة، وذلك من خلال الموقف الإسلاميّ الحاسم في رفض الاعتراف بهذه الدولة حتّى وإن اعترف بها العالم، بما في ذلك الدول الإسلاميّة.

لذلك دعا إلى عدم التعقّد من الظروف الضاغطة القاسية التي قد تجمّد حركة المقاومة، فنسقط تحت تأثيرها لنقول: «وداعاً أيّها السلاح» ونتبنّى رفض العنف لمصلحة عناوين السلام، بل «لا بدّ أن ننظر إلى هذا الواقع، تماماً، كمشكلة صعبة تحتاج إلى دراسة من أجل إيجاد حلّ لها في نطاق الظروف الموضوعيّة، ولنتعرّف من خلال ذلك على طبيعة هذا الحدث السلبيّ، وعلى نوعيّة الإمكانات التي تملكها، والموانع التي تقف أمامنا، ولنجيب على السؤال التالي: هل إسقاط العنف المسلّح في حجم الاستراتيجيّة أو في حجم المرحلة؟ وهل هنالك في المستقبل القريب أو البعيد أيّ إمكانية لتجديد المقاومة على أساس أنّ الحاضر إذا ضاق ببعض الوسائل فقد نجد في المستقبل أكثر من فرصة واسعة لتحقيقها؟».

إنّ الخطّ الإسلاميّ في رفض المنكر وفق ما يرى السيّد، يخضع للقاعدة التي يعبّر عنها الحديث المأثور: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». ما يوحي بأنّ من الضروري أن يبقى الرفض حيّاً في الوجدان وينطلق التعبير عنه بمختلف الوسائل سواء بالنظرة أو المقاطعة، أو بأيّ شيء آخر، ليتطوّر بعد ذلك، من خلال المتغيّرات السياسية والأمنيّة.

هكذا أثار سماحة السيد (رضوان الله عليه) التساؤلات الكثيرة حول مسار الحركة الإسلاميّة على مستوى النظريّة وعلى مستوى التطبيق، وعلى مستوى العناوين التي طرحتها هذه الحركة في الواقع الفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ، والمشاكل التي أثارتها في الميادين المختلفة، والتحدّيات التي واجهتها أثناء مسيرتها، أو النتائج التي وصلت إليها... فهل من مستجيب؟

# مفتاح الوحدة في فكر العلاّمة المرجع فضل الله رضوان الله عليه

إسماعيل الزين[*]

من منّا لم يسمع آلاف المرّات كلمات يردّدها السيد رضوان الله عليه: «الواقع، الوحدة، الحوار، الإنسان، قبول الآخر..» «ذهنية قبول الآخر لا ذهنيّة نفي الآخر».

«الذهنية الشرقية تعارفت أن لا تحرّك حلماً على الأرض» لأنّها لا تريد أن تخطّط انطلاقاً من الواقع، بل استهلكت التنظير ورفع الشعارات والوقوف موقف ردّ الفعل لأنّها لا تريد أن تتحمّل المسؤولية.

وهنا السؤال الكبير: أيّة ذهنيّة تحكمنا بالآخر: هل ذهنيّة قبول الآخر؟ أم ذهنيّة نفيه؟ ففي أصل بنائنا الثقافي عشنا ثقافة نفي الفكر الآخر، ونفي الدين الآخر، حتى وصل بنا الأمر لنفي العائلة الأخرى في البلد الواحد. لذلك كان النقد عداوة، والخلاف خصومة.

يقول السيد رضوان الله عليه: «نحن لم نكن إسلاميّين بذلك، أي مسألة قبول الآخر» لأنّ المسألة هي ليست أنّه كلّما وقفنا بسلبية ضدّ الآخر كنّا متديّنين أكثر،

---

(*) مدير مؤسسة الإمام الهادي للإعاقة السمعية والبصرية(ع).

لأنّ الذهنية الإسلاميّة هي ذهنية قبول الآخر والانطلاق معه في مواقع اللّقاء ثم الانفتاح على مواقع الاختلاف من موقع اللقاء مع الآخر.

ويستند السيد رضوان الله عليه إلى زمن الدّعوة الإسلاميّة الأولى حيث كان هناك أيضاً «الآخر» كانت هناك اليهودية والنصرانية، وانطلق معها لأنّها كانت تنطلق من قاعدة. فاليهودية انطلقت من التوراة، والنصرانية انطلقت من الإنجيل، ولو كان الإسلام يختلف في تصوره للإنجيل والتوراة عن اليهودية والنصرانية، ولكن الإسلام والمسلمين ينطلقون من قاعدة مشتركة نلتقي عليها معهم، فإنّ النقاش في التفاصيل لا يشكل انفصالاً بين الناس، بل ستكون قضية تغنينا جميعاً، لأنّها تفتح الحوار، يقول تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[آل عمران:٦٤].. فالقرآن تحدّث عن توحيد الله حتى مع الخلافات في معنى الله، وتحدّث عن وحدة الإنسانيّة، فلا يكون الإنسان ربّاً للإنسان يستعلي الإنسان على الإنسان، وعليه إذا انطلقنا من هذه الأرض المشتركة، فمن الممكن جداً أن نعالج مواقع الخلاف من روحيّة مواقع اللقاء، لذا، فالإسلام واقعي يريد أن يزرع روحيّة جديدة في الآخر وفي الذي يلتزمه، لأنّك عندما تزرع الروحيّة، فإنّ الخطوات الأخرى ستبقى تفاصيل، فالإسلام في الوقت الذي يؤكّد التزامه بكلّ عناصر عقيدته لا ينفي الآخر، وإنّما يقبل الآخر كشريك في الواقع، حيث أكّد التعايش مع أهل الكتاب.. فهناك قانون الذمّة الذي يفسح المجال لأهل الكتاب أن يعيشوا مع المسلمين بكلّ احترام، وحتى هذا القانون إذا لم يقبله بعض أهل الكتاب فهناك المعاهدة، ويستند السيد رضوان الله عليه إلى أنّ النبي محمّداً(ص) عندما جاء إلى المدينة بدأ بالمعاهدة قبل أن يبدأ بقانون الذمّة، لذا كانت الوثيقة الأولى وأقدمها هي وثيقة المعاهدة،



حيث أجراها النبي (ص) بين اليهود والمسلمين، وبين المسلمين أنفسهم، بحيث جعل المعاهدة واحدة بين المسلمين مع بعضهم البعض وبين اليهود والمسلمين كدلالة على أن هناك مجتمعاً واحداً متنوّعاً يتعاهد كلّ أفراده على أساس الحماية المشتركة وعلى أساس التعاون المشترك...

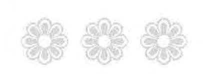
## الإخلاص للقضيّة للذات..

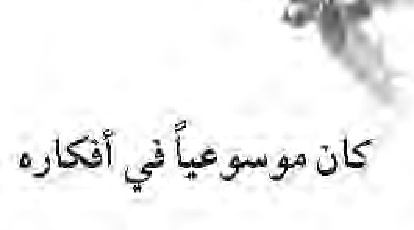
يؤكّد(رض) أنّنا نحتاج أن نعمل على أن نغيّر ذهنيّتنا التي عاشت على نفي الآخر، إلى ذهنية تُعنى بقبول الآخر، وبل يذهب أكثر «أنّه علينا أن نربّي أولادنا على أن يقبلوا رفاقهم ممّن لا يُرى رأيهم، ولا يتمذهب بمذهبهم، فإذا استطعنا أن نؤكّد هذا المعنى عند ذلك يمكن أن يكون ذلك مدخلاً طبيعياً لنتائج الوحدة بطريقة واعية وهذا يحتاج إلى الكثير من إخلاص الإنسان لفكره وإخلاصه لقضيّته» ويقول رضوان الله عليه «نحن لسنا مخلصين لأدياننا ولأفكارنا ولقضايانا، نحن مخلصون لذاتنا باسم أدياننا، ولمصالحنا الخاصة باسم مصالحنا العامة» ويطلّ رضوان الله عليه هنا على تجربة الإمام علي(ع) في موضوع الخلافة والإمامة، حيث كان يعتبر(ع) نفسه مسؤولاً عن الإسلام كلّه، سواء كان داخل الحكم أو خارجه، ففي خطابه(ع) لأهل مصر وهو يتحدّث عن مفاجأة السقيفة «**فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيتُ راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد(ص) فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم هذه التي هي إنّما متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه...**» هذه تجربته(ع) في قضية المسلمين ولم يكن فيها إلا جور عليه(ع) خاصة.



خلاصة: علينا أن نفحص أنفسنا هل نحن بالروحية التي نتقبّل فيها الآخر، لا لنتنازل عن مواقفنا، بل من أجل إخلاصنا للعنوان الكبير الذي نختلف في تفاصيله، وهذا يحتاج كما يقول رضوان الله عليه إلى رصيد نفسي كبير يتّقي الله تعالى..

عندما نفكّر في قبول الآخر من أجل القضية عند ذلك يكون الحوار له معنى، وللحوار شروط لدى سماحته رضوان الله عليه، يجب أن نسلكها كي يثمر هذا الحوار التزاماً بأنّنا اثنان يتحاوران للوصول للحقيقة ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[سبأ: ٢٤] وأرغب أن أختم بقولٍ لسماحته رضوان الله عليه منتقداً عادة نسلكها دائماً وهي ادعاؤنا أنّنا نفهم الآخرين أكثر ممّا نفهم أنفسنا لنتنزل إلى أعماق أنفسنا، «نحن نحفر في كلّ يوم بئراً لنشرب، لماذا لا نحفر آبار أنفسنا لنشرب منها النبع الصافي والفطرة الطيّبة السليمة».





# كان موسوعياً في أفكاره

د. عدنان السيّد حسين[*]

كان سماحته رائداً في الفكر، وفي الفكر الاجتماعي بشكلٍ خاص، فضلاً عن المعتقد الديني والفقه المتفرّع من الفكر الإسلاميّ وفق قواعد الشَّريعة.

العلاقة معه لم تكن بين رجل سياسة ورجل دين بقدر ما كانت بين أستاذ جامعي يريد التعرّف أكثر إلى الفكر الإسلاميّ ومرجع كبير كسماحة العلاّمة المرجع فضل الله(ره)، وإضافةً إلى العلاقة الإنسانيَّة التي كانت تجمعني به، كان يعتبرني من الأصدقاء، وكنت أرتاح إلى اللّقاء معه، كنّا نتحدَّث في أمور عامَّة وأمور المجتمع، فضلاً عن أمور الدين، ولما عُيّنت وزيراً قال لي(ره): «الله يعينك يا عدنان» أنت تسير بين النقاط، وأنت في لبنان تعرف طبيعة البلد وتعقيداته.

استفدت من سماحته كثيراً، وكنت أشعر بأنَّني أمام عالمٍ زاهدٍ وإنسانٍ في الدَّرجة الأولى، وقد كنتُ أسمع من الذين يزورونه باستمرار أنَّ زيارة السيِّد فيها رغبة وشغف عند هؤلاء الأشخاص والأصدقاء، أو الَّذين يريدون التعرّف

(*) رئيس الجامعة اللبنانية.



إليه، وأذكر منهم على سبيل المثال، المرحوم الدكتور أنيس الصايغ، وهو من كبار المفكّرين الفلسطينيّين، ورئيس تحرير الموسوعة الفلسطينيَّة الَّتي صدرت بجزئيها الكبيرين؛ فلسطين العام وفلسطين الخاص، والَّذي أراد من خلالها أن يؤرّخ للقضيّة الفلسطينيَّة... وأذكر أنَّني زرت سماحة السيد برفقة الأستاذ أنيس، وكان حديثاً مهمّاً عن فلسطين والفكر الإسلاميّ والإنساني عامةً.

كان سماحة السيد إنساناً، ومريدوه ليسوا فقط من المسلمين، فالمسيحيون يأتون إليه، وأعرف أنَّ بعض الملحدين وربما الوثنيّين من بلدان مختلفة كانوا يزورونه طلباً لفكره الإنساني وإرشاداته وتوجيهاته في كثير من المجالات...

كان سماحة السيد علاّمة ومرجعاً كبيراً في الفقه الإسلاميّ، إضافةً إلى أنّه إنسان في الاجتماع وفي علاقاته الإنسانية وأديب وشاعر، وكنت أطرب عندما أسمع منه بعض الأشعار، وفي المقابل، كنت أُسمعه بعض ما حفظت من الزّجل اللّبناني، لأنّني من المتابعين للزجل، طبعاً لا أستطيع أن أدّعي أنّي أنظم الزجل أو الشّعر، ولكن كنت من الَّذين حفظوا بعض الزجليّات القديمة، وكان سماحة السيد يقدّر لهؤلاء الشّعراء الفطرة الصافية والانتماء الوطني والبُعد الإنساني في الشعر، ولو تفرّغ سماحة السيّد للشعر لكان من الشعراء الكبار بلا شك.

لعلَّ الكثيرين يعرفون أنَّ سماحة السيد فضل الله هو رجل دين مسلم على المذهب الشيعي الجعفري، هو ليس فقط كذلك، إنّما هو مفكّر في علم الاجتماع، لأنَّه تحدَّث عن أحوال الإنسان بالمطلق وعن أحوال المرأة، وعن قضايا كثيرة تتعلَّق بالشَّباب ومشكلاتهم في هذا العصر، إضافةً إلى أنه تطرَّق إلى الفكر السياسيّ بشكلٍ أو بآخر عندما تكلَّم عن ولاية الفقيه والشّورى وأنظمة الحكم والدولة... وفكرة الدولة هي أساس الفكر السياسيّ، لا بل هي أساس السياسة بشكلٍ عام.



خسرت الأمة قائداً من قادتها ورائداً من روّادها، كما أنّ لبنان خسر مساعداً له على النهوض وتجنّب المشاكل الداخليَّة والحروب الأهليَّة

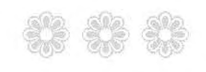
الفكر الإسلاميّ عند العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله(ره) هو فكر إسلاميّ متجدّد دائماً، فهو لم يجدّد في شأن دون آخر.. لذلك كان المرجع المجدّد والمستنير، وأعتقد أنّه يتابع ما بدأه تيار الجامعة الإسلاميّة في مجال التجديد الفكري والفقهي، وأعني به تيار الإمامين الكبيرين، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومن بعدهما عبد الرحمن الكواكبي، إضافةً إلى عددٍ كبيرٍ من العلماء والمفكّرين والفقهاء، وصولاً إلى زمان سماحة السيد، طبعاً مروراً بالمرجع الأكبر في بلاد الشام اللّبناني المرحوم السيد محسن الأمين من بلدة شقراء الجنوبية، هو المرجع الأعلى المقلَّد، وشيخ الأزهر الشَّيخ محمود شلتوت(ره) في مرحلة الستينيّات الذي كان من المجدّدين الكبار.

تميَّز سماحة السيد بالإحاطة العامة للأمور، فكان موسوعيّاً في أفكاره، كما تميّز بالرغبة في التجديد والانفتاح على العصر، فقد كان يسأل في القضايا الطبيّة قبل أن يفتيَ في موضوع طبيّ، وكان يسأل عالم الاجتماع عن قضايا اجتماعية، كان يسأل عالم السياسة عن قضايا لها علاقة بالسياسة وإدارة الدولة، كان يسأل المتخصّصين، لذلك عندما يتحدَّث عن دور وليّ الأمر الذي يقود البلد أو الدولة أو المجتمع، يطلب من هذا الوليّ أن لا يركن فقط إلى معرفته الخاصّة وفكره الخاص، بل أن يستعين بالمتخصّصين في مجال الاقتصاد والاجتماع والعلوم كافّة، بما فيها العلوم الدقيقة، وصولاً إلى الاكتشافات الحديثة والتكنولوجيا، وقد كانت هذه سمة من سمات هذا الرجل الكبير الذي لم يقف عند حدود التقليد الكلاسيكيّ أو التقليديّ الموروث، بل فتح باباً للتجديد؛ تجديد الفكر الإسلاميّ والفقه الإسلاميّ والحياة العامة للمسلمين في ضوء حقائق العصر.



كان يوصي دائماً بالانفتاح والوحدة والعقلانية، ويشدّد على دور العقل وأهميّة تحكيمه عند اتخاذ القرار بدلاً من إعمال الغرائز وإثارة العواطف، كما كان يشدّد على صيغة لبنان، أذكر مثلاً عندما تشرّفت بزيارته بصحبة صديقنا معالي وزير العدل الدكتور إبراهيم نجار في مكتبه قبل بضعة شهور من غيابه، قال لنا إنَّ لبنان أمانة عندنا، علينا أن نحافظ عليه وأن نحميَه، وأن ندافع عن خصوصيّته، نحن نقدّر المسيحيّين ويهمّنا الوجود المسيحي في لبنان، فبدونه لا يعود هناك شيء اسمه لبنان.

لقد خسرت الأمّة قائداً من قادتها الكبار ورائداً من روّادها في الفكر الإسلاميّ والإنسانيّ، كما أنّ لبنان خسر عاملاً كبيراً مساعداً له على النهوض وتجنّب المشاكل الداخليَّة والحروب الأهليَّة، وبلا شك كنت أعلم قبل شهور من وفاته، أنَّه مريض وأنه دخل المستشفى عدّة مرات، لم أُفاجأ بالخبر في حينه، لأنّني كنت متابعاً لما يُروى من الأطباء عن حالته الصحيَّة، وخصوصاً منذ شهر شباط، وقد توفّي (رضوان الله عليه) في شهر تموز، ولكنني شعرت بالفراغ أكثر عندما لاحظت هؤلاء القادمين من الصين والهند ومن بلدان بعيدة عن لبنان، للاهتمام بسماحة السيد أثناء التشييع وما بعد التشييع، ولطلب الإمداد من فكره.



# الغائب الحاضر.. سماحة السيد المرجع آية الله محمد حسين فضل الله

د. سعاد نور الدين[*]

في الذكرى الثانية لرحيلك يا سماحة السيد، تدفعنا الجرأة أن نعبّر عن محبّتنا لك ولو بقليلٍ من الكلمات والعبارات، لكن ماذا نكتب عن العمالقة، وهم القلّة الخالدون على مرّ العصور والأزمنة، كلٌّ في مجال اختصاصه، فكيف إذا اجتمعت خصائص عدّة في شخصك الكريم، فماذا نكتب عندئذٍ؟ وعَمَّ نكتب؟

في المجال الديني، كنت الرائد والمجتهد المستنير، أصغت إليك وتأثّرت بنهجك كلّ الفئات العمريّة من رجالٍ ونساء على حدٍّ سواء، ومن عرب وأجانب، ومن مسلمين وغير مسلمين. أتى إليك العديد من المثقّفين والإعلاميّين والسياسيّين وعلماء وغيرهم، من كلّ بقاع الأرض، ليتعرّفوا عن كثب على رجل الدّين المنفتح المتواضع الذي شكّلت نظرته المتجدّدة إلى مفهوم الواقع الاجتماعي، بكلّ أبعاده، نقلة نوعيّة، كان لها مناصرون وأتباع كثر، وكذلك ممتعضون أيضاً، حتى من جهات دوليّة، كانت تهابه، ألم يُعاقَب ويُحاسَب بعض من أبدى تقديره واحترامه لنهج هذا المرجع الجليل عند وفاته، من دول

(*) كاتبة وباحثة لبنانية.



ومؤسّسات تدّعي الديموقراطية؟

دعا باستمرار في خطبه ومواعظه إلى نبذ التفرقة أياً كانت: مذهبية، طائفية، عرقية، أو على أساس الجنس واللون، وللأسف كم نفتقد في وقتنا الراهن الحالك لهذا الخطاب المعتدل المتّزن، العقلاني والمتعقّل، حتى من قِبل بعض رجال الدين.

في المجال الإنسانيّ، أسّس المؤسّسات الرعائيّة في ميادين الخدمة الاجتماعية كافّة، ضمن جمعية المبرات الخيريّة، فكانت الصروح التربويّة المترامية في معظم المناطق اللّبنانيّة والتي تضمّ آلاف الطلاّب الأيتام والمعوزين وذوي الحاجات الخاصّة، يتلقّون أفضل العناية في التعليم الأكاديميّ والمهنيّ وبأفضل الطرق الحديثة والتجهيزات، وكلّ المستلزمات الأخرى باحترام وعناية، والتي قال فيها وزير الشؤون الاجتماعية السّابق الدكتور سليم الصايغ، عند زيارته لها: «إنّها نموذجٌ للتجارب العلميّة والرعاية والعناية، من الألف إلى الياء، لا سيّما لذوي الحاجات الخاصّة من ذوي الإعاقات السمعيّة والبصريّة، حيث لمستُ لمسَ اليد، واكتشفتُ بأمّ العين الأداء الرفيع لهذه المؤسّسات».

ثم كانت الفكرة الرائدة في التوسّع بالمؤسّسات التي تؤمّن التمويل الإضافيّ للجمعيّة وفرص العمل للخريجين، مثل قرية السّاحة ومحطّات الوقود........ وغيرها.

ناهيك عن الاهتمام بالمسنّين والمرأة والمؤسّسات التثقيفيّة والترفيهية، والاستشفائية، والاحتفال بمختلف المناسبات، دون تمييز بين الذكور والإناث.

كما أنّنا لا ننسى السيّد الشاعر المرهف في دواوينه العذبة واهتمامه بكلّ أنواع القراءة والمطالعة، وانتقاله أسبوعيّاً إلى مقام السيدة زينب(ع) في الشام

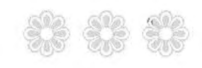


لإعطاء الدرس الدينيّ...... وعن ماذا نتكلّم أيضاً وأيضاً أيّها الموسوعة في رجل. وتدفعنا حشريّتنا لنسأل هل كان للراحة عندك مكان ؟ أم كنت عدوّاً لها؟ فعجّلت بالرحيل.

إرْثُك السّاطع يا سيّدي، سيبقى أنموذجاً يُحتذى به، من جيلٍ إلى جيل، على مرّ العصور.

يا سيدي ما زلت حاضراً بيننا، ولا نشعر بالغياب، سوى عند اقترابنا من جامع الإمامين الحسنين(ع)، فتنتابنا الرّهبة ووجع الفراق.

كلّ الرحمة لروحك الطاهرة.







# داعية التقريب

سركيس نعوم (*)

نفتقد في هذه المرحلة وخلال هاتين السنتين الماضيتين السيد محمد حسين فضل الله المرجع الكبير والعلاّمة البارز... افتقدناه كثيراً، لأنّنا كُنّا في حاجة إليه خصوصاً في مرحلة بدأ فيها لبنان يعود مجدّداً نحو التفكّك، ليس سياسياً فحسب، ولكن طائفيّاً ومذهبيّاً. وبدأ محيطه أيضاً يتعرّض إلى امتحاناتٍ طائفيّة ومذهبيّة، وقد تكون المنطقة كلّها ذاهبة في اتّجاه توتّر.. ولا أقول حرب، ولكن توتّر كبير بين السُّنّة والشيعة...

السيد (رحمه الله) كان من دعاة التقريب بين المذاهب، وكانت هذه الدّعوة من قلبه وعقله، وليست مجرّد كلام يُطرح في المناسبات.. وعمل على هذا الأمر طويلاً، وبذل الكثير من الجهود في هذا الاتّجاه.. لكن الظروف والأوضاع التي كانت سائدة في لبنان والمنطقة، شاءت أن لا يتمكّن من النجاح في هذا الأمر، وبالتالي بقيت الفتنة المذهبية ماثلة أمامنا، مشكّلةً خطراً جسيماً يتهدّد الكيان اللّبناني والكيان السوري وكيان الدول العربية كلّها مجتمعة...

---

(*) من كبار صحافيي لبنان.

وجود السيد في هذه المرحلة مهم جدّاً، ربّما لم يكن سيتغيّر الشيء الكثير، ولكن على الأقل، كان سيكون هناك صوت مؤثّر لدى طائفته أيّ الطائفة الشيعية، ومحترم ومؤثّر لدى الطائفة الإسلاميّة الأخرى وهي الطائفة السنيّة، وأيضاً لدى باقي الطوائف اللبنانية من دروز ومسيحيين... فهو كان صوتاً مؤثّراً في لبنان بكلّ طوائفه ومؤثّراً في سوريا والدول العربية مجتمعة وخصوصاً دول الخليج...

أنا لا أقول بأنّه كان يمكنه أن يُوقف ما جرى... لأنّ ما جرى أسبابه كثيرة، بعضها قريب وبعضها بعيد... وربّما كان هذا أمراً حتميّاً أن يحصل، ولكن على الأقل كان حاول وسعى وخفّف بعض الشيء ربما، من الذي يجري الآن، أو ربما كان حال دون الانجراف اللّبناني الذي أراه ماثلاً أمامي نحو هذه الفتنة المذهبية.







# المبشِّر بالغد

طلال سلمان(*)

نفتقد كثيراً هذا المرجع العظيم والمفكِّر المميَّز والمثقَّف الكبير الَّذي جمع بين الثّقافة الدينيّة وتشرّبها من أرفع مصادرها، والثّقافة العامّة، فكان الشّاعر والأديب والخطيب والكاتب والمصلح الاجتماعي، وكان أحد القلائل المبشِّرين بالغد، كان يسكن في الغد، وأظنّه فتح أبواب الغد ليس فقط بالفقه وحده، بل أيضاً بالفكر عموماً وبالرؤيا والفهم العميق للواقع الاجتماعي...

السيّد فضل الله من موقعه الدينيّ الرفيع، كان أحد القلائل الَّذين تعاملوا باحترام مع إنسانيّة الإنسان وعقله، لم يتعامل معه باعتباره مجرّد مؤمن حرفيّ يتّبع التّعليم، ولكنَّه تعامل مع عقل الإنسان، مع طموحاته، مع فكره الجديد، مع رغبته في التّغيير.

لقد جدَّد سماحته ليس فقط في الفكر الديني، بل في الفكر الاجتماعيّ عموماً، فكان صاحب رؤية، وكان يستند إلى قاعدة فكريّة وفقهيّة غنيّة جدّاً، ولعلَّه مزيج من المُصلح الاجتماعي والداعية الثوريّ والشّاعر الَّذي يمدّ بصره إلى ما بعد الواقع...

(*) صاحب وناشر جريدة السفير اللبنانية.

تعرّفت إلى سماحة السيد في أوائل الستينيّات، وكان يسكن حينها في برج حمود، وقد امتدّ حبل الصداقة بيننا حتى آخر أيّامه، وهذا شرف كبير لي، وأظن أنَّ اللّقاء الأخير معه كان قبل ثلاثة أيام من رحيله عن دنيانا.

كان يعطيني من وقته ويأنس إليَّ ويتفقّدني إذا غبت طويلاً، فيتّصل ويسألني عن السَّبب، وكنت أعود طبعاً إلى لقائه، كانت الأحاديث بيننا تمتدّ إلى وقتٍ طويل نسبيّاً، حتى خارج الصَّحافة، وكنّا نتداول في الشؤون السياسيَّة عموماً، وفي الشَّأنين اللّبناني والسّوري، وفي الشّؤون العربيَّة الأخرى، وخصوصاً مصر واليمن والعراق وبعض البلدان التي يعرف أنّني زرتها وأقمت علاقات صداقات مع بعض كتّابها ومفكّريها، وكنّا نتحدَّث أيضاً عن المناطق اللبنانية الَّتي أعطاها الكثير من اهتمامه، سواء في البقاع أو بعلبك أو الجنوب.

كان يسألني في السياسة والواقع، وكنت أسأله عن الغد، وكثيراً ما أسرّ لي ببعض مكنوناته وآرائه الخاصّة التي لا يفصح عنها في الغالب العام، وكنّا نشترك في تحليل الأوضاع السياسيَّة، فأسمع منه ويسمع مني ونتوصَّل إلى نوعٍ من المفهوم المشترك لمجريات الأمور، وكنت إذا تأخّرت عن زيارته طلبني وسألني عن السّبب، وكان يهتمّ بأن يسأل عن أفراد عائلتي فرداً فرداً.

كان كبيراً في صداقته بقدر ما كان عاليَ القامة في ثقافته وفي رؤياه للمستقبل، وكان مقاوماً عظيماً، وبالتأكيد عندما يُؤرّخ لتاريخ المقاومة في لبنان، سيذكر المرجع السيد محمد حسين فضل الله، باعتباره من كبّار المؤسِّسين.

في المحاورات الفكريَّة، كان غنيّ التَّجربة، كان يعرف العراق جيداً، ولا سيَّما الأوضاع السياسيَّة والاجتماعيّة، والتركيبة العراقيَّة والطوائف والمذاهب والعشائر، كما كان مهتمّاً بالخليج، كان يعرف الكثير عن الخليج عموماً وعن البحرين خصوصاً، وعن الجزيرة العربيَّة بشكلٍ عام واليمن، وكان مهتمّاً بأمر

مصر، عارفاً بمدى تأثيرها سلباً أو إيجاباً في سائر البلاد العربيَّة.

في بعض الأحيان، كان يأخذه الانسجام إلى الشعر، فيروي بعض شعره، وقد أهداني بعض دواوينه، وكان يعتبر أنَّني شاعر مكتوم، لأنني أكتب على حافة الشعر، وكنت أقدّر هذه الطّاقة الهائلة التي يتمتّع بها، فكلّ أيّامه مبرمجة ومنظّمة بالمعنى العصريّ للكلمة، ولكلّ يوم من أيّام الأسبوع جدول بالأعمال التي ينوي القيام بها.

كان المرجع فضل الله رجل مؤسَّسات، والدَّليل أنَّ المؤسَّسات الَّتي خلّفها تعتبر نموذجيّة، بدءاً بالمبرّات والمدارس، وسواها من المشاريع. لقد كان كبيراً وعظيماً وصاحب رؤيا مستقبليّة.

كنّا نطمع بأن يمتدّ به العمر أكثر لنستفيد من ثقافته وخبراته ومن رؤيته، لكنَّه القدر، وسماحته كان مؤمناً بقدر الله سبحانه وتعالى، وكان قد أعدّ كل شيء لِما بعد رحليه، ولذلك أظنّ أنَّ أهله لم يرتبكوا لحظة إلا بمعنى الفجيعة، لأنَّ كلّ شيء كان مرتّباً ومنظّماً.

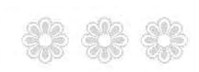
لقد خسر لبنان، كما خسر العرب والمسلمون خسارةً فادحةً برحيل هذا المرجع الكبير، وهذا المثقَّف والشّاعر الكبير وهذا المصلح الاجتماعيّ الكبير وهذا المقاوم الكبير.. نأمل من الله أن يعوّضنا بتلامذته عن غيابه الَّذي جاء مبكراً قياساً إلى حاجتنا إليه.

كان زملائي في «السفير» يتنافسون حين نحدّد موعداً للقاءٍ صحفيّ معه، فكان الكلّ يرغب بأن يُجري المقابلة، ويتساوى في ذلك الزملاء والزميلات، وهم لم يكونوا جميعاً من طائفة واحدة أو من دين واحد.. على العكس كان بعض الأخوة والزملاء من المسيحيّين تحديداً، يهتمّون كثيراً لفتاواه المتقدّمة نوعاً،



ولآرائه الشجاعة التي اقتحم فيها بعض المحظورات التي كانت فرضت على العقول وعلى السّلوك، ابتداءً من حقّها بالعلم وانتهاءً بثيابها، وكانت محاضراته التي يكرّسها للنساء متميّزة بتقدّميتها وبالرؤية المنفتحة على الغد..

أظنّ أنَّ جيلاً من النساء قد أفاد من مطالعاته وخطبه ومن تعاليمه ومن قدرته على إعادة صياغة بعض المقولات والطروحات المذهبيّة والدينيّة بطريقة تليق بكرامة الإنسان.. كذلك، إنّ محاضراته في الفتية والشبان قد أنشأت جيلاً مختلفاً متمايزاً بثقافته التنويريّة، وهو الذي كان يؤكّد أنَّ الدين ليس التعصّب وليس الانغلاق وليس مجافاة الآخر والنظر إليه كأنه خصم، سواء كان من أتباع دين آخر أو من أتباع مذهب آخر...





# إلى السيّد محمد حسين فضل الله
# بعد غياب سنتين ومحاولات تغييب الوحدة والانفتاح

رنا لى جبور(*)

سماحة السيّد، ربّما أرادك الله أن تغمض عينيك قبل أن ترى «الخريف العربي»، قبل أن تقترن بزمن تطرّفهم.. محا اسمَك من عصر الجنون هذا، ليبقى عصرُك حواراً ارتديتَه على حدّ سواء عمامةً والصليب، ومقاومةً حملت سلاح موقفها وصوّبته على عُقدهم الأسيرة وتواطئهم المقيت!

سيدي أنت الذي عملت على الخطّ بين الأرض والسماء، رسمت بأخلاقك «الدين الثاني»: دين الوحدة والانفتاح بعدما هشمّوا الدّين الأوّل والأخير، دين الإله الواحد الذي أتقنت صلاته تماماً كما المرسَلون!

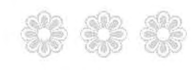
نفتقد سماحتك، لأنّنا لم نعد نملك الكثير من مفاتيح التحرّر.. نفتقد كلماتك لأنّهم يُلهوننا بكلمات من رصاص.. نفتقد فقهك، لأنّ فتواهم تحرّم حريّة المرأة التي أطلقت.. نفتقد مرجعيّتك وقد خيّرونا بين مرجعيّة الديكتاتورية ومرجعية المطاوع والإخوان.. نفتقد الحوار الذي جعلته كرسيّك، لأنّ حوار اليوم هو حوار طرشان وعميان وجَهَلة.. نفتقد جهادك على مقربة من حربهم التافهة

(*) إعلامية لبنانية.

على سلاح مصوّب في اتّجاه مغتصِب لم تحمِنا منه الدولة.. نفتقد سياستك في حكمتها، ووجهك في عطفه وتربيتك في صلاحها، وفكرك في ضوء زرعتَه في عتمة هذا العالم!

سيّدي هما ستتان.. حاضرٌ أنت في الحُلُم الجامع، غائبٌ عن فوضى خلاّقة قلبوا فيها الدنيا ليقعدوها على برميل نفط وقنبلة موقوتة عيّرها الكبار، ويلهو بها الصغار..

ولو كنتَ لقلت: اقفزوا فوق الهزيمة النهائية بحصان الثقافة والحوار والانفتاح والوحدة والتنوّع في لحظة مسيحيّة ترتدي عمامة مسلمة تقسم أنّ الله واحد وكذلك الوطن، ومعهما الأمّة!!





# السيّد فضل الله.. رجل الكلمة والموقف ونصير المرأة

**علي عطوي(*)**

يومَ قرّرتُ مقابلة المرجع الدينيّ الراحل السيّد محمد حسين فضل الله لم أكن قد تجاوزت سنّ الثامنة عشرة، لا أعلَم ما الذي دفعني حينها لاتّخاذ هذه الخطوة، ربّما لأنّني كنتُ مُعجباً بفكر هذا الرجل، فقد كنتُ مواظباً على الاستماع لخُطبه الأسبوعية التي كان يؤدّيها قبل صلاة الجمعة من مسجد الإمامين الحسنين في حارة حريك.

لقد أُعجبت بالفكر التنويريّ والانفتاحيّ لسماحته، وهذا ما جعلني أتواصل مع مكتبه للحصول على موعد لقاء معه، وهذا ما حدثَ بالفعل، وفي دارته بحارة حريك في شهر آب من عام ٢٠٠٣ استقبلني سماحته.. دخلتُ وسلّمتُ عليه بحرارة وقبّلته في جبينه وجلستُ إلى جانبه، في ذلك اللّقاء سمعتُ منه كلاماً طيباً وإطراءً جميلاً وجّهه إليّ وبارك خطوتي باتّجاهه، وقد أبديتُ له إعجابي بشخصه وفكره وتبادلنا أطراف الحديث عن دور الشباب في إحداث التغيير في المجتمع، وانتهى اللّقاء.

خرجتُ من دارة سماحته مليئاً بالأمل وروح الحماسة، فهذا اللّقاء الودّي لم يكن

(*) صحافي، رئيس تحرير موقع «نسوة كافيه» الذي يُعنى بشؤون المرأة اللبنانية.

سوى بداية مشجّعة للتعرّف على رجلٍ شغلَ العالم الإسلاميّ بأفكاره وطروحاته، وقد شرّفني سماحته بإهدائي مؤلّفاته المختلفة، الأمر الذي جعلني أستكشف جوانب متعدّدة من شخصيّته، وبعدها فتحَ لي منبره الأسبوعيّ جريدة «بيّنات» التي كتبتُ فيها مقالاتٍ ثقافيّة واجتماعيّة وعبّرت من خلالها عن أفكاري وتطلّعاتي.

ولعلّ أكثر ما شدّني لفكر العلّامة الرّاحل أنه استطاع أن يطرق أبواباً جديدة في الفقه الإسلاميّ، وقد نجح في التمرّد على الموروث الاجتماعي، وأعاد النظر في كثير من الفتاوى الدينيّة، وخصوصاً تلك الفتاوى المتعلّقة بالمرأة، فقد كان للمرجع فضل الله فتاوى عديدة ومواقف جريئة فيما يتّصل برؤيته للمرأة، وقد أصدر العديد من الفتاوى في هذا الإطار، وكانت له مواقف لافتة في المساواة بين المرأة والرجل، حتى إنّه لم يمانع من أن تكون المرأة في موقع الإفتاء إذا ملكت الكفاءة المطلوبة.

وقد ترافقت فتاوى العلاّمة الراحل مع مواقف جريئة وشجاعة له، الأمر الذي جعله رجل الكلمة والموقف، وهنا لا أخفي أنّني تأثّرت جداً عندما رأيته يقف خطيباً بجموع المصلّين أثناء حرب تموز ٢٠٠٦، متحدّياً المقاتلات الإسرائيلية التي كانت تُطلق نيران صواريخها على بُعد أمتار قليلة من مسجد الإمامين الحسنين بالضاحية الجنوبية لبيروت، وبقي ماكثاً في المسجد محافظاً على هدوئه، ولم يترُك محرابه حتّى في أكثر الأوقات حرجاً، إلى أن غادره ـ كما علمتُ لاحقاً ـ بناءً لمناشدة وجّهها له السيد حسن نصرالله للخروج إلى منطقة أكثر أماناً.

رحلَ السيّد محمّد حسين فضل الله هذه الشّخصيّة السياسيّة الفقهيّة الثقافيّة الأدبيّة العلميّة الفذّة، تاركاً فكره العلميّ والدّينيّ منارةً يهتدي بها أبناءُ شعبه ممّن أحبّوه، رحل تاركاً وراءه إرثاً لا يُستهان به ومسيرةً مشرقة بالعطاء، مزدهرة بالتضحية، سماحة السيّد.. لقد علّمتنا البكاء على الرجال.. الرجال !.



# مفكّرٌ يهديه عقله

عمار كاظم[*]

الإسلام يريد من الإنسان الدّاعية إلى الله تعالى سواءً كان رسولاً أو إماماً أو عالماً فقيهاً أو مبلّغاً، أن يعيش العقل المفتوح والقلب المفتوح والكلمة الحلوة والأسلوب الطيّب والوجه المبتسم، والأجواء التي تحتضن الإنسان الآخر بكلّ المعاني الطيّبة ليحسّ بقيمة الأجواء الخيرّة قبل الحديث معه عن المعاني الرساليّة...

ويريد الإسلام أيضاً من الإنسان الداعية ألاّ يتعقّد أو يسقط عندما يُسيء الكافرون إليه، وألاّ يتعقّد عندما يشتمه الضالّون، بل يعتبر ذلك جزءاً من ضريبة الرسالة ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**﴾[المؤمنون: ٩٦]. العلاّمة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله، من المفكّرين والمجتهدين والعلماء العاملين المجاهدين، والذي لم تأخذه في الله لومة لائم، الذي أطلق عليه آية الله التسخيري وصفاً دقيقاً بقوله: «كان مفكّراً يهديه عقله إلى نظريّات وأطروحات يفترضها أولاً ويقيم عليها الدليل بروح اجتهاديّة، وهو المجتهد الحقّ

(*) كاتب وإعلامي كويتي.

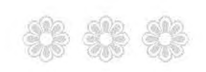
الذي درس على يد العلماء الأفذاذ في النجف من أمثال «الخوئي، والحكيم، والشاهرودي، والحلّي، فإذا تمّت عملية الاستدلال تفاعل معها وآمن بها وراح يصرّح بها بقوّة دون أن يمنعه مانع أو يوقفه معارض، إنّها حقيقة شهدناها في مختلف مواقفه التي أعلنها دون مواربة».

آمن السيّد فضل الله بالصّحوة الإسلاميّة في هذه الأمّة ودافع عنها، وشارك همومها وآمن بالتقريب بين المذاهب الإسلاميّة وعمل لها بما يستطيع. السيّد فضل الله الذي لم يحمل حقداً في قلبه لأحد، والذي قال في كلمته: «إنّي تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك عندما قرأت سيرته ورأيت أنّه كان مفتوح القلب لكلّ الناس.... إنني أؤمن بحقيقة، وهي أنَّ عليك أن تحبّ الذين يخاصمونك لتهديهم، وتحبّ الذين يوافقونك لتتعاون معهم، إنّ الحياة لا تتحمّل الحقد.... هل استطعتم في هذه الفترة المشحونة ضدّكم أن تحبّوا مَنْ حقد عليكم؟ إنّني استطيع أن أقول إنّني لا أحقد عليه وربّما يتحوّل هذا اللاّحقد إلى شيء من المحبّة العقليّة رغبة في أن يبتعد هذا الإنسان عمّـا هو فيه من خطأ أو عمّا هو فيه من تخلّف».

السيّد فضل الله الذي آمن بالوحدة الإسلاميّة وعمل جاهداً من أجلها، هي وحدة واقعيّة تنطلق من خلال اللّقاء على ما يتّفق عليه المسلمون، ومن الردّ إلى الله والرسول بما يختلف فيه المسلمون تَبَعاً للتوجيه القرآني: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ**﴾[النساء: ٥٩] مع توزيع الأدوار. السيّد فضل الله يمثّل المرجعيّة المنفتحة على العالم كلّه، الواعي للأحداث، ورائد في قضايا المستضعفين في العالم وقضايا المسلمين، فكان الحضور السياسيّ والثقافيّ والروحيّ لسماحته عنصراً حيويّاً في مستوى التحدّيات الكبيرة التي يواجهها الإسلام في هذا العصر، فكان يملأ الفراغ بإجاباته في ظلّ جوّ

من الانفتاح الفكريّ والتجديد انطلاقاً من أنّ لكلّ عصرٍ أسلوبه، ولكلّ عصر حاجاته، ولكلّ عصر طريقته في مواجهة الواقع وتحدّياته، لقد امتازت مرجعيّته بروحيّة تستلهم أصفى ما في الإسلام من قيم. وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام يحدثنا عن العالِم في أسلوبه كيف يعظ الناس «**الفقيه حقّ الفقيه من لم يُقنِط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخّص في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره**». العلامة المرجع (رحمه الله) الذي عرفَته ساحات الجهاد والمقاومة والذي أطلق كلمته»هل نملك أن نخطّط لفلسطين؟ هل نملك أن نقوم بعملية ثقافيّة سياسيّة نعرّف فيها شعوب العالم العربيّ والإسلاميّ أنَّ علاقتها بفلسطين ليست دعم الشعب الفلسطينيّ، بل حماية كلّ العالم الإسلاميّ من إسرائيل وكلّ العالم المستكبر». وكان يدعو إلى الوحدة بنداءاته المتكرّرة «توحّدوا ولا تفّرقوا، فكّروا أنّ مصلحتكم واحدة، وانتصاركم واحد، لا تنشغلوا بأن تكسروا بعضكم البعض، ولا تنشغلوا في أن تحاربوا بعضكم البعض لا تنشغلوا في أن تهزموا بعضكم البعض... فكّروا في أن تهزموا الاستعمار، وأن تهزموا الهيمنة، ثمّ بعد ذلك فكّروا في نُصـــرة بعضكـم البعض.. حرام عليكم أن تثيروا الحساسيّات الضيّقة». وكان (رضوان الله عليه) يدعــو للحفاظ على الأصالــة: «لا بدّ للإسلاميّين من التحرّك بالكثير من الوعي والمرونة والانفتاح على كلّ السّاحة لدراسة كلّ مواقع اللّقاء والخلاف مقارنة بدراسة المفهوم الإسلاميّ للقضايا العامّة في داخل السّاحة الإسلاميّة وخارجها، لأنّ الأفق الضيّق والعزلة عن الواقع، لا يستطيعان أن يحقّقا أيّ ربح للحركة الإسلاميّة في أيّ مجال، بل يسهّلان للآخرين عزلها عن مواقع التأثير ومصادر القرار». العلاّمة السيّد الذي قال في وصيته: «أيُّها الأحبّة حاولوا أن تفهموني جيّداً، فإذا كان البعض لم يفهمني في حياتي لأنّ التهاويل والانفعالات والتعقيدات قد حجبت وضوح الرؤية، ولكن عندما يغيب الإنسان عن السّاحة،

ويشعر الآخرون بالأمن من تعقيدات وجوده عليهم، يمكن أن يفهموه أكثر، وأن يستفيدوا من تجربته أكثر». يا أبا عليّ، نم قريرَ العين، إنّا هجرنا المنامَ، وسائرون على خُطاك في مدرستك الكبيرة الشاملة، فيها تربّينا وصقلنا إيماننا.. فرحمك الله وحشرك مع محمد وآله الطاهرين.





# ضوءٌ ساطعٌ في نفقٍ مظلم

غسان جواد(*)

أذكر بأنّنا في مرحلة الحرب الأهلية كُنّا شباباً صغاراً.. وكُنّا قد بدأنا نكتشف فكرَ ورؤى سماحة السيّد المرجع (رضوان الله عليه)..

وفي الحروب غالباً تتخلّف المجتمعات وتسقط في علاقتها بالغيبيّات والرمزيّات ومنها الدّين تحديداً.. إلا أنّنا في تلك الفترة تعرّفنا إلى سماحة السيّد وإلى أفكاره وعلى شخص من جيل المحبّة والطيبة...

اكتشفنا أنَّ الدّين رَحْبٌ وسَمْحٌ وجميل، وأنّ الله صورةٌ بديعةٌ وجميلة... من خلال ما قرأناه، ومن خلال الخُطب التي سمعناها لسماحة السيّد، وإذ به يأخذنا ويشدّنا من فكرة خاطئة كانت لدينا عن الدّين بسبب تردّي الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة حولنا.... لكي يصبح هذا الدّين ولكي تصبح فكرة الله، فكرة تساعدنا على فهم ما يجري حولنا وليس العكس...

قيل عن سماحة السيد الكثير الكثير، وأعتقد أنّ هذه التجربة الكبيرة والعميقة والإنسانية والرائعة والمضيئة والمشرقة في تاريخنا لن تَفيها حقّها بضعُ كلمات

(*) شاعر وكاتب لبناني.

قد يقولها شخص معجب بهذا الرجل...

ولكنّنا نحاول من خلال هذه الكلمات إضافة شيء على ما قيل حول سماحة المرجع السيد فضل الله... إنّ البُعد الاجتماعيّ الذي أولاه سماحة السيد للفقه هو بُعد جديد وتحديثيّ من وجهة نظري دينيّاً وفقهيّاً وإسلاميّاً، بحيث خلّص الدين والشريعة والنصّ من كثير من الشوائب التي لا علاقة لها بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد. وإنّما هي متعلّقة بالموروث الاجتماعيّ أو الموروث الثقافيّ أو غيره من الموروثات التي نُلصقها بالدِّين.. وهذا الأمر تجلّى من خلال الفتاوى العميقة والدّقيقة والمدروسة والذكيّة والمعتمدة على جوهر النصّ الدينيّ التي كان يُفتيها سماحة السيّد، والتي كانت تمثّل لنا نوعاً من الضوء في نفق مظلم من الممارسات الدينيّة الخاصّة، والتي تنفّر الشباب وتنفّر الضّالين الذين لا يعرفون طريقهم جيّداً... فجاءت فتاوى سماحة السيد لكي تقرّب الشّباب من الإسلام، ولكي تقرّب الضّالين أو حتى المُلحدين من فكرة الدين وجوهر الدين لأنّه نصٌّ وشريعة للإسلام وللحياة...

هذا الجانب الاجتماعي كان لافتاً وبارزاً، وجعلني أعتبر نفسي واحداً من مقلّدي سماحة السيد بالقدر الذي وفقني الله فيه للالتزام...

من الناحية السياسيّة كان سماحة السيّد مرشداً لهذه المقاومة التي كُنّا نعيشها اليوم وكان قائدها وعنوانها، عندما لم يكن لها عنوان، وحاضنها عندما كان الجميع يتخلّى عنها.. كان سماحة السيد بعباءته وبعمامته وجبّته الحصن المنيع كما تحدّث عنه سماحة السيد حسن نصر الله عند وفاته: أنّه كان أباً كبيراً وحصناً منيعاً للمقاومين...

وفي طروحاته السياسية أيضاً، فيما يتعلّق بلبنان والعالم العربي والعلاقة بالآخر.. فقد كانت طروحات متقدّمة سابقة لزمنها عندما أعلى شأن الإنسان

في العلاقات وأبرزَ الجانب الذي شرّعه، بحيث إنّ علاقة الإنسان بالإنسان تكون على خلفيّةٍ بشرية وإنسانيّة، وليس على أساس تصنيفات تتعلّق بمعتقد كلّ شخص وكلّ فرد من الأفراد...

مسيرة سماحة السيد، أفكاره وطروحاته ومواقفه وفتاواه ومسيرته العلمية والإنسانية والثقافية، وقصائده التي تقترب من العرفان ومن العلاقة الروحيّة الصافية مع الخالق وخَلْقه في الأرض.. كلّ هذه المسيرة هي مسيرة تضع سماحة السيد في مصاف الأولياء والصالحين الذي خدموا هذا الخطّ، وخدموا هذه الرسالة، وفتحوا طريقاً إلى الله عبرها وعبر فهمها عميقاً، وعبر جعل الدِّين والرّسالة مدعاة افتخار للمسلمين، ومدعاة بحثٍ دائم عن الصّلاح والتقوى وعن خير هذه الأمّة...

لا شكّ أن غياب سماحة السيد ترك فراغاً كبيراً، ولا سيما في الظروف التي نمرّ بها حيث نشعر بأنّنا أحوج ما نكون إلى سماحته، وإلى فكره وإلى مواقفه وإلى تقريبه بين الأديان والمذاهب، وإلى البحث عن النقاط المشتركة والحراك حول النقاط المختلفة بين مختلف المذاهب الإسلاميّة.. ومع الأديان الأخرى أيضاً...

ربّما لو كان سماحة السيّد ما زال حيّاً حتى الآن، لكُنّا سمعنا منه مواقف تنبذ الفتنة وتدعو إلى الوحدة، وتدعو إلى حماية المقاومة على خلفيّة عدائها لإسرائيل، وعلى خلفيّة أنّها العمق الحقيقي للعروبة والإسلام، التعبير الأبرز عمّا يجب أن يكون عليه موقفهم خلال هذه الفترة، لأنّ القتال نحو إسرائيل هو توجّه نحو الوحدة، أمّا التشرذم والخلافات المذهبية تعزّز وتؤكّد وجود هذا الكيان....

رحم الله سيّدنا وجعله مع آبائه وأجداده محمدٍ وأهل بيته في جنّات النعيم...





# لو كنتَ بيننا..

**فاتن قبيسي**(*)

على أهمّية ما قلته في حياتك، كاسراً «تابوهات» مفتعلة لدى أبناء الطائفة الإسلاميّة، ومحاذير مصطنعة بين أبناء الوطن الواحد، كُنّا ننتظر ما لم تَقُلْه بعد.. خصوصاً في ظلّ ما يشهده لبنان اليوم من اصطفافات تهدّد سلمه الأهلي، وما يشهده العالم العربيّ ممّا اخْتُلِف على تسميته بين «الربيع» تارةً و»الخريف» طوراً....

كلّما علت أصوات المزايدين على الدِّين، والمنظِّرين في شؤون الحياة وشجونها.. وكلّما اتّسعت دائرة التطرّف، وغاب صوت الاعتدال، وكلّما ضاق هامش الحريّة على يد من يُنصّب نفسه ناطقاً باسم الخالق... نفتقدك أكثر.. من أجل رمقٍ تمنحه إلى منطق الحكمة والاعتدال.. ومحبّة تُشيعها بين الناس.

نفتقدك كثيراً.. لِقَولِ ما لم تَقُلْه بعد. ولكن العمر.. لم يُسعفك!

---

(*) كاتبة وصحافية لبنانية.

# شاء القدر ألاّ يمرّ في عالمنا مرور الكرام

فيصل جلول(*)

في مطالع الثمانينيّات كانت قضيّة الرهائن الفرنسيين في لبنان الشاغل لوسائل الإعلام الفرنسيّة. فالحرب الإيرانيّة العراقيّة لا تني تصطرم وطهران تخوض مجابهات بالجملة ضدّ الدّول التي تدعم العراق بالأسلحة والعتاد والموقف السياسي ومن بينها، بل على رأسها فرنسا. وكانت «السّاحة» اللّبنانية مشرّعة على كلّ ولكلّ الدّول القادرة على الدخول الى «بلاد الأرز» وبالتالي كان من الطبيعيّ أن تبحث إيران عن موقع لها في هذه السّاحة، وأن تستخدمه في سياق الحرب الشّاملة العراقية ـ الإيرانية، ولعلّ خَطْفَ الرهائن تمّ في هذا السّياق ومثله إلقاء القنابل في شوراع باريس، ناهيكَ عن حرب السّفارات التي انتهت بتسوية بين الطرفين تزامنت مع انتهاء الحرب، وما عاد الفرنسيّون بعد ذلك يخشون الخطف في لبنان وهم يفدون اليه بعشرات الآلاف سنويّاً. التقيت في هذه اللّحظة و تلك الظروف وفي سياق عملي الصحفيّ بآية الله العلاّمة السيد محمد حسين فضل الله.

---

(*) كاتب سياسي لبناني مقيم في فرنسا.

أقمت في منتصف الثمانينيّات في باريس مضطرّاً بصورة شبه دائمة، وكانت قضيّة الرهائن مقيمة معي منذ أن أقمت، فقد تعهّدت بمتابعتها في صحيفة «اليوم السّابع» حيث كنت أعمل، وكان عليّ أن أتّصل دوريّاً بسماحة السيد لاستيضاحه عن تفاصيل منسوبة إليه في هذه القضيّة، ذلك أنّ وسائل الإعلام الفرنسيّة كانت تُمطره باتّهامات خطيرة على مدار اليوم، وكانت تعتبره مرشداً وهادياً وأحياناً مسؤولاً عن الخاطفين وكان يسخر من اتّهاماتها ويُحيل أمر الخطف والخاطفين إلى الأجهزة الأمنيّة. لابدّ من الإشارة إلى أنّني تعرّفت عن كثب إلى السيّد فضل الله من خلال ملفّين صحافيّين أشرفت على إنجازهما في بيروت في ثمانينيّات القرن الماضي، الأوّل حول «الضاحية الجنوبية»، وكان سبّاقاً لتقديمها للرأي العام المحلّي والخارجيّ، والثاني حول «المقاومةالوطنية» التعدّدية في جنوب لبنان، وكان أيضاً الأوّل حول ظاهرة ما كان كثيرون يحملونها على محمل الجدّ في تلك الفترة.. وكان السيّد مرحّباً ومُعيناً في كلّ وقت خلال إعداد الملفّين، الأمر الذي عزّز التواصل وكان من أثره أن اعتدتُ على مهاتفة السيّد في كلّ وقت وعبر خطّه المباشر، وما زلت أذكر «ذهول» و«تعجّب» زميلي الفرنسي الذي طلب مساعدتي في ترتيب لقاء مع السيّد فقال: هل تمزح ؟ أتتحدّث مع فضل الله مباشرة وبمثل هذه السّهولة؟ وأيضاً زميلة فرنسيّة أخرى ما برحت تتساءل عن سبب أو معنى الثّقة التي تجمع بين رجل دين مرموق وصحافيّ مقيم في باريس على بعد آلاف الأميال، علماً أنّني توسّطت للزميلة كي تلتقي برفقة زوجة أحد المخطوفين بالسيّد فضل الله، علّه يساعدها في الإفراج عن زوجها، فلم تعبأ بوساطتي وفضّلت وساطات أخرى، ولمّا أعيتها الحيلة تحدّثت عني، فتمَّ استقبالها مذهولة وما انفكّت لسنوات طويلة من بعد. بالمقابل، فوجىء السيّد عندما أخبرته بأنّ محادثة هاتفية أجريتُها معه ونشرتُها في مجلة «اليوم السابع»، ومن ثَمّ أعدت نشرَها حرفيّاً في صحيفة «ليبراسيون»

اليوميّة، وينتقد فيها بقوّة السياسة الخارجيّة الفرنسيّة، ويحصر قضيّة الرهائن بأجهزة المخابرات، ويردّ على الاتّهامات الاعتباطيّة التي تستهدفه في قضيّة الخاطفين. وهو كان يتوقّع أن تنعدم الفرصة لمنبر يتيح له الكلام الحرّ.
ما عادت ملابسات قضيّة المخطوفين الفرنسيّين في لبنان سرّاً عند أحد، فقد تحدّث الجميع عنها في بيروت وطهران وباريس وواشنطن ولندن، وكلّ الأحاديث أكّدت ما ذهب إليه السيّد في حينه من أنَّ القضيّة تتّصل بأجهزة المخابرات، وأنّها بعيدة عن نطاق عمله واختصاصه وأخلاقه السياسيّة، بَيْدَ أنّ أحداً لم يبادر من بعد إلى الاعتذار منه عن سنواتٍ من الحقد والتحريض الذي وصل إلى حدّ تدبير محاولة الاغتيال الشهيرة عبر سيارة «الصنوبرة» المفخّخة في بئر العبد.
شاءت الصدف من بعد أن التقيَ السيّد فضل الله مرّة واحدة فقط في التسعينيّات وكان لقاءً عابراً بعد انقطاع طويل جرّاء انشغالي طيلة التسعينيّات بالسفر المتسارع والاهتمام عن قرب بالعالم العربيّ، وبالتالي تحجيم اهتمامي بالشأن اللّبناني، لكنّي لم انقطع عن متابعة ما يصدر عن السيد (مؤلّفات.. مواقف.... مقابلات... سجالات ـ إنجازات... الخ).
ينتمي السيّد فضل الله إلى جيلٍ من رجال الدين الذين استندوا في تكوينهم العلميّ إلى تعدّدية وتنوّع واسع المراجع والمصادر، وأكاد أصفها بالموسوعيّة، بل هو أقرب ـ دون تصريح ـ إلى الرشدية حيث نجده يقرأ الظروف السياسية ويتعاطى معها بأدوات ووسائل حداثيّة ويفسّر التاريخ الدينيّ تفسيراً معاصراً دون أن يعدّل في معطياته الأصلية، وإذ يُفتي السيّد فهو إفتاء معاصر على قياس، وليس ماضويّاً متحجّراً.

أمّا الجرأة في مواقف السيّد فضل الله، فبرهانها لا يحتاج إلى جهد كبير، فقد اشتُهر باختلافه في الرأي حول ولاية الفقيه، وكان مؤيّداً لاختيار مرجع عربيّ في

النجف وليس انطلاقاً من تصنيف عِرقيّ، بل ربّما لاعتقاده أنّ المرجعيّة العربيّة في هذا الظرف التاريخيّ تتلاءم تماماً مع البيئة السّائدة وخصائصها المميّزة، ناهيك عن تاريخها الموصول باللّسان العربيّ لسان القرآن والعلوم الدينية.

أما في لبنان، فقد تجنّب الخوض في منافسات على المناصب الإداريّة في المؤسّسات الدينيّة، وفضّل بناء مؤسّسات خيريّة وطبّية واجتماعيّة وخدماتية مستقلّة عن الجهات الرسميّة في البلد، وفي الطائفة الشيعيّة، وتخضع فقط للإطار الدينيّ الخيريّ الذي أشرف عليه، ولعلّنا نقف هنا على البُعد الاجتماعي في جهود آية الله السيد فضل الله. ويمكن لزائر الضاحية الجنوبيّة أن يلاحظ أثر هذه المؤسّسات في حياة الناس اليوميّة... إنّها أشبه ببنية تحتيّة خيريّة واسعة يحتاج إنجازها إلى دُوَل وموازنات ضخمة تمكّن السيد من تغطيتها بأموال المؤمنين وصدقاتهم، وربّما بمساعدة الصناديق الخيرية في النجف وفي الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والدول الخليجية.

تبقى الإشارة إلى أنّ السيّد فضل الله كان سبّاقاً إلى الإفتاء بمقاومة إسرائيل منذ اللّحظة الأولى للاحتلال، رافضاً للتفاوض أو التطبيع معها رفضاً قاطعاً، ومناهضاً لحرب المخيّمات وللاحتراب الأهليّ اللّبنانيّ ومبادراً في أكثر من مناسبة إلى الدّعوة لحوار الأديان والتعايش بين المكوّنات الروحيّة المختلفة تعايشاً متفاعلاً، شرطه أن تعترف ببعضها البعض، وأن تتساوى في الحقوق وفي الواجبات.

في ذكراه السنويّة الثانية نرى السيّد فضل الله من خلال آثاره الباقية بيننا إلى أجلٍ غير مسمّى، وهي من شيم الذين شاء قدرهم ألاّ يمرّوا في عالمنا مرور الكرام.





# عامان على رحيل السيد: حضور أقوى من الغياب

قاسم قصير(*)

في الرّابع من تموز نلتقي مجدّداً مع الذّكرى السنويّة لرحيل المرجع والفقيه المجدِّد السيّد محمد حسين فضل الله(رض)، عامان مضيا على الرّحيل، لكنّ حضوره يقوى فكراً وحركة ومؤسّسات، ورؤى واجتهادات فقهيّة.

خلال العامين الماضيين بعد غيابه، شهد العالَم العربي تطوّرات هامّة وأهمّها الثورات الشعبيّة التي انطلقت في أكثر من دولة، وأدّت لسقوط عدد من الأنظمة والحُكّام المستبدّين، وفتحت الطريق أمام القوى والحركات الإسلاميّة للوصول إلى مواقع متقدّمة في الحكم والبرلمان. ولعلّ الحدث التاريخيّ الأهم تمثّل بنجاح الإخوان المسلمين في مصر بالوصول إلى موقع الرئاسة الأولى من خلال تولّي الدكتور محمد مرسي منصب رئيس الجمهورية عبر الانتخاب الشعبيّ المباشر.

ومن خلال هذا النجاح تتأكّد الرؤية التي كان يطرحها سماحة السيد (رضوان الله عليه) دائماً أمام قادة الحركات الإسلاميّة بأنّ عليهم الاعتماد على خيار الشّعب وثقته والابتعاد عن العنف والأساليب غير السّليمة للوصول إلى الحكم،

(*) كاتب وصحفي لبناني.

وكذلك ثقته الدائمة بأنّ الإسلام سيكون الخيار الشعبيّ الأوّل إذا توفّرت الشروط الديمقراطية الصحيحة.

السيد فضل الله كان دائمَ الثّقة والاطمئنان بأنّ الشعب العربيّ لا بدّ أن ينهض ويتحرّك لمواجهة الاستبداد والظلم، ويستعيد حريّته وكرامته مهما بلغ حجم الطغيان والاستبداد، وهو قد قدَّم أنموذجاً على صعيد مواجهة الإرهاب الفكريّ والتخلّف على الصعيد الإسلاميّ، كما حمل راية الوحدة الإسلاميّة وضرورة التعاون بين كلّ القوى والحركات الإسلاميّة من أجل مشروع إسلاميّ نهضويٍّ وتنمويٍّ واعد.

واليوم ونحن نحيي الذّكرى السنويّة الثانيّة لرحيل سماحة السيد، لا بدّ أن نستعيد وصاياه وأفكاره وأطروحاته، وخصوصاً من خلال الوصيّة التي كان قد أوصى بها قبل أكثر من عشر سنوات على رحيله، والتي دعا فيها المسلمين والعرب للتعاون وحماية الوحدة والمقاومة والدّفاع عن قضيّة فلسطين ومواجهة خطط الاستكبار، وأعمال النقد والاجتهاد لتطوير الفكر الإسلاميّ من أجل مواكبة العصر ومتغيّراته.

ولا بدّ أن نذكر أنّ إحدى أهم وصاياه للإسلاميّين والعلماء وقادة الحركات الإسلاميّة من أجل تطوير الفكر الإسلاميّ «أنّ عليكم تعلّم لغة العصر».

أجل نحن اليوم نحتاج لتعلّم لغة العصر لمواكبة المتغيّرات والتطوّرات مع الحفاظ على أصالة الفكر الإسلاميّ.

كم نحن اليوم بحاجة لأن نعود لقراءة أفكار سماحة السيّد والاستفادة منها.

كم نحن اليوم بحاجة لأن نستعيد أسلوب عمل سماحة السيد من أجل حماية الوحدة الإسلاميّة والعربيّة والوطنيّة.



كم نحن اليوم بحاجة لعقله النقديّ والاجتهاديّ لكي يكون الإسلاميّون بمستوى التحدّي الكبير الذي يواجهونه، بعد أن أصبحوا حكّام أكبر دولة عربية، وبعد أن حقّقوا حلمهم الكبير بعد أكثر من ثمانين سنة على تأسيس حركة الإخوان المسلمين.



# في ذكرى الرحيل

محمد محفوظ (*)

ثمّة فاصلة حقيقيّة ونوعيّة بين مرجعيّة دينيّة، تعطي أولويّة لمشروعها الخاص، وتعمل على توفير كلّ عناصر البناء له، حتى ولو كان هذا العمل على حساب التصدّي لشؤون الأمّة المختلفة.. وبين مرجعيّة دينية تعمل من أجل الأمة، وتعطي أولويّة لشؤونها، وتعمل ليل نهار من أجل التصدّي لشؤونها المختلفة..

فالمرجعيّة الأولى صالحة ولكنّها ليست مصلحة.. بمعنى أنّها مرجعية دينية، تمتلك كل العناصر الأخلاقية والعلمية، التي أهّلها لتبوّء موقع المرجعية، ولكنّها لأسبابٍ وعوامل عديدة لسنا بصدد بيانها، لا تمتلك مشروعاً إصلاحيّاً في الأمّة.. لذلك فهي تدير السائد دون أن تزحزح السيّئ منه، وتعمل على إدامة القائم، حتى ولو امتلكت رؤية أو موقفاً علميّاً ـ نقديّاً له..

أما المرجعيّة الإصلاحيّة، فهي التي تعمل على تحويل موقع المرجعيّة، إلى مصدر إشعاعٍ فكري وديني واجتماعي للأمّة، وتسعى من أجل بناء المؤسّسات التي ترعى شؤون الأمّة، وتكافح من أجل إقامة الحقّ في الحياة العامّة السياسيّة

(*) باحث وكاتب إسلامي من المنطقة الشرقية في السعودية.

والاقتصاديّة والاجتماعيّة..

ومن أجل إصلاح الأمّة في مستويات الحياة المختلفة، هي تتحمّل عبء المسؤولية، والصبر على الأذى المادّي والمعنوي من أجل خير الأمّة وصلاحها.. فهي في حركة دؤوبة في أكثر من اتجاه، من أجل انجاز مفهوم التصدّي والقيادة..

فالفرق بين المرجعيّة الصالحة، والمرجعيّة المصلحة، هو كالفرق بين مَنْ يفكّر في إدارة بيته، وبين مَنْ يفكِّر في إدارة بيته والجيران وأهل محلّته..

فالأوّل يعطي أولويّة لسياسة إبقاء ما كان على ما كان، بينما الثاني يعمل على اجتراح وسائل وإبداع آليات، من أجل بناء مؤسّسة مرجعية قادرة على ملء الفراغ وإنجاز مفهوم التصدّي بكلّ مضمونه وآفاقه..

وفي ذكرى رحيل العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله)، نحن أحوج ما نكون إلى إثارة الاهتمام بقضايا الناس والمجتمع المختلفة..

فأمثال الراحل كعالم دين، كُثُرٌ، ولكنَّ القليل منهم مَنْ بنى منظومة فكريّة ومعرفيّة وحركيّة، يستهدي الشباب بها، ويعملون في مجتمعاتهم على أُسُسها ومرتكزاتها ومبادئها.. كلّ علماء الدين تصل إليهم الحقوق الشرعيّة والتبرّعات، ولكن القليل منهم، مَنْ يتبنّى بهذه الحقوق والتبرّعات المؤسّسات والمشاريع التعليميّة والخدميّة والاجتماعيّة لإفادة الناس على نحوٍ مؤسّسي..

في ذكرى رحيل السيد فضل الله، نستذكر همّته العالية وعطاءه المتواصل وسعيه الدؤوب من أجل عزّة الإسلام ورِفْعة المؤمنين..

في ذكرى رحيله نستذكر صبره وتحمّله الأذى المادّي والمعنوي، دون أن يتوقّف عن العمل والعطاء..

وفي ذكرى رحيله نفتقد العالِم، الذي لم ينقطع عن التواصل مع الناس، كلّ

الناس.. دون أن يتعالى على همومهم وآمالهم..

ومن وحي تجربة الراحل الكبير المليئة بالدروس والعِبَر، نؤكّد على النقاط التالية:

جميعنا يحلم ويأمل بإصلاح أوضاع الأمّة، وقبضه على أسباب تقدّمها.. ولكنّ القليل منّا مَنْ يردم الفجوة بين الحلم والجهد، بين الأمل والعمل.. وحده الإنسان الذي يكون جهده وعمله بمستوى طموحه، هو الذي يترك بصمات حقيقيّة في واقعه وراهنه.. فتعالوا جميعاً من مختلف مواقعنا، نطوّر من أدائنا، ونكثّف من جهدنا الخاص والعام، وذلك من أجل تحقيق آمالنا وطموحاتنا.. فلا سبيل لتحقيق ما نصبو إليه إلا الجهد المضاعف والعمل المتواصل.. وإصلاح أوضاع الأمّة، ليس عملاً هيّناً، وإنّما هو من الأعمال الكبيرة، التي تتطلّب عقلاً كبيراً، وجهداً كبيراً، وكفاحاً مستديماً، على مختلف صُعُد الحياة..

إن قوّة المجتمع (أي مجتمع) في قوة أفراده.. فإذا كان أبناء المجتمع أقوياء بطاقاتهم وكفاءاتهم، فإنّ المجتمع يصبح قويّاً، لأنّه حصيلة جهد وكفاءة أفراده.. أمّا إذا كان أبناء المجتمع بلا كفاءات نوعيّة ومن دون تنمية لطاقاتهم، فإنّ المجتمع يصبح ضعيفاً وهامشياً ولا يستطيع أن يسيِّر شؤونه بنفسه.. لهذا فإنّنا ندعو إلى الاهتمام ببناء الكفاءات والطاقات، والانخراط في مشروعات التنمية البشرية لكلِّ فئات وشرائح مجتمعنا..

فالأهداف التي نحملها، تتطلّب كفاءات نوعيّة لتحقيقها وإنجازها.. والتحدّيات التي تواجهنا معقّدة ومركّبة وخطيرة، ولا سبيل لمواجهتها إلا بتنمية دائمة لكفاءات وقدرات أبناء المجتمع.. ومشروع الإصلاح والتغيير في الأمة، يتطلّب آلاف الكفاءات والطاقات العلميّة والعمليّة، القادرة على تحويل الوعد إلى إنجاز والطموح إلى حقيقة شاخصة.. لهذا فإنّنا نرفض أن نصبح متفرّجين

على شؤون الأمّة وقضاياها المختلفة، وإنّما بحاجة أن نصقل مواهبنا وقدراتنا، من أجل خدمة الأمة من موقع العلم والقوّة النوعية..

من الضروري القول: إنّ التفوّق العلمي والثقافي، ينبغي أن يقود إلى تفوّقٍ أخلاقي.. بمعنى أن تكون قاماتنا العلميّة والثقافيّة، ذات قامات أخلاقيّة أيضاً.. لأنّ وجود الهُوّة بين العلم والأخلاق، هو الذي يُفضي حين النزاع الحقيقي أو الوهمي إلى القيام بممارسات لا تنسجم وفضائل الأخلاق.. أما إذا كان العلم محصّناً بمناقبيّة أخلاقيّة، فإنَّ هذا التناغم يعصم الإنسان من الانزلاق نحو المواقف المشينة والتصرّفات الشائنة.. فمهما تباينت المواقف والقناعات، فإنَّ التناغم بين العلم والأخلاق، يَحُول دون انزلاق هذا الطرف أو ذاك، إلى القيام بفعلٍ أو التفوّه بكلمة خارج سياق فضائل ومحاسن الأخلاق.. ومن جهة ثانية فإنّ هذا التناغم، يوفّر قدرة نفسيّة وأخلاقيّة لدى الإنسان لتحمّل الصعاب والأذى.. فلا يقوده أذى الخصوم أو المنافسين إلى القيام بتصرّفات لا تنسجم مع علمه، ولا تتناغم مع أخلاقه..

فيحسب كلّ ما يتعرّض إليه من أذى وشائعات ومكايدات عن الله سبحانه وتعالى، فيشتكي إليه، ويبثّ همومه إليه، دون أن يُغضب الباري عزّ وجلّ بقول أو فعل..

أسوق هذا الكلام للقول: إنّ ما تعرّض إليه الراحل السيد محمد حسين فضل الله من أذى ومكايدات، ليس قليلاً أو هيّناً، ولكن جميع هذا الأذى لم يَنَل من علمه وأخلاقه فَصَبَر على الأذى وتحمّل الشدائد، وواصل الطريق دون كلل أو ملل..

رحمك الله يا صاحب القلب الكبير، وحَشَرك الباري عزّ وجلّ مع خاتم الأنبياء والمرسلين وأئمة أهل البيت(ع) و(إنا لله وإنا إليه راجعون)..



# المسلم بامتياز

الشيخ محمود عكام[*]

كان سماحة السيّد محمّد حسين فضل الله رجلاً مسلماً بامتياز ومؤمناً بلا شكّ، كذلك كان عالماً وجامعاً للكلمة بين النّاس، وبين المسلمين. باختصار، لقد كان تجربةً غنيّةً في ميدان الإسلام والإيمان، وأصبح بعد وفاته قيمةً إيجابيّةً معتبَرةً وقدوةً لكلّ من يريد أن يكون مسلماً مؤمناً عاملاً لجمع الكلمة على ما يُرضي الله عزَّ وجلَّ ورسوله، من دون طائفيّة أو مذهبيّة أو تفرقة، وإنّما تحت راية الإسلام، تحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، تحت راية «الله ربّنا ومحمد نبيّنا وأهل بيته ملاذنا ومرجعنا»، وكذلك الصّحابة الكرام الأفاضل الكرام المنتجبون. ويكفي السيّد (رحمه الله وأسكنه الفردوس) أنّه كان فعلاً معترفاً به من قبل كلّ المسلمين، ومن قبل غير المسلمين، لأنّه كان مسلماً بحقّ.

أسّس السيّد فضل الله إسلامه على أساس إنسانيّ عظيم، فلا يمكن للمسلم أن يكون مسلماً إلا إذا كان إسلامه مؤسَّساً على إنسانيّة متكاملة. من هنا، كان سماحة السيّد إنساناً مسلماً، ركّز إسلامه وإيمانه على إنسانيّة شفّافة عادلة رحيمة عالمة.

---

(*) مفتي حلب ـ سوريا.

كثيرٌ هو الكلام الّذي يُقال حول هذا الرّجل الكبير، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل مَنْ بعده على طريقه وعلى خطّه، وأن يوفّق العالم الإسلاميّ، من أجل أن يجتمعوا على إرضاء الديّان وبناء الإنسان وخدمة الأوطان.

ـ كان سماحة السيّد في حياته تجربة، والآن هو قيمة، ونحن عندما نتكلَّم عن سماحة السيِّد محمَّد حسين فضل الله، فإنّنا نتكلّم عن قيمةٍ إيجابيَّةٍ في عالم الإنسان والإسلام والإيمان. لقد بدأ بتجربةٍ، وأصبح قيمةً معتبَرة لمن أراد أن يتذكّر، ولمن أراد أن يكون على بيّنة من أمره، وكونه أصبح قيمةً، يعني أنّه كان على مسار وخطى أولئك الأبرار الأطهار.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن تُعمّم هذه القيمة على العالم الإسلاميّ اليوم، لأنَّ العالم بحاجةٍ إلى إنسان كسماحة السيّد، وهو في رأيي من الَّذين إن ماتوا فهم أحياء في الحياة، لأنّ آثارهم الطيّبة تدلّ عليهم، ولأنّ آثارهم تُذكر وتُنشر وتبيّن للنّاس ما يجب أن يقدّموا من خير على مستوى الدّنيا والآخرة.





# ما كان إلا ليكون هو

منى سكرية(*)

هل كان ـ (رحمه الله) لو كان لا يزال على قيد الحياة ـ ليكون غير ما كانه في سنيّ عمره، وهو الذي اعتصر دقائقها بزخم فكريّ وإبداعيّ في مجال التجديد الدينيّ وإعلاء شأن الإسلام، وتحسين أوضاع المسلمين، والتصدّي للرّاهن من قضايا الأمّة والإنسانية.

يمكننا التأكيد أنّ فلسطين بما هي قلب الأمّة، والخطر الصهيوني بما هو شامل على الأمّة والإنسانية سيكونان محورَ خُطبه ومواقفه.. وستكون المقاومة نهجَه لدرء هذه الأخطار. وتالياً لن تكون الحركات الإسلاميّة الآخذة بصحوتها على ساحة الأمّة بعيدة عن توجيهاته ونصائحه توخّياً لعدم انحرافها وتضييع البوصلة في لعبة العدوّ من الصديق.. ناهيك عن متابعة حثيثة لمعنى كرامة الإنسان وعيشه ويومه السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، وتدريب وعيه على الوعي.

لو عرضنا لعناوين مقالات الرثاء التي قيلت إثر رحيله والمنشورة في دوريّات شتّى مطبوعة، والمجموعة في كتابَي « وداع السيد»، و» رحيل الحبيب» لَما

(*) كاتبة وإعلاميّة.



تفاجئنا بما كانه السيد محمد حسين فضل الله، وما كان لتكون أراؤه..

صفات ومواصفات تجسّدت في إنسان صاغه الله، ولم يألُ «سماحته» في تربية وتنمية ما حباه الله به من فضل في عقله وقلبه، فكان سيلاً عَرِماً من الخير في أرضٍ يباب..

لم يكن ما كُتب فيه وعنه مجرّد رثاء.. لقد كان قراءة أوّلية في رجل تعدّد فيه الإنسان..

ولم تكتمل القراءة بعد..

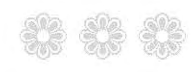
من هذه الصفات التي ضخّتها أقلام وأفئدة محبّيه وقد تنوّعوا فكراً وانتماءً وأدياناً وجنسيات، فقد أجمعوا على عدد ممّا اكتشفوه في بعض جوانب ثرائه الشخصيّ ـ الفكريّ ـ الفقهيّ ـ الجهاديّ فكان على سبيل المثال لا الحصر:

صفاء الصفاء، فقيه الانفتاح، الأب الرحيم والمرشد الحكيم، المقاوم العظيم، رجل الدين ورجل الايمان، ملأ الدينا علماً وجهاداً وحركة، نيزك خارق، ناء قلبه بأثقال أمّته، قصيدة إلهيّة، سيّد المحبة، المرجع، الفكر النابض بالاسلام، المرجع الذي أخذنا إلى الغد، المسلم العربي اللّبناني، على أهداب عينيه أشعّة من ضوء الإله، درب الإنسان للإنسان، القلب الذي لم يعرف إلا الحب، عالم في رجل، صوت الاعتدال والتقريب والوحدة، فقيه العصر ومنبع الفكر، الغائب الحاضر، آخر المجدّدين، سراج الدجى، دكّ تعسّف المتعصّبين، المحبّ، شمس الفكر، مطر في صحارى أيّامنا، المفكّر الفقيه، الإمام الثائر، حضور عند الرحيل، سيّد الاعتدال،الشّعاع والموج، الجدل المستمر،السيّد الكليم، لا يخبو فكره وإن رحل، قطب الصّحوة وفقيه الأمة، نصير المرأة، عدوّ الراحة، سيّد المحترمين،الصالح المُصلح، رجل الحوار، مسيرته ملك الإنسانية



جمعاء، ناهز الـ ٧٥ قرناً، مرجعية الأمل، رجل لكلّ الفصول، تاق إلى روحانيّة جديدة في الإسلام، فلسطين تفتقد مجاهداً كبيراً، هل كان شيعيّاً أم سنّياً، ضمير أمّة، ملائكيّ الروح، الإسلام الحركي، البوصلة السياسية، جاسر الهوّات، المظلّة الحامية، السيّد المتميّز، صانع عصر النور...

ألا تدفعنا هذه العناوين ـ الصّفات إلى معالجة كلّ واحدة منها في كتاب يثري ويُغني عقولَ الأجيال وخزائن المعرفة والتراث الإنساني؟





# تراثه ملك للجميع

ميشال إدّه(*)

لقد افتقد لبنان والعالمان العربيّ والإسلاميّ، بغياب سماحة السيد محمَّد حسين فضل الله(ره)، شخصيَّة مرجعيَّة مرموقة، عالية القامة والشأن على مستوى شواغل الدّين والدّنيا معاً، بل إنّنا افتقدنا حقّاً تجربة إيمانيّة ودنيويَّة رائدة بصفاء الإيمان المنزّه عن التعصّب والعصبويَّة الفئويَّة الضيّقة، وبالانفتاح في النّظر إلى شواغل الدّنيا ومسائلها في حركة تطوّر المجتمعات والأزمنة. فالإيمان عنده ومعه ليس تقوقعاً ولا انغلاقاً على الآخر، بل هو انفتاح عليه واغتناء به، مثلما أنّه خيار حرّ للفرد، بل لا يصحّ إلا إذا كان حرّاً، وليس مفروضاً لا بالتّرهيب ولا بالتّرغيب.

ومن هذا المنطلق، جسّد الرّاحل الكبير خلاصةً ثمينةً حقّاً في الوطنيّة اللّبنانيّة، وفي الانفتاح على التعدّد الفكريّ والثّقافيّ فيه، وفي صون هذا الوطن بهذه الحقيقة المجتمعيّة، وحمايته من العدائيّة العنصريّة الصّهيونيّة الّتي لم يسعها إلاّ أن تعتبر الصّيغة اللّبنانيّة عدوّها الدّائم، لأنّها بتنوّعها، نقيض دائم لأحاديّة

(*) وزير لبناني سابق ورئيس المؤسسة المارونية للانتشار.



إسرائيل الدّينيَّة العنصريَّة، فاضحة لعنصريّتها، مهدّدة أبداً لاستراتيجيّتها الدّائمة القائمة على تبرير كيانها، من خلال سعيها المستمرّ للبرهنة على استحالة قيام دولة متنوّعة الأديان في هذه المنطقة.

لقد كان هذا العلاّمة، المفكّر، الفقيه، مثالاً فذّاً في الانسجام التام بين فكره والعمل، بين الإيمان الروحي وتجسيداته الدنيويَّة في النّظر إلى الأمور والمسائل المجتمعيّة، وفي التصدّي الخيّر لمعالجتها.

أمّا انتماؤه العربي، كما انتماؤه الإسلاميّ، فقد اتّسم بنظرةٍ شموليَّة، وبإحاطة متبصّرة دقيقة لم تنحرف يوماً عن رؤية التّرابط العضويّ بين الخاصّ والعام، في النَّظر وفي العمل على حدّ سواء.

ولنا في جوهر الدّراسات الَّتي خلّفها، وفي جوهر المواقف ووجهات النّظر، والاجتهادات النيّرة الَّتي افترعها، خير مثال على الانتباه الرّياديّ، من موقع رجل الدّين البعيد النظر، وعلى التّفاعل الحيّ مع سمات العصر وتبدّلات العالم، وهو التّفاعل النقديّ فعلاً الّذي لا يضحّي بالحقوق المشروعة للشعوب ابتغاء مرضاة سلطان أو لصالح هيمنة.

كان الإسلام في العصر الحاليّ موضع تأمّله وتبصّره وعنايته الدّائمة، وهو ما حمله على الإلحاح الدّائم على ضرورة توفير الشّروط اللازمة لحضورنا اللّبنانيّ العربيّ في قلب العالم القائم، على أساس احترام التنوّع والخصوصيّات، وليس قطعاً على أساس فرض المجانسة والأحاديّة، أيّاً تكن طبيعتها ومجالاتها، والّتي يُراد لها أن تسود بمحو الخصوصيّات وبقمع التنوّع.

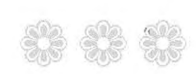
إنَّ التراث الفكريّ والفقهيّ والعلمائيّ الَّذي خلّفه السيّد محمَّد حسين فضل الله، ليس مَعيناً لا ينضب للبنان وللّبنانيّين فحسب، ولا لإخواننا اللّبنانيّين الشّيعة



فقط من دون سائر المواطنين اللّبنانيّين الآخرين؛ إنّه تراث لنا جميعاً، وسيظلّ حاضراً متحرّكاً فاعلاً ولافتاً، إنّه تراث للفكر العربيّ وللفكر الدّينيّ الإسلاميّ؛ تراثٌ مُلْهِمٌ كذلك في النَّظر إلى متغيّرات العالم الرّاهن بأسره...

الجوهر الإنسانيّ الشّامل الَّذي ينطلق منه أصلاً تراث هذه المرجعيَّة، إنّما غايته ومجاله الرّحب الإنسانيّة جمعاء، وهذا ما يجعله تراثاً خلاّقاً ملهماً، وحاضراً طبعاً في حوار الأديان، وفي تفكّر مسائل تطوّر مجتمعاتنا والمجتمعات الأخرى، وفيما بينها كذلك.

أحسب أنّه يتعيّن عليّ أيضاً أن أنوّه هنا بخاصّة، بهذا الجوهر الإنسانيّ العميق ذي الجذوة المتوهّجة في إبداعات الرّاحل الكبير الشعريّة، والّتي تُكثِّف في الحقيقة حضور هذه القامة الكبرى في تاريخنا الفكريّ الحضاريّ الإنسانيّ وهمومها وتطلّعاتها وإيمانها وأحلامها.





# أشتاق إليك

**نجوى قاسم**(*)

في ذكراك الثانية، وأنت السيّد والمرجع والأب، أكتب إليك.. أكتب إليك شوقاً وحرقة غياب، فلفظ كلمة ذكرى بحدّ ذاته كفيل بأن يمرّ خلاله ثقل غربة العامَيْن بدونك، رغم أحرفها البسيطة..

وأيّ عامين؟ عامان، غَيّر كلُّ يوم جديد فيهما، ما لم يتغيّر في عقود، وكان تغيراً بدأ بالحماس والتأييد لكلّ تفاصيله، وتنقّل سريعاً بين الحدود، كما بين المشاعر والهواجس والعواطف والنعرات والمخاوف والمؤامرات، ليعيدنا إلى الشيء الوحيد الذي بقي مشتركاً في حياتنا مع ما سبقه: الخوف من الآتي!!

ترى ما كان سيكون رأيك في الربيع العربي؟ كيف كان سماحتك ليعلّق على ما تلا «نجاح» ثورات تونس ومصر، والحلّ اللّيبيّ، والتسوية اليمنيّة، والأزمة البحرينيّة وبُركة الدم السوريّة؟ إلى أيّ مدى نحتاجك الآن مرجعيّةً إسلاميّة منفتحة ومتسامحة وحضاريّة تلعب هذا الدور في محاولة طرد الأشباح التي تطاردنا كالكؤوس المرّة الإجبارية.. كؤوس موتنا بأيدينا، وكأنّنا محترفو

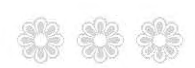
(*) إعلامية لبنانية.



انتحارات جماعية دمويّة، كلّ طقس فيها لا يُطفيء جوعنا، هذا بل يزيده إضعافاً، فنبحث عن طقس انتحاريّ جديد، فلا نجده إلا بهوياتنا أو بأجناسنا أو بدينِنا أو بمذاهبنا! وما أكثر المشجعين..

في كلّ واحدة من هذه المحطّات تذكّرتُك وسألتُك أين غبتَ عنّا؟!! وأُدرك أنّي سأفعل في كلّ محطة جديدة، وهي التي تتكاثر في حياتنا الآن، لا أدري إلى متى وبأيّ الأثمان..

أشتاق اليك في كلّ واحدة منها أيضاً، كعربيّة، كلبنانيّة، كمسلمة، كامرأة تريد أن تُحترَم حياتُها وحضورُها وكيانُها، وصنعت تجربة كاملة لهذا الهدف، أو تعتقد أنّها فعلت كذلك حتى الآن، وأنا في ذلك واحدة من عشرات الملايين، قد تُفرّقنا الآراء، لكن تجمعنا كلّ تلك المخاوف.. وجود سماحتك في حياتنا في هذه المواقع كلّها كان أمناً وأماناً واطمئناناً، وكلّ يوم يُضاف إلى غيابك، يجلب معه شبحاً أو انتحاراً جديداً، يجعل من هذا الغياب أثقل وأصعب.





# في حضرة الذّكرى

د. نجيب نور الدين(*)

في حضرة الذّكرى تستعصي الحروفُ على الكلمات، والكلماتُ على الأفكار، والأفكارُ على الأفهام.. فيحلّ العجز عن الكلام..

في حضرة الذّكرى، تختلط المشاعرُ وتتزاحم، يدفع بعضها بعضاً، تتوق إلى لهفة الخروج، من عميق الرّوح، وفسيح الوجد، ومهجة القلب.. فلكلّ الكلّ متّسع، ولكلّ الكلّ مساحات.. وملاعب الذّكريات أوسع..

في حضرة الذكرى.. أيّها نتذكّر وأيّها ننسى، وقد ملئت علينا الفكر والوعي والقلب والوجدان.. وتركتنا صرعى نار الحبّ الذي ما زادته السنين إلاّ حلاوة وروعة وألقاً..

في حضرة الذكرى يتنازعنا شعوران.. واحد بطول الغياب.. وآخر بسطوة الحضور.. أمّا الغياب.. فقد طال يا سيّدي حتى بتنا نكابد السّنوات دهوراً..

هل نصدّق أنّ هجرك لنا امتدّ دهرين كاملين.. ما «أقساك» سيّدي على الأحبة، تتركهم في عزّ اللّقاء للوعة الشّوق وشغف التعلّق ونزع الحنين..

(*) مدير مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر.



هل نذرف عليك دمعاً دفيناً، أم نفتح المحادق والعقول على متدفّقات فكرك الذي ما انقطع يوماً رغم الغياب.. ونعبّ منه ما اتّسعت أدمغتُنا ممّا يحتمله وعيُنا، ومن حبّك ما اتّسعت له أفئدتنا ممّا اتّسع عندك وفيك لكلّ بني الإنسان..

في حضرة الذكرى، تغيب صورة الرّحيل، ونستعيد حضورك في أبهى صُوَرِه، وكلّ صُوَره بهيّة..

هذا الحضور الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.. شغل المحبّين والمعجبين بفكرك ووعيك وتألّقك الدائم، وشغل الحاسدين بعجزهم عن إدراك مقامك وسطوة أفكارك وقوة معانيك..

بقيت حيّاً فينا، رغم أنّ كثير الأحياء أموات بيننا.. بقيت معاصراً فينا، رغم أنَّ كثير المعاصرين يتلطّون خلف ستار الماضي مخافة أن يلفحهم سطوع الضّوْء..

بقيت قلعة قبال الشّمس، رغم أنّ كثيراً منّا ينتظر الظلام ليفرد جناحيه، أو قُلْ ليُخرج مخالبه في عتمة الليل..

كنتَ سيّداً صلباً قويّاً تتحدّى العاتيات، وتبتكر المساحات، وتفتتح الآفاق، في حين كان الكثير من أخصامك يتسلّق على ردائك، ويمسك بجلابيب عباءتك، علّه يصل إلى ما تعالى إليه مقامك في جنب الله..

كنت دائماً كريماً، تفرش كلّ موائد الوعي سفر الفكر المتنّور، وكان كثير من حاسديك، يقتاتون على ما تركته من وفير الكلمات، وما اجترحته من عميق المعاني..

كنت جسوراً في تلقّي سهام الجهل والتخلّف والغلو بصدرك الحسينيّ من غدر الأقربين والأبعدين، وكنت تُخرِج السّهام من ظهرك.. باسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله، وتناجي.. إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي..



فمنذ أن امتشقت قلمكَ سيدي، عاهدت الله إلاّ أن ترسم به خطوطاً للوعي والعلم والمعرفة.. ومنذ أن أمسكت شمعة، أبيت إلاّ أن تضيء بها ظلمات الجهل، وتقتحم بشجاعتك المعهودة كهوفَ العصبيّة والمذهبيّة والتخلّف.

ورغم التهديد والوعيد، لم تأخذك في الله لومةُ لائم..

في ذكرى الرحيل.. يتراصف الوحدويّون والواعون وأصحاب القضايا الكبرى والمتفكّرون في قضايا الأمّة والإنسان وراء طيفك، يترحّمون على زمنك.. ذاك الزمن الذي اتّسع لكلِّ هؤلاء وأمثالهم..

في ذكرى الرحيل، يستجمع كلّ القالّين من دُعاة العصبيّة والجهل، مضافاً إليهم جموع المستكبرين وجحافلهم، فتزداد في ذكرى رحيلك صدروهم ضيقاً، وعقولهم انغلاقاً، ونفوسهم حنقاً وغيظاً، وقلوبهم غلظة.. وأنت من عليائك تنظر إليهم وتقول اللّهم اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون..

في ذكرى رحيلك، نستصغر يا سيدي أعمالنا في جنب أعمالك، وإنجازاتنا في جنب إنجازاتك، وفقرنا للوعي في جنب وعيك، وعزيمتنا في جانب عزيمتك، وإيماننا في جنب إيمانك، وثقتنا بالمستقبل في جانب ثقتك.

أيّ إيمان سيدي هذا الذي اعتمر قلبك حتى كنت بهذا الجَلَد على الفكر والسياسة وقضايا الناس والمجتمع والأمّة والإنسان.

كيف نجاريك.. وهل لذلك من فرصة.. هيهات، فها هي روح الأمّة يا سيدي تختلج في زحمة الضياع.. وتفتقد أمثالك في زحمة التحوّلات، وتشتاق إلى نبرة صوتك يصدح بالأمّة وقطاعاتها وفئاتها وأحزابها وطوائفها.. ليس إلاّ الوحدة سبيلاً للعزّة.. والذلّ هو في تمسّكنا بالعصبيّات التي تجعلنا شِيَعاً وقبائل تقاتُل بعضها بعضاً، ويتهاوى مع صراعاتنا كلّ ما نملك من قوّة وعزّة وكرامة وإمكانات..



نفتقدك سيدي في الزمن الصعب.. وأنت الذي منذ أن اشتدّ يراعك، حملت مشعلَ النور، وسلكت الدروب الوعرة، تضيء بها الشّموع المزروعة على جنباتها، وتتقدّم جموع المؤمنين والمخلصين والأحرار، توفّر لهم وعنهم، عناء استهداء علامات الطريق، وتدلّهم على مسالك العزّ والفخر والوعي والحرية..

تنادي فيهم، الوحدة والوحدة.. القوّة القوّة.. والوعي والوعي.. والمقاومة المقاومة لكلّ مشاريع الظالمين والمستكبرين والطامعين بكلّ ما لدينا من عناصر القوة..

رحلت سيّدي وفي قلبك آمال كبار وغُصّة.. آمال.. بأنّ الأمة لا يمكن إلاّ أن تستعيد وعيها وكرامتها، وها هي بدأت، ربّما.. وغصّة، بأنك لم ترَ في حياتك فلسطين وقد تحرّرت وعادت إلى أهلها وأمّتها.. فآخر ما نطقت به سيدي، كان بمثابة الوصية لكلّ الأحرار في العالم، وحلماً حملته معك إلى رحاب الله.. وحِمْلاً أثقل انتقالك إلى دار البقاء.. لن أرتاح حتّى تزول إسرائيل من الوجود..

سيّدي، في ذكرى الرحيل، ما أقوى حضورك فينا، نفتقدك سيدي في هذا الزّمن الصعب، ففي الأزمنة الصعبة تُفتقد الرجال أمثالك.. فهنيئاً لك الخلود إلى جوار الأنبياء والأولياء والأئمّة والشهداء، وحَسُن أولئك رفيقاً..





# محطّات وذكريات من دفتر صاحب السّماحة

د. هشام جابر(*)

أعترف بأنّني شحيح في ذرف الدّموع. وقد يتملّكني الأسى لفقدان قريبٍ أو عزيزٍ إلاّ أن الدّمعة كثيراً ما تعصي.

انهمرت دموعي خلال تلك الفترة مرّتين. مرّة عندما سمعت بالنبأ المفجع، ومرّة عندما واجهت معزّياً السيد علي نجل سماحة الإمام آية الله العظمى.

تعود معرفتي بسماحة الإمام الغائب إلى ربع قرن مضى، عندما كنت ضابطاً في الجيش وقائداً لثكنة مدرسة القتال في حارة حريك غير البعيدة عن منزله.

في تلك الأثناء كانت الفتنة الطّائفية بفروعها المذهبيّة تشتعل في غير مكان وغير زمان. وكانت صرخة السيد فضل الله بوأد الفتنة تُطفيء بقوّتها، وهيبتها، ومنطقها الكثير من البؤر.

وعندما امتدّت حرب الأخوة والأشقّاء إلى مختلف أنحاء الضاحية الجنوبيّة، وبقيت ثكنة الجيش في منأى إلى حين....ثمّ حاول احتلالها مجموعة من المسلّحين. كان الفضل في إخلائها وانقاذها كلمة واحدة من سماحته. أذعن لها

(*) باحث استراتيجي لبناني وعميد ركن متقاعد في الجيش اللبناني.

مسلحو الطرفين مطأطئين.

أما قضيّة المخطوفين الفرنسيّين التي شغلت العالم، وجاءت الوفود تلوَ الوفود تقابل قادة البلاد للعمل على تحريرهم دون جدوى. فقد آن الأوان لكشف حقيقتها. فقد وصل إلى لبنان صديق العرب الصحافيّ الفرنسي لوسيان بترلان حاملاً رسالة من «جاك شيراك» رئيس الحكومة الفرنسيّة في ذلك الحين، يرجو سماحة السيّد المساعدة في حلّ هذه المسألة... وكان اجتماع بحضوري حيث أفهمَ سماحتُه الموفدَ الفرنسيّ بأنّه يستنكر الخطف استناداً إلى إيمانه الدينيّ، وأنّ الموضوع سياسيّ ودوليّ، ويتعلّق بالعلاقات الفرنسيّة الإيرانية، وأنّ هنالك ثلاثة ملفّات مفتوحة يجب العمل على إقفالها... وهي الموقف الفرنسيّ المساند عسكريّاً وسياسيّاً صدام حسين في عدوانه على إيران، ثم أموال الشّاه التي تحتجزها فرنسا، وهي أموال من حقّ الشّعب الإيراني. وأخيراً وليس آخراً، المعتقلون الثلاثة في سجون فرنسا، ومنهم المناضل اللبناني أنيس النقاش. وقال السيّد بصراحة، إنّ الحلّ هو في طهران، وأبدى استعداده للطلب من إيران استقبال وفدٍ فرنسيٍّ لإقفال هذه الملفّات، وهذا ما حصل.. وتحرّر الرهائن.

منذ دخولي المؤسّسة العسكريّة وحتى تاريخه، لم أشعر يوماً بانتمائي لجهة، أو حزب، أو زعامة أو حتى لمرجع دينيّ، اللّهم الاّ بانتمائي لعائلتي وبلدتي الوطنية.

ومنذ اليوم الأوّل للقائي بسماحة العلاّمة الغائب شعرت بنعمة الانتماء الفكريّ، والفقهيّ، والسياسيّ، والعقائديّ إلى تلك القامة العلميّة العظمى. وشعرت أنّ هذا البيت هو مقصدي وهو مرجعي.

كنت أحرص على زيارة سماحته بعد كلّ رحلة لي إلى أوروبا، حيث أنقل إليه مشاعر الجاليات الإسلاميّة. من محبّة وإعجاب وتقدير. وحيث أخبرني رئيس

اتّحاد الجاليات الإسلاميّة في أوروبا المقيم في باريس، بأنّهم بعد أن جالوا في مختلف البلاد العربية وجدوا في سماحة السيّد فضل الله علاَّمة متجدّداً لعصر إسلاميّ متجدّد. وعَلاَمة فكرية فارقة، ورائداً في الاجتهاد الفكريّ المستقلّ.

وقد سُعدت ولم أُدهش عندما التقيت الوزير الألماني، وأحد أكبر محامي ألمانيا «بيتر غاوفلير»، وكان نائباً لرئيس الحزب الديمقراطي المسيحي، وقال لي إنّ هنالك حلماً يرواده، وأمنية يتمنّاها، وهي اللّقاء بالمرجع الكبير. وقد تحقّقت هذه الأمنية، وجاء الرجل برفقة صديقه السناتور الألماني الفخري رجل الأعمال ياسين دغمش، وكان لقاءً مؤثّراً طالباً من سماحة الراحل الكبير السماح له بتقبيل أياديه الطاهرة، فأبى بتواضع جمّ. وبكى الرجل الألماني لحظة الفراق طالباً مباركته وعائلته. كان المشهد مؤثّراً وقد علمنا أنّ السيد «غاوفلير» كان قد قرأ مقالاً مُتَرْجَماً لسماحة السيد، وطلب ترجمة كافّة مقالاته وبعض كتبه ووزّعها على أقرانه.

وأخيراً وليس آخراً، لا بدّ من ذِكْرِ آراء سماحته النيّرة التي أتحفني بها خلال تحضيري لرسالة دكتوراه في جامعة السوربون في فرنسا، عن الشّيعة في لبنان ونظرتهم للمجتمع والدولة. وحيث قال متوجّهاً للمتخوّفين والقلقين مِنْ فَرْضِ دولة إسلاميّة في لبنان، أنّ قيمة لبنان هي في تنوّعه الطائفي، وأنّ الفسيفساء اللبنانية يجب أن تتحوّل من نقمة إلى نعمة، وأن «لا إكراه في الدين»، وأنّ على المسيحيين أن يطمئنوا، وأنّ الوحدة الوطنية هي غايته ورسالته ومقصده.

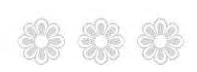
الكلام عن ذكرياتنا مع سماحة آية الله العظمى محمد حسين فضل الله يطول ويطول ولا تتّسع له هذه العجالة. ويكفي القول إنّه كان مدرسة في رجل، وأمّة إسلاميّة متنوّرة في إمام عالم متنوّر.



رحمك الله يا مولانا، ويا مرجعنا، ويا قائدنا. فالخسارة لا تعوّض، والفراغ بعدك مُقلق إن لم نقل مخيف. والبركة ما تركت من ذريّة صالحة على رأسها ولدكم السيّد علي، ومؤسّسات إنسانيّة راسخة مُنتجة. ومن تراث فقهي، وفكري، واجتهادي، ووطني، سيتوارثه المؤمنون والمتنوّرون لأيّة طائفة انتموا وبأيّ مذهب آمنوا.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات انسانٌ انقطع عنه عمله، إلاّ من ثلاث. صدقةٌ جارية، وعِلمٌ كان علمه للناس فانتفعوا به، وولدٌ صالح يدعو له**».

وقد ترك سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله رضوان الله عليه كلّ ما ذكره الرسول، فصدقاته جارية من خلال مؤسّساته الخيريّة ومبرّاته، وترك عِلماً نفيساً من خلال مؤلّفاته وخُطَبه العزيزة، وخلّف ذريّة صالحة تدعو له ويدعو الناس له من خلالها. فالسّلام عليك في جنّة الخلد...





# سلامٌ إلى السيّد الغائب الحاضر

**واصف عواضة**(*)

ما كان أحوجنا إلى الرأي السّديد في هذه الظّروف الصعبة التي تمرّ بها الأمّة من محيطها إلى الخليج.

وأيّ رأي كان يمكن أن يوازي ذلك الموقف الوازن الذي كان يعبّر عنه في كلّ المفارق والمراحل التاريخية، ذلك الغائب الكبير الذي اشتاقت آذانُنا وعقولُنا لالتماس مشورته في الدِّين والدّنيا.

سنتان على غياب المرجع الكبير السيّد محمد حسين فضل الله، غاب الجسد ولم يغب الفكر والروح. لقد حفر السيّد في تاريخنا وفي عقولنا صفحات لا يضلُّ من يهتدي بها.

كانَ في ودّنا يا سيّد الاعتدال أن تلجمَ اسماعنا اليوم عن أصوات التطرّف والتحريض والتمذهب.

كانَ في ودّنا يا سيّد الانفتاح أن تشرّع أبوابنا المغلقة على بعضنا البعض، من خلال حضورك الطاغي على كلّ القامات الكبيرة والصغيرة.

---

(*) كاتب وإعلامي لبناني.

كان في ودّنا يا سيّد التغيير، أن تشاركنا هذه المرحلة التاريخيّة في منطقة كنت الأحرص على خروجها من الظّلمات إلى النور.

ماذا نقول لك يا سيّد؟!

ها هي مصرُ تفتح الأبوابَ نحو مستقبلٍ نرجو أن يكون بحجم آمالك وآمالنا وطموحات شعبها العظيم.

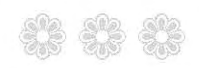
وها هي تونس وليبيا تخرج من نِير الاستعباد إلى فضاء الحريّة.

أمّا سوريا يا سيّدنا، فما كُنّا نتمنى لها هذا المصير والمسار.

وأمّا فلسطين فيا فؤادك المجروح عليها وعلى شعبها الأبيّ الذي تتصاعد معاناته يوماً بعد يوم. وها هي القدس كما تركتها حبيسةَ الأنظمة الكثيرة الكلام، القليلة الفعل.

الله الله يا سيّد...ثمّة كلامٌ كثير نريد أن نرفعه إلى عليائك، لكنَّ خيرَ الكلام ما قلّ ودلّ.

فيا سيّد الاعتدال والانفتاح والتغيير: سلامٌ لك وسلامٌ منك، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.





# ملهم عقول الأجيال

وديع الخازن[*]

في ذكرى العلّامة السيد محمد حسين فضل الله يتردّد صدى أحزان الأمّة المختزَنة في صدره: فهل ناء قلبه بأثقال أمّته ووطنه لتُغافِله المنيّة بعد صموده في وجهها أعواماً عدّة؟

رحل آية الله السيّد محمد حسين فضل الله في سنّ الرابعة والسبعين، ووطنه بأمسّ الحاجة إلى حكمته الروحيّة والزمنيّة، بعدما أعلى مراتب العلم الدّيني إلى ذرى لم تعهدها الدراسات الإسلاميّة المتعمّقة والمنفتحة على عصره المليء بالتحوّلات والتحدّيات.

في غيابه نفتقد ركناً وطنيّاً في لبنان ظلّ عقله الراجح الرّاشح بالمواقف الداعية إلى الوحدة في أسوأ المراحل التي عصفت بلبنان، مرشداً تخطّى حدود الانتشار الإسلاميّ إلى آفاق لامست الوعي الدّيني في كلّ الأديان السماويّة، لاسيّما المسيحيّة والإسلام.

مرجعيّته الروحيّة ألهمت وألهبت قلوب الأجيال الطالعة وعقولها، فكانت

---

[*] رئيس المجلس الماروني.

المقاومة عربون قطاف لمآثر كرامة وطنه وكرامة الأمّة العربيّة التي هِيض جناحها حروباً خاسرة في وجه إسرائيل.

لم يفض وهج روحه المتأجّجة بالثورة على المظالم في قضيّة الإنسان الفلسطينيّ الذي فقد أرضه منذ أكثر من ستين عاماً، بل تجاوزها إلى ما هو أشمل في قضايا الأمّة في ما يمسّ بحريّة الانتفاض على واقع الخنوع والإذلال.

ومن هذه الرؤية الواسعة والشّاملة، استطاع أبناء المقاومة أن ينهلوا من خطبه وتعاليمه جذوة البطولة في التحرّر والتحرير، فكان التحرّر من أوهام الخوف والتحرير الذي نَعِمَ به لبنان والجنوب سنة ٢٠٠٠، وهو نفسه الذي حوّل أسطورة «الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر» إلى ألعوبة دُمى تتدحرج على سواعد المؤمنين بحقّهم وقضيّتهم.

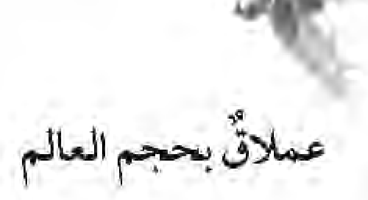
أوَلَم يقل سيّد المقاومة السيّد حسن نصر الله في بيان نَعْيه إنّه استقى من هذا الينبوع الملهم مبادئ مقاومته يوم كان يافعاً؟

لأنّ هذا الفكر الشموليّ الذي اتّسع على مدار المواضيع التي جابهت معاصريه، استطاع أن يجيب على كلّ التساؤلات الكبرى والصغرى التي اعترضت مسيرة الإسلام، فكان بحق «ولادة» أفكار متحرّكة على وقع زمن الانقلاب والتحوّلات في إيديولوجيّات العالم.

لقد عرف هذا المرجع الكبير كيف يمازج الحسّ الديني بمنطق الحياة، فجاءت فتاواه مصداقاً لقدرته العجيبة على تخطّي حواجز أقرانه.







# عملاقٌ بحجم العالم

*يحيى أبو زكريا*(*)

يعجز اللّسان عن إيجاد العبارات التي تناسب طاقات العلاّمة المرجع المفكّر الإسلاميّ السيّد محمد حسين فضل الله قدّس الله نفسه الزكية..

لقد كان رجلاً عملاقاً بحجم العالم الإسلاميّ... وقد كان يمثّل الإسلام بكلّ مفرداته وكان رجلاً جامعاً موحّداً.. وكان يدعو باستمرار لوحدة المسلمين في مواجهة التحدّيات الكبرى..

نَدَرَ في العالم الإسلاميّ رجالٌ من هذا القبيل.. الذين يجمعون ولا يفرّقون والذين يوحّدون ولا يشتّتون..

كان رجل فكر، وفكره نابض في العالم الإسلاميّ...

عرفته منذ عشرين سنة، وكنت في كلّ مرّة أزداد إعجاباً به... بفكره وبسعة علمه...باطّلاعه...

لم يكن مجرّد فقيه أو أصوليّ... بل كان نحوياً وبليغاً وشاعراً وكان مفسّراً، وكان روائياً، وكان فقيهاً مستنبطاً للحكم الشرعيّ وتحديداً في مناطق الفراغ في

(*) كاتب وإعلامي جزائري ـ قناة الميادين.

الفكر الإسلاميّ...

شخصيّة من هذا القبيل يندر وجودها في كلّ مائة سنة.... لقد شاء المولى عزّ وجلّ أن يكون العلاّمة محمد حسين فضل الله واحداً من المنارات... قامةً شامخةً من الفكر الإسلاميّ المتأصّل الذي كان ينتمي للإسلام كلّه... كان ينتمي للإسلام المحمديّ ولم يكن طائفيّاً ولم يكن فتنويّاً ولم يكن مفرّقاً..

كان يدرك سرّ الإسلام ومنه انطلق في الاجتهاد والتفكير لصناعة الأبستمولوجيا أو المعرفة الإسلاميّة..

كان ينطلق من هذه القواعد لسنّ خارطة طريق للمسلمين باتّجاه المنطق وباتّجاه المعرفة...

كان مشحوناً بهمّ المسلمين من طنجة إلى جاكرتا... حتى المسلمين في عواصم الاغتراب الأوروبيّ والغرب بشكلٍ عام... كان يحتكّ بهمومهم وقضاياهم ويرسل إليهم الفتوى والحكم الشرعيّ المناسب...

رجلٌ كان ساكناً في القارات الخَمس... يبحث عن هموم الإنسان المسلم ويحاول أن يُوجِد الطريقة المثلى في اتّجاه التكامل الإسلاميّ وبين ذاك وذاك.. كان الأيتام يعرفونه، وكان الفقراء يعرفونه وكان المعوزون يعرفونه... وكلّ هذه الخصال القيّمة والعظيمة جعلته يحلِّق في العُلا على إيقاعٍ من التواضع الشديد..

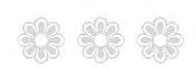
لقد كان متواضعاً إلى أقصى الدرجات... تواضع الأولياء والصالحين والعلماء...

قد لا يجد المرء عبارة موجزة تفي حقَّ السيد فضل الله، لأنّه ليس مجرّد فقيه أو مرجع كما أسلفت، بل هو جامعة إسلاميّة، ويذكِّرنا بجيل العمالقة في تاريخنا الفكريّ الإسلاميّ عندما كان العقل الإسلاميّ يصنع المعرفة ويُنتج الفكر قبل أن

يتحنّط ويتبلّد ويتقوقع على قضايا لا تمتُّ إلى نهضة المسلمين بصلة.. قد جاء السيد محمد حسين فضل الله وطرق هذا العقل ووبّخه قائلاً له، انهض... نحن في الألفيّة الثالثة، لا مكان للمتحنّطين وللجاهلين، ولا مكان للذين لا يعيدون تحريك المتغيّرات انطلاقاً من ثوابت الشريعة الإسلاميّة ومقاصدها..

ربط الإسلام بالحياة وربط الحياة بالإسلام وأنتج لنا فكراً إسلاميّاً للحياة... فكراً وسطياً وفكراً لا وجود فيه للبغضاء والكراهية وإقصاء الآخر... فكرٌ يمثّل كلّ المسلمين... من طنجة إلى جاكرتا..

لذلك قلتُ يوم رحيله.. إنّنا فقدنا رجلاً ومفكّراً إسلاميّاً بحجم طنجة وجاكرتا... رحم الله المفكّر الإسلاميّ العملاق محمد حسين فضل الله... ومهما مرّت السنون سيظلّ فكره محرّكاً، ويظلّ فكره قائداً لمن يريد أن يصل إلى التجديد في الفكر الإسلاميّ، وسدّ أماكن الفراغ وما أكثرها في دنيا الاجتهاد اليوم...





# رؤية «العلامة فضل الله» لدور المؤسّسات التعليميّة

فاضل حبيب(*)

شهد الأسبوع الماضي (الرابع من يوليو/ تموز ٢٠١٢م)، الذّكرى السنويّة الثّانية لرحيل العلامة السيّد محمد حسين فضل الله.

والحقيقة الجوهريّة في رؤية هذا المرجع الدّينيّ البارز للعمل المؤسّساتي، هي إيمانه بـ (دولة الإنسان)؛ فالمستفيدون من المؤسّسات وجمعيّة المبرّات الخيريّة التابعة له، هم كلّ اللّبنانيّين من مختلف المذاهب والطوائف، من الشّمال إلى الجنوب، لتكون الحصيلة النّهائيّة طبقاً لآخر الأرقام والإحصائيّات، رعاية ٤٠٠٠ يتيم ويتيمة في المبرّات الخيريّة، وتعليم ٢٢٠٠٠ تلميذ في المدارس الأكاديميّة والمهنيّة، و٣ مدارس للأشخاص ذوي الإعاقة (ذوي الاحتياجات الخاصّة) وتعليم ٦٠٠ تلميذ من ذوي الإعاقات البصريّة والسمعيّة والنطقيّة، ودمج ٥٠٠ تلميذ من ذوي الاحتياجات الخاصّة في مدارس المبرّات الأكاديميّة، و٩ مبرّات للأيتام، و١٥ مدرسة أكاديميّة، و٥ معاهد مهنيّة وفنيّة، و٤ مراكز صحيّة واستشفائيّة، و٤٠ مركزاً ثقافيّاً ودينيّاً، وداراً للمعلّمين والمعلّمات، ومركزاً للتّشخيص التربويّ، وداراً لرعاية المسنّين، إلى جانب المؤسّسات الأخرى الّتي

(*) كاتب بحراني.

تجاوزت حدود الأراضي اللّبنانيّة، لتشمل دولاً عدّة في إفريقيا وغيرها.

لم يكن البعد الحقوقيّ الإنسانيّ غائباً أو بعيداً عن فكر العلاّمة فضل الله وأداء مؤسَّساته المتعدّدة، فالدّين إنّما جاء ـ حسب توصيفه ـ لخدمة الإنسان، ولم يأتِ الإنسان لخدمة الدّين، وإنّ ما قرّره الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان في مبادئه الأساسيّة وعناوينه العامّة، لا يبتعد عن القاعدة الإسلاميّة، لا سيّما وأنّ بعض هذه المبادئ والعناوين انطلقت من الجذور الإسلاميّة والرساليّة، لجهة تأكيدها أنّ الناس يولَدون أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق، وأنّ لكلّ إنسان حقّ التمتّع بكلّ الحريّات والحقوق الواردة في الإعلان، من دون تمييز في العنصر أو اللّون أو الجنس أو اللّغة أو ما إلى ذلك.

حتّى إنّه كان متابعاً بشكل مباشر للمناسبات الّتي ركّزتها الأمم المتّحدة، كيوم المرأة العالميّ، واليوم العالميّ للشّباب، ويوم العمل والعمال، إلى جانب إصداره الفتاوى ذات العلاقة بكيفيّة التعاطي مع العمال، والدّفاع عن خادمات المنازل، ومشروعيّة دفاع المرأة عن نفسها في مواجهة عنف زوجها، والفتاوى المتّصلة بجرائم الشّرف وغير ذلك.

وبعيداً عن التّنظيرات، فقد أحيت مدارس المبرّات في جمعيّة المبرات الخيريّة مؤخّراً، وبالتعاون مع مكتب اليونسكو الإقليميّ في بيروت، (أسبوع التّعليم للجميع: حقوق منذ البداية، رعاية وتعليم الطّفولة المبكرة الآن)، مؤكّدةً بذلك عزمها على مواصلة مسيرة التنمية الإنسانيّة حتّى بعد رحيل المؤسّس فضل الله؛ نظراً إلى وضوح الأهداف والرّؤى الّتي عبّر عنها السيّد في كلماته الوداعيّة: «أيّها الأحبّة، أكمِلوا المسيرة»، هذه المسيرة الّتي كان من أبرز مصاديقها «التّعليم»، حيث الاستثمار الأمثل في الإنسان؛ لإعداد جيل شبابيّ متعلّم واعٍ متسلّح بأدوات المعرفة.



أذكر أنّني عندما كتبت مقالاً بعنوان:البرلمان المدرسيّ... حقّ من حقوق الطلبة»، تساءلت في نفسي: بما أنّ البرلمان المدرسيّ يختصّ بالشؤون التشريعيّة، وترسيخ مبادئ الديمقراطيّة، وممارسة الحرية بمسؤوليّة في الفضاء التّعليميّ، فماذا عن السلطة التنفيذيّة في الحراك الطلابيّ؟!

للإجابة عن السؤال، بادرت ثانوية الإمام الحسن(ع) ـ وهي إحدى مدارس جمعيّة المبرات الخيريّة التابعة للسيّد فضل الله ـ بتنفيذ مبادرة «الحكومة الطلابيّة»، وهي مبادرة تقوم على مبدأ تحضير طلبة المدارس لتحمّل المسؤوليّة العامّة تجاه قضاياهم الّتي هي جزء لا يتجزّأ من قضايا مجتمعهم، وذلك على مختلف المستويات التّربويّة والاجتماعيّة والثقافيّة.

فقبل خمس سنوات، انطلقت الفكرة على شكل لجنة طلابيّة، وتطوّرت شيئاً فشيئاً لتصبح «حكومة طلابيّة»، ما استدعى قيام برلمان طلاّبيّ يقوم بسَنِّ التّشريعات والقوانين، بحيث يعمل إلى جنب الحكومة، ويتعاون معها وفق الآليّات الدّيمقراطيّة.

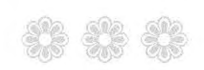
تناولت الثّانويّة منذ إطلاقها مبادرة «الحكومة الطلابيّة « بشكل رئيس، الموضوعات والأنشطة والمشاريع الّتي توجّه المجتمع الطلاّبيّ والموظّفين العاملين في المؤسّسات التربويّة والتعليميّة.

حتى الآن، وعلى مدى السنوات الثّلاث الأخيرة، قامت «الحكومة الطلابيّة» بإصدار ثلاثة بيانات وزارية، أي بمعدّل بيان في كلّ عام دراسيّ، وبموجبها، نالت الثقة في جلسة عامّة للبرلمان الطلابيّ، وفقاً للأصول الديمقراطيّة المعتمدة في النّظام السياسيّ اللّبنانيّ، وبما يتلاءم مع البيئة المدرسيّة عموماً، والبيئة الطلابيّة خصوصاً.



لقد أدرك فضل الله أهميّة الاستثمار في التّعليم، كحقٍّ من حقوق الإنسان، انطلاقاً من الرّؤية النبويّة الّتي تقدّس «التّعليم والتعلّم»، فطالما كان السيّد يوصي الشّباب ـ وهذا ما قرأناه في ردوده على استفتاءات الطّلبة المسلمين في المهجر ـ بأن يبنوا المدارس هناك بدلاً من المساجد؛ لأنّ بإمكانهم إقامة الصّلاة في المدارس، والحفاظ على هويّتهم الإسلاميّة بشكلٍ أو بآخر.

يُنقل عن النّبيّ محمّد(ص)، أنّه دخل ذات يوم مسجد المدينة، وإذا به يشاهد جماعتين من النّاس، الأولى منشغلة بممارسة العبادة والذّكر والدّعاء، بينما الجماعة الأخرى منشغلة بالتّعليم والتعلّم، وكعادته(ص)، ألقى عليهما نظرة فرح واستبشار، وقال للّذين برفقته مشيراً إلى الجماعة الثّانية: ما أحسن ما يقوم به هؤلاء! ثمّ أضاف قائلاً: «إنما بُعثت للتّعليم»، ثم ذهب وجلس مع الجماعة الثّانية!



# في ذكرى السيِّد فضل الله

علي فرحات(*)

عمَّ يتساءلون سيّدي، عن التقاتل والتناحر والصّراعات الطائفيّة؟

عمَّ يتساءلون سيدي، عن الذئاب الَّتي تنهش جسدنا، وتفتّت أحلامنا، وتحوِّل بيوتنا إلى متاريس للفتنة، فنَقْتُل ونُقْتَل ونصلي لله على ذبح أشقائنا ونثر أجسادهم!؟

عمَّ يتساءلون سيّدي، عن الحقد والكراهية الَّتي ملأت أزقّتنا، وعن الشَّتائم الَّتي باتت من معالم ثقافتنا، وعن جرّنا جماعةً وفرادى إلى ساحات الحرب العبثيّة الوهميّة الَّتي لا تزيدنا إلا تخلّفاً وأحزاناً!؟

عمَّ يتساءلون سيّدي، عن أحياء بغداد أو أرياف دمشق أو شوارع بيروت أو منابر مساجدنا التي استبدلت الأذان بخطابات التعبئة، والمواعظ ومعاني السّلام والمحبّة بالكفر!؟

عمَّ يتساءلون سيّدي، عن نسيان فلسطين وتلهّي المسلمين في سفك دماء بعضهم بعضاً، والعدو من ورائهم ينهش ما تبقّى لهم من تاريخ وحضارة!؟

---

(*) كاتب لبناني

عمَّ يتساءلون، عن نشر التشيّع والتسنّن، وأبناء المذهبين، من سجن «أبو غريب» وحتى «غوانتنامو»، يُجلدون بالسّياط الأميركيّة الصهيونيّة، ويُقتلون في لبنان وفلسطين بغضّ النظر عن هويّتهم وانتمائهم الطائفي.

سيّدي، لقد اشتقنا إليك حين أصبح الحوار في الخنادق، وبتنا سلعاً مذهبيَّة تتقاذفنا الخطب المسمّمة.

اشتقنا إليك سيّدي لأنّنا، بتنا في زمن العقل المغيّب والحزبيّة المقيتة والتطرّف الشامل، ولأنَّ التَّسامح والمحبَّة أصبحا إرث الفقراء الَّذين لا يقوون على تيارات الأسلمة السياسيَّة وتجّار الفتن الطائفيَّة.

اشتقنا إليك سيِّدي كلَّما نظرنا إلى كُتبنا فوجدناها ملغومة، وكلَّما نظرنا إلى أيتامنا فوجدناهم أيتاماً برغم يُتمهم، وكلَّما نظرنا إلى وجه الآخر ولم تَعْتَرِنا بسمة الحب في الله وأبناء الله.

اشتقنا إليك كلَّما نسينا كلام الله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[الأنفال:٤٦].

نشتاق إليك سيّدي كلّما رأينا مسيحيّاً يشدّ العزم على الرحيل من بلادٍ حلمنا يوماً أن تكون مزيجاً دينياً جميلاً ومهداً لتلاقي الثقافات والعقائد.

وبعد هذا سيّدي، فَهِمْنا كيف احتارت المخابرات العالميَّة في قتل رجلٍ كبيرٍ، وطرد مراسلة صحفيَّة لأنها امتدحته بعد وفاته، بينما تُفتح الأبواب للكثير من العلماء، وتموّل بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية فضائيّاتهم الفتنويَّة.



# هل نتعلّم من الكبار؟

محمد السّيّد[*]

كلّما لاحت في الأفق بارقة إصلاح أو تجديد على مستوى الأمّة، يتدخّل القدر لمنعها من قطف ثمار هذه البارقة، وتوظيفها في تقدّم وعيها ومسيرتها، وكأنّ الأمّة في وادٍ، ورجالاتها ومصلحيها في وادٍ آخر، وقلّة قليلة من تعي أهميّة هؤلاء المصلحين ودورهم في خدمة قضايا أمّتهم، على أنّ التّأثير يبقى محدوداً لهؤلاء في ظلّ تمدّد سياسة التّجهيل حفاظاً على مصالح خاصّة...

فما تبقّى من الدّين كما يقدّم، أضحى هو المشكلة في كثير من مفاصل حياتنا على الصّعد كافّة، وهذا ما يتطلّب رغم الصّعوبات، بعث الخطاب الديني من جديد، ولا يكون ذلك إلا بالالتفاف والإفادة من التجارب والأفكار التنويريّة والإصلاحيّة الّتي ترتكز على سعة الأفق ووضوح الرّؤية والتّفكير لدى مصلحي الأمّة، لإعادة بناء ما يمكن بناؤه من الوعي والعقل الجمعيّ على قاعدة الصّدمة والتّنبيه...

واليوم، في أجواء الذّكرى الثّانية لرحيل المرجع الإسلاميّ، السيّد محمد

---

(*) كاتب لبناني



حسين فضل الله(رض)، كم نحن بحاجةٍ إلى هذا الصّوت والفكر الإصلاحيّ والتّنويري الّذي دأب كلّ حياته على إلغاء كلّ الحواجز والمتاريس الطائفية والمذهبيّة، في وقت تكثر المتاريس هذه الأيام، ويعلو صوت المذهبية، وأمّا الوطنية التي يتشدّق بها الكثيرون، فمطعونة وغائبة، أو أنّ موجتها هي للركوب وقت المناسبات للاستهلاك...

كم مرّ ويمرّ من مصلحين ومجدِّدين كالسيّد فضل الله وغيره، ولا تُقتنص لحظات إبداع هؤلاء، فتؤجّل تلك اللّحظات، أو يُعمل على تغييبها لأجلٍ غير مسمّى، وكأنّ العداء أصبح طبيعياً بين الناس ومصلحيهم، أو أنّ الناس يتمّ استغلالهم، فتضيع تلك اللّحظات في دفاتر الحسابات التي لا تنتهي...

ما ميّز السيد فضل الله، هو الأفق الواسع، والطرح الجريء والواضح، والرّوح الإنسانيّة الصافية، في مقاربة الموضوعات الدينيّة وغيرها، لإحياء الواقع، وإبعاده عن الجدب واليباس الروحيّ والفكريّ والأخلاقي، في سبيل كرامة الإنسان وصيانتها في زمن تعاني الكرامة السّقوط كلّ يوم...

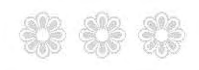
ومكان المصلحين الصّحيح هو بين النّاس ولأجلهم، فهم لا يفكّرون في ذواتهم بقدر تفكيرهم في مسؤوليّاتهم، وإلا فقدوا صفة المصلح، فالدّين والواقع شيء واحد، ولغة التّواصل وميدان التّفاعل بينهما يكون في الصّدق والعمل بعيداً عن كلّ خطاب لاهوتي أو طقوسيّ جافّ، وما أكثره!..

فمتى يستيقظ النّاس على أمل أن يستفيدوا من مصلِحيهم ومفكّريهم في خدمة قضاياهم، وأن يتعوّدوا على قراءة تجارب هؤلاء لاستنهاض العزيمة، ونفض غبار الضّعف والاستكانة؟..

فكم نحن بحاجةٍ اليوم إلى أمثال هؤلاء المصلِحين وخطابهم الوحدويّ



والإبداعيّ والتقدّميّ، للنّهوض وتصحيح المسار، للحفاظ على الهويّة والمصير، وإبعاد أنفسنا عن الخوف والضّعف، كي لا تبقى حياتنا ومصيرنا رهن ردود الأفعال الّتي بتنا نتقن لعبتَها، ونحسن إدارة خيوطها. متى تعود الحياة إلى واقعنا المهترئ، الّذي يتوزّع الجهل والتعصّب في دروبه وزواياه، وتختفي فيه حرارة الإبداع والتّنوير والعطاء؟..



# محمد حسين فضل الله و«المرجعيّة ـ المؤسسة»

هيثم مزاحم(*)

طرح المرجع اللّبناني الراحل آية الله السيّد محمد حسين فضل الله نظرية «المرجعيّة ـ المؤسسة» في مسعى لتطوير المرجعيّة الدينيّة الشيعيّة إلى مؤسّسة، وكان مشروعه هذا ذا منهجيّة متكاملة اختلفت مع الصيغة التقليديّة للمرجعيّة التي سار عليها التاريخ الشيعيّ على امتداد فتراته وحقبه المتلاحقة، إذ «إنّ طبيعة الظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي تحيط بعالم المسلمين، وضخامة التحدّيات التي تواجه المجتمعات الإسلاميّة تفرض إحداث نقلة أساسية في الواقع المرجعي كجهاز يحيط بشخص المرجع، وتشكيل مفرداته في صيغة جديدة لها صفة العمل المؤسسي المنظّم».

وقد حدّد فضل الله منهجيّة العمل للمؤسّسة المرجعيّة على أساس دائرتين رئيستَين:

الأولى: إبعاد المرجعيّة عن الصفة الشخصيّة، فلا تكون معبّرة عن الوجود

---

(*) أستاذ جامعي وباحث لبناني

الشخصيّ لمرجع معيّن، بحيث تموت بموته، وتأخذ خصوصيّاته الفرديّة لأنَّ في ذلك ضياعاً لجهود كبيرة وعطاءات متميّزة قام بها المراجع في فترات مختلفة.

إنّ ما أراده فضل الله هو إنهاء هذه الحالة الفرديّة المرجعيّة، وجعلها مؤسّسة متكاملة موحّدة لا تعيش الفواصل في شخصيّات المراجع، ولا يتحدّد امتدادها الزمنيّ بحياة المرجع. إنّما تمثّل حالة ثابتة لها مقوّمات الاستمرار على خطّ استراتيجي واضح، حتى مع تغيّر المراجع وتعاقب أدوارهم الحياتيّة.

يقول السيد فضل الله: «تكون المرجعيّة مؤسّسة بحيث إنّ المرجع عندما يأتي، يأتي إلى مؤسّسة تختزن تجارب المراجع السّابقين، بحيث تكون كلّ الوثائق التي تمثّل علاقات المرجع بالعالم وتجاربها وخصوصيّات القضايا التي عالجتها حتّى في مسألة الاستفتاءات والأسئلة والأجوبة، متوفّرة للمرجع الجديد الذي يجد كلّ هذه التجارب جاهزة في مؤسّسة المرجعيّة ليبدأ من حيث انتهى المرجع السّابق، لا ليبدأ بعيداً عن كلّ التجارب السّابقة».

أمّا الدائرة الثانية فهي تخلّي المرجعيّة عن حالتها التقليديّة في الميل إلى الوسط الحوزويّ، بعيداً عن الاهتمامات العامّة في حياة المسلمين، وفي الواقع الدوليّ بشكل عام. فيجب أن يتّسع الاهتمام المرجعيّ بسعة القضايا التي تتّصل بالإسلام والمسلمين، ممّا يعني أن ترصد المرجعيّة مجمل الأحداث والتحرّكات من خلال كونها مؤسّسة قياديّة في الوسط الشيعيّ والإسلاميّ.

يقول فضل الله في هذا الخصوص:

«لا بدّ للمرجعية أن تطلّ على قضايا العالم، ولو من ناحية اتّخاذ المواقف السياسيّة أو المواقف الثقافيّة أو الاجتماعيّة التي تطلّ على كلّ مواقع المرجعيّة، أو ما تمتدّ إلى أبعد من هذه المواقع وتؤثّر به سلباً أو إيجاباً. إنّ هذا هو الذي

يمكن أن يحقّق للمرجعية حيويّتها وحركيّتها التي تكون بها عنصراً فاعلاً في حياة كلّ النّاس الذين ينتمون إليها، ويتّبعونها، ويتّخذون المواقف منها. ومن الطبيعي أنّ الجوانب التنظيميّة في هذه المؤسّسة لا بدّ أن تخضع لتخطيط معيّن بحيث تتكامل كلّ المواقع داخل الموقع الكبير».

إنّ هذه الهيكليّة التي تصوّرها آية الله فضل الله، لا يمكن لها أن تتحقّق إلاّ من خلال شخص المرجع، فهو الذي يمكنه أن يضع الأسس المنهجيّة لبناء المؤسّسة المرجعيّة، وهذا ما يحتاج إلى جانب المؤهّلات الشخصيّة، إلى خبرة عملية حصل عليها الفقيه في حياته من خلال انفتاحه على قضايا العالم، وحضوره الفاعل في السّاحات الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة العامّة.

## الدمج بين المرجعيّة والولاية

لم يطرح فضل الله «المرجعيّة المؤسّسة» كمحاولة لتطوير المرجعيّة الدينيّة ومَأْسَسَتها فحسب، وإنّما كمشروع لتوحيد المرجعيّة الدينيّة وولاية الفقيه. ويقول في هذا الصدد: «إنّ أطروحة المرجعيّة ـ المؤسّسة توحّد ما بين المرجعيّة والولاية، بحيث ترى في المرجع وليّاً، أو ترى في أن يكون الوليّ هو المرجع». ورأى أنَّ هذا الطرح «من شأنه أن يواجه اعتراضات، لا سيّما من قبل الاتّجاه الفقهيّ الذي لا يقول بالولاية العامّة للفقيه، وبالتالي لا يقول بولاية المرجعيّة العامّة من جهة. وكذلك الأمر من قِبل الاتّجاه الفقهيّ الذي يؤسّس المرجعيّة على شرطَي الأعلميّة والعدالة، بينما لا يرى ضرورة تحقّق شرط الأعلميّة في الولاية، ممّا من شأنه أن يُقيم حاجزاً بين الاثنين، بحيث يحول دون رفع الولاية إلى حدود المرجعيّة أو العكس».

ويوضح فضل الله رؤيته: «عندما تكون هناك مرجعيّة وولاية قد يحصل



بعض المشاكل كالتصدّي لموضوعات مشتركة...عندما يكون المرجع شخصاً ويكون الوليّ الفقيه شخصاً آخر، فإنّه من الطبيعيّ أن تكون هذه التعدّدية سبباً لأكثر من مشكلة، لأنّ هناك قضايا قد يختلف فيها المرجع في فتواه عن رأي الوليّ في حركته. مثلاً، ربّما يرى بعض المراجع أنّ الجهاد غير مشروع في غيبة الإمام، أو يرى أنّ العمل من أجل إقامة دولة إسلاميّة في بلدٍ ما محرّم لأنه يؤدّي إلى سفك الدماء، وإرباك للواقع الاقتصاديّ والاجتماعيّ للأمّة. ولكن الوليّ الفقيه يرى ضرورة الجهاد أو يرى ضرورة إقامة الدولة الإسلاميّة في هذا البلد الإسلاميّ أو ذاك، ويحضّ الناس على ذلك. في مثل هذه الحالة قد يعيش الناس الذين يلتزمون بهذا المرجع، ويلتزمون بولاية هذا الولي، مشكلة الإزدواجيّة بين الانتماء للمرجع فتوائيّاً والانتماء للوليّ حركيّاً. في مثل هذه الحالة، ربما يرى هذا المرجع في مسألة الولاية ولاية مطلقة للفقيه المتصدّي، فإذا لم يكن متصدّياً فمن الطبيعي أن يدعم ولاية الفقيه إذا توفّرت فيه شروط الولاية من وجهة نظره انسجاماً مع رأيه، ولا بدّ من أن يدفع الناس إلى طاعته، وبذلك يكون تحرّك الولي في خطّ الولاية نافذاً شرعاً لا من الناحية الفتوائيّة، بل من ناحية أنَّ حكم الولي نافذ وتحرّكه شرعي، تماماً كما هي فتوى المجتهد الذي يختلف مع مجتهد آخر في النظريّة الفقهيّة التي يقضي بها المجتهد الآخر في مسألة دعوى بين اثنين، فإنّ اختلافه معه في الفتوى لا يجيز له أن يرفض حكمه في القضاء. في هذه الحالة تكون مسألة حركة الوليّ في ولايته كحركة القاضي في قضائه، ممّا يجب على من يرى ولاية الفقيه أن يطيعه».

أمّا إذا كان هذا المرجع «لا يرى ولاية الفقيه، ولكنّه يرى أنّ حكم الحاكم في الموضوعات وفي الأمور العامّة المتعلّقة بالموضوعات نافذ، فإنّه في مثل هذه الحالة لا بدّ من إمضاء حكمه في هذا الموضوع أو ذاك، حتى لو لم يتّفق معه في



هذا الحكم. لا من باب الولاية، ولكن من باب أنّ المجتهد إذا حكم بحكم فلا بدّ لمجتهد آخر من تنفيذ حكمه، اللّهم إلاّ إذا كان المرجع يرى أنّ الوليّ يرتكب حراماً وأنّ حكمه في هذا المجال تماماً كما لو حكم في أمر حرام، فإنّه في هذه الحالة لا ينفذ حكم الحاكم، لأنَّ حكم الحاكم إنّما ينفّذ إذا كان مشروعاً، أمّا إذا كان متعلّقه حراماً فلا ينفّذ».

ويعتقد فضل الله أنّه في هذه الحالة لا بدّ من دراسة العناوين العامّة التي يمكن تطبيقها على حركة الوليّ الفقيه، بالبحث عن عناوين ثانويّة، تجعل هذا الأمر الذي حكم به الولي واجباً أو جائزاً للعنوان الثانوي، إذا لم يكن جائزاً للعنوان الأوّلي، ممّا يعني وجوب إطاعة الفقيه. لكن ليس من باب الولاية، ولا من باب حكمه، ولكن من باب أنَّ ما أمر به يمثّل مصلحة إسلاميّة عُليا، التي لو أدركها المرجع لحكم بها، لأنّ العناوين الثانويّة تُغيّر الموضوعات فتتغيّر الأحكام الثابتة لها بعناوين أولية.

أمّا إذا كان المرجع لا يرى ولاية الفقيه العامّة، ولا يرى أنَّ حكم الحاكم في الموضوعات نافذ، على غرار الإمام أبو القاسم الخوئي الذي كان لا يرى ولاية الفقيه عامة، كما كان لا يرى أنَّ حكم الحاكم نافذ في الموضوعات، «في هذه الحالة يتوقّف الانسجام الشعبيّ لمن يقلّد هذا المرجع مع ولاية الولي، بالبحث عن عناوين عامّة يمكن أن تنطبق على الموضوعات التي حكم فيها الوليّ الفقيه الحكم، ليكون سير التديّن للمرجع مع خط ولاية الفقيه من ناحية عمليّة منسجماً مع الحكم الشرعي».

ويعتبر فضل الله أنّ الحلَّ الجذري يكمن في وحدة المرجعيّة والولاية، لكنّه يعتقد أنّ ذلك أمر صعب مناله، ممّا جعل «شخصيّة تاريخيّة إسلاميّة عظيمة كالإمام الخمينيّ يشعر بمسؤوليّته أن يؤكّد وهو الذي أعطى المرجعيّة معنى

الولاية وأعطى الولاية حركيّة المرجعيّة، على الفصل بين المرجعيّة وبين الولاية. تلك هي النظرية التي تحبس المرجعيّة في دائرة قد لا تجعلها تنفتح على الولاية، وتجعل الولاية في موقع قد لا يمنحها الصعود إلى مستوى المرجعية».

ويرى فضل الله أنَّ الطموح يكمن في وحدة المرجعيّة والولاية. لكنّه لا بدّ من توفّر عناصر حقيقية للشروط الفقهيّة للولاية وللمرجعيّة، فإذا رأينا أنّ المرجع لا بدّ أن يكون أعلم، كما هو المشهور بين الفقهاء، «ولم يكن هذا الإنسان الأعلم قادراً على إدارة شؤون الأمّة، لأنّه لا يملك وعي الواقع الشامل لحركة الأمّة في قضاياها المتنوّعة الواسعة، فإنّه قد يكون مشروع وليّ فيما هي مسألة موقع المجتهد في الولاية، ولكنّه لا يملك مشروعيّة فعليّة للولاية، لأنّه لا يملك الخبرة في إدارة مسألتها. وقد نجد هناك شخصاً مجتهداً يملك الخبرة في شؤون الأمّة ولكنّه لا يملك الأعلميّة، لأنّ الولاية لا يُشترط فيها الأعلميّة، بل يكفي الاجتهاد مع العدالة والخبرة. فإنّنا في هذه الحالة لا نستطيع أن نوحّد بين الوليّ وبين المرجع، أو بين الولاية وبين المرجعيّة، لأنّ الولي لا يملك عنصر المرجعيّة وهو الأعلميّة، ولأنّ المرجع لا يملك عناصر الولاية وهي الخبرة والقدرة على الإدارة. فلا بدّ من الفصل بينهما».

وينطبق هذا التوصيف على حالة مرشد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية آية الله علي خامنئي الذي لم يكن المجتهد الأعلم أو مرجعاً دينيّاً عندما توفّي الإمام الخمينيّ عام ١٩٨٩م، وتمّ انتخابه وليّاً للفقيه، ليس بصفته المرجع أو المجتهد الأعلم، بل لكونه المجتهد الأنسب لمنصب الولاية بسبب خبرته السياسيّة ودرايته بالشؤون العامّة، فضلاً عن صفاته القياديّة وتصدّيه للولاية.

أمّا في حال القول بعدم وجوب تقليد الأعلم، كما كان يرى السيّد فضل الله في اجتهاده الفقهي، فإنّ من الممكن توحيد مسألة الولاية والمرجعيّة، إذا

توفّرت العناصر الفقهيّة الكافية في المرجعيّة في شخص مَن يملك القدرة على إدارة المسألة الولائيّة. وبذلك يمكن انتخاب المرجع الذي يملك الخبرة فتتحد الولاية والمرجعية. وكذلك يذهب آية الله كاظم الحائري إلى نظريّة الوحدة بين المرجعية والولاية.

وقد جرت محاولة من النظام الإسلاميّ في إيران لتوحيد المرجعيّة الدينيّة وولاية الفقيه، وذلك بعد وفاة الإمام الخمينيّ وتولّي خامنئي لمنصب وليّ الفقيه، ومن ثَمَّ وفاة كبار المراجع الدينيّين في إيران والعراق في أوائل التسعينيّات، وأبرزهم آية الله الكلبيكاني وآية الله الآراكي وآية الله أبو القاسم الخوئي. لكن هذه المحاولات فشلت، ممّا جعل النظام الإسلاميّ في إيران يتراجع عنها.

وكان آية الله فضل الله يعتقد أنّ «الحاكم الشرعي في نظريّة ولاية الفقيه، التي قد لا تبتعد عنها ـ في العمق ـ نظريّة الشّورى، لا بدّ فيه من الاجتهاد والعـدالة، والخبرة في الأمور العامة». ويـقول: «قد يكون من الأفضل للوليّ الفقيه أن يضع إلى جانبه مجلساً فقهيّاً يتذاكر فيه القضايا الفقهيّة في أوضاع الأمّة في ساحاتها العامّة، لأنّ ذلك قد يكون أقرب إلى الوصول إلى الحقّ من انفراده بنفسه، الأمر الذي يؤكّد الاحتياط في إدارة الشؤون العامّة، لأنَّ مسألة الولاية أكثر تعقيداً وأشدّ خطورة من مسألة الفتيا. أما في الموضوعات المتّصلة بالأمن والاقتصاد والسياسة والإدارة والحرب والسّلم والعلاقات الداخليّة والخارجيّة على مستوى الدول والجماعات والأفراد ونحوها، فلا بدّ له من الرجوع إلى أهل الخبرة الذين يملكون المعرفة الواسعة الدقيقة في هذا الأمر أو ذلك، بالمستوى الذي يستطيعون فيه إعطاء الرأي المرتكز على قناعة علميّة تبعث على الثقة النوعية».

ويستدلّ فضل الله على ذلك بقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا**



﴿لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[٣٩].
كما يستند في حجّية قول أهل الخبرة، إلى ما قاله المحقّق النائيني: «إنّ الرجوع إلى أهل الخبرة والاعتماد على قولهم ممّا قد استقرّت عليه طريقة العقلاء واستمرّت عليه السيرة ولم يردع عنها الشارع».

وعليه لا بدّ للفقيه الولي في رأي فضل الله من «مجلس خبراء في مختلف الشؤون العامة المتّصلة بمواقع ولايته، ممّن تتوفّر فيهم شروط الثقة العمليّة من حيث ثقافتهم، بالإضافة إلى الصّدق والأمانة، من دون فرق بين المسلمين وغيرهم، لأنّ الإسلام ليس شرطاً في المعرفة، فيمكن الرجوع إلى الكفّار إذا توفّرت فيهم عناصر الأمانة الفكرية والعملية». ولكنّه لا يرى من الضروري «انتخاب أهل الخبرة من قِبَل الشعب، بل يمكن للفقيه اختيارهم بحسب معرفته المنطلقة من الاستقراء والاستشارة والخبرة من خلال الرجوع إلى أهل المعرفة في ذلك». ومع أنه قد يكون للاستفتاء الشعبيّ «دور في إبعاد المسألة عن الفوضى لتكون أقرب إلى التركيز والثبات، ولكن ذلك لن يكون ملزماً، من الناحية الفقهيّة.. لأنّ مسألة الاستفتاء لا تخضع لقاعدة شرعيّة ملزمة بالعنوان الأوّلي، بل هي خاضعة للمصالح التنظيمية التي قد تفرض وضعاً معيّناً في بعض القضايا ممّا لا يتنافى مع الجوّ الشرعي».

وفي بحثه عن مجالات الشورى عند الفقيه، يرى فضل الله أنّه إذا أراد الفقيه البتّ في شأنٍ ذي اختصاص فينبغي أن يكون القرار الذي يريد أن يتّخذه الفقيه العادل قراراً ينطلق من خلال دراسته للواقع. مثلاً: يريد الفقيه أن يتّخذ قراراً اقتصاديّاً مثل فرض الضرائب، منع الاستيراد، إقرار معاهدات واتفاقات اقتصادية، إلى غير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى دراسة اقتصاديّة معمّقة، وإلى إحصائيّات في طبيعة الإمكانات المتوفّرة لدى الأمّة، لا يجوز للفقيه البتّ إلاّ

بعد الرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص، حتى يكون محيطاً بكلِّ جوانب المشكلة، بالشكل الذي تقوم الحجّة فيه عليه إمّا بطريقة قطعيّة أو حجة شرعيّة.

ويؤكّد فضل الله على حاجة الوليّ الفقيه إلى لجان استشاريّة في كل الموارد التي يحتاج إليها الحكم، وذلك لأنّ خطّ الإسلام العام ينطلق من الآية القرآنية: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾، و«حتى لو كنّا لا نقول بالشورى في تعيين الحاكم، فإنّنا نقولها في إدارة شؤون الحكم». ولهذا خاطب الله تعالى رسوله بقوله: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**﴾.

إذاً تتمحور نظرية «المرجعيّة ــ المؤسّسة» حول مرجع واحد محاط بمجلس للفقهاء والخبراء والمستشارين بحيث تكون المرجعيّة مؤسّسة لها أجهزتها وامتداداتها وعلاقاتها وإطلالاتها على الواقع وليس مجرّد مرجعيّة الفقيه الفرد.

وتنطلق هذه النظريّة من عدم وجوب شرط الأعلميّة في المرجع، بل هي قائمة على شرط الأصلح، ويتمّ اختيار المرجع من قبل الأمّة بصورة غير مباشرة، أي أن يلتقي أهل الخبرة من الفقهاء والخبراء لينتخبوا مرجع التقليد استناداً إلى كونه الأصلح لا الأعلم، وبحيث يجد المرجع الجديد أنّ كلّ الدراسات جاهزة وكلّ التاريخ الذي كان يتحرّك فيه المرجع السّابق بين يديه، لا أن يحتفظ المرجع بكلّ ما تحرّك فيه من اجتهاد وتجربة لنفسه أو عائلته كإرث شخصي لا يملك المرجع الجديد أو الأمّة شيئاً منه.

وكان فضل الله يتصوّر «المرجعية ـ المؤسّسة» كحركة يمكن أن تحتضن الفقهاء الآخرين فيلعبون دوراً فيها كمستشارين ومعاونين للمرجع في مسائل علميّة وتنظيميّة، على غرار ما يحصل في تجربة المرجعيّة التقليديّة ولكن بصورة ممأسسة ومنظّمة.

وأعتقد أنّ نظرية فضل الله تحتاج إلى الكثير من البحث والمراجعة فهي على الرغم من دعوتها إلى المأسسة والبُعد عن الشخصانيّة في المرجعيّة الدينيّة، تعود لتؤكّد على محوريّة المرجع الواحد بحيث يكون الفقهاء والخبراء والأجهزة في هذه المؤسّسة مجرّد مساعدين للمرجع يوفّرون له المعطيات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة التي تساعده في التوصّل إلى الفتوى المناسبة أو الحكم الشرعي الأفضل. ولا شك أنّ هذه النظرية متأثّرة بمؤسّسة البابويّة في الفاتيكان حيث يحاط البابا الزعيم الروحيّ للمسيحيّين الكاثوليك بعدد كبير من الكرادلة والبطاركة والأساقفة الذين يعاونونه في مهامه الروحيّة والدينيّة.

واللاّفت أن فضل الله ينتقد فكرة المجلس الفقهي الذي طرحه بعض العلماء، وذلك لكونها مسألة غير واقعيّة وغير عمليّة وغير شرعيّة لجهة عدم وجود أدلّة شرعيّة فقهيّة على حجّية رأي الأكثريّة في حال تصويت المجلس على رأي فقهي ما، وكذلك لجهة عدم تحديد الجهة التي تعيّن أو تنتخب هذا المجلس وشرعيّة ذلك. ولعلّ فكرة المجلس الفقهيّ هذه هي أقرب إلى مفهوم المأسسة للمرجعيّة الدينيّة ومفهوم الشّورى الإسلاميّ، لكن فضل الله لا يرى حجّية الشّورى والانتخاب في اختيار المرجع أو وليّ الفقيه، وكذلك في التوصّل إلى الحكم الشرعّي الدينيّ الذي يخضع إلى الأدلّة الشرعيّة الأربعة: (القرآن والسنّة والعقل والإجماع) وليس إلى رأي الأكثرية.

والمفارقة أنّ آية الله فضل الله كان يرى أنّ الحلّ الجذري والأنسب لمشكلة تعدّد المرجعية، هو في وحدة المرجعيّة والولاية، لما يمكن أن يشكّل ذلك التعدّد من انقسام بين المسلمين وخصوصاً إذا حصلت خلافات بين المرجع والولي الفقيه، على الرغم من أنه كان لا يؤمن بولاية الفقيه العامة على غرار الإمام الخميني الذي ذهب في آخر حياته إلى الفصل بين المرجعيّة والولاية.

فالسيّد فضل الله أصلاً لا يؤمن بولاية الفقيه العامة، لكنّه يرى ولايته محدودة في الأمور الحسبيّة التي قد تتوسّع لتشمل الشؤون العامّة، إذا اقتضى ذلك حفظ النظام العام.

فالفقيه على هذا في رأيه: «يملك من السّلطات ما يملكه الإمام المعصوم، إلاّ ما ثبت اختصاصه بالإمام ـ فله حقّ الفتيا في القضايا الشرعيّة، وحقّ القضاء بين الناس، وحقّ الولاية على الناس في شؤونهم العامة والخاصّة التي تتحرّك في دائرة النظام العام الخاضع للحاجة إلى السّلطة الحاكمة التي تدير شؤون البلاد والعباد».

فهو يرى أنّ هذا الاتّجاه أي الولاية العامّة للفقيه «هو الاتّجاه الوحيد الذي يجعل من الفقيه مرجعاً إسلاميّاً عامّاً، إذا كان مؤهّلاً للتقليد جامعاً لشروطه، لأنّه يمثّل القيادة الإسلاميّة التي تملك سلطة القرار في الشؤون العامة للمسلمين، كما تملك سلطة التنفيذ، سواء كان ذلك في حدود النظرية التي تجعل ولاية الفقيه متّسعة لكلِّ ما تتّسع له ولاية النبيّ والإمام في صفة الحاكميّة، أو التي تجعل لها حدوداً ضيّقة تختلف عنهما في بعض المواقع، فيما قد يكون لخصوصيّة النبوّة والإمامة بعض المميّزات في ذلك كما يذكره بعض الفقهاء في الجهاد الابتدائي».

## فضل الله وولاية الفقيه

في مقابلة مع الباحث في ١٥ أيار/ مايو٢٠٠٢م، أكّد فضل الله أنّه يؤمن بولاية الفقيه في الأمور الحسبيّة فقط، وليس بولاية الفقيه العامّة والمطلَقة، لكنّه كان اعتبر في بحث له بعنوان «المرجعية: الواقع والمقتضى» نُشر ضمن كتاب «آراء في المرجعية الشيعية» في العام ١٩٩٤، أنّ ولاية الفقيه العامة «قد تفرضها المصلحة العامّة في حال وجود فراغ قيادي، بحيث ترتبط المسألة بالقضايا المصيريّة التي

لا يمكن أن تترك في منطقة الفراغ القياديّ، فيدور الأمر بين قيادة الفقيه العادل الذي يملك تقوى القرار، كما يملك تقوى التنفيذ من خلال معرفته بحدود الله، وخوفه من الله، لا سيّما في مسائل الدماء والأموال والأعراض، وبين قيادة غيره الذي لا يملك ما يملكه الفقيه من ذلك، وحينئذ يطرح الأصوليون حكم العقل القطعيّ بتعيين الفقيه للقيادة لدوران الأمر بين التعيين أو التخيير، لأنّ الضرورة التي تفرض وجود القيادة تفرض براءة الذمة بالسّير مع الفقيه في قيادته لأنّه طرف في دائرة التخيير، ومتعيّن في احتمالات التعيين».

ولعلّ هذا التخريج للمسألة، «يطرح الحلّ في قيادة الفقيه للدولة بعد قيامها، حتى لو لم يجد لنفسه الولاية على الناس بالنظرة الأولية في ما هو الحكم الشرعيّ الأوّلي، لأنّه يجد نفسه مُلْزَماً بالقيام بهذه المهمّة في نطاق الظروف التي تتحرّك في حجم الضرورة بالنظرة الثانويّة في ما هو الحكم الشرعيّ الثانوي».

يبرّر فضل الله ذلك بأنّه لم تثبت لديه دلالة الأدلّة الفقهيّة التي أقامها الفقهاء الآخرون على ولاية الفقيه، «فالفقيه لا يملك الولاية المطلقة على العالم بل يملك الولاية انطلاقاً من ضرورة حفظ النظام. فإذا توقّف حفظ النظام على ولاية الفقيه، كان الفقيه وليّاً. أما إذا لم يتوقّف حفظ النظام على ذلك وأقامت الأمّة حكماً إسلاميّاً يملك الخبرة والعدالة ويقوم الفقهاء بدور الإشراف والرقابة، فلا إشكال في نصوصه».

وعليه، لا يعارض فضل الله النظام الديموقراطي في الحكم واختيار الحاكم من خلال الانتخابات، وكذلك اتخاذ القرارات عبر الشورى والتصويت. لكنّه لا يرى دليلاً شرعيّاً على نظريّة الشورى وولاية الأمّة على نفسها، إذ ليس هناك نصّ على شرعيّة الشورى وحكم الأكثرية.

ويبدو أنّ آية الله فضل الله الذي يرى شرعيّة لولاية الفقيه إذا توقف عليها حفظ



النظام، يمنح كذلك الشرعيّة لولاية الأمّة على نفسها أو لنظرية الشّورى إذا توقف عليها حفظ النظام، فكلاهما بحسب فضل الله لا أدلّة نصيّة على شرعيّتيهما، فهما متساويان في الشرعيّة وعليه ينبغي أن يتساويا من حيث الأولوية.

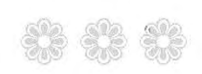
ويعتبر السيّد فضل الله أنّ النظام الإسلاميّ في إيران كان عبارة عن مزاوجة بين ولاية الفقيه والشّورى، ولكن تبقى للفقيه السّلطة التي تُلغي نتائج الانتخابات أو الاستفتاءات أو تمنحها الشرعيّة لأنَّ هذه الانتخابات أو الاستفتاءات في نظرية ولاية الفقيه المطلقة تملك شرعيّتها من الفقيه ولا تملك شرعيّتها من نفسها، فهي تنتظر إمضاء الفقيه لها، ويكون دور الأمّة في هذه النظريّة هو تعيين الوليّ الفقيه من خلال انتخابه.

ويؤمن المرجع الراحل فضل الله بتعدّد الفقهاء الولاة بحسب القطر أو الدولة بسبب عدم واقعيّة ولاية الفقيه على العالم كلّه على الأقل في الوقت الحاضر، وذلك نظراً لتجذّر التوجّه العام نحو القطرية أو الإقليميّة في الواقع. فلا مانع في رأيه أن يكون لكلّ دولة أو قطر إسلاميّ وليّ فقيه يقوم بشؤونه مع التنسيق مع الفقهاء الآخرين، خصوصاً وأنّ ولاية الفقيه في النظريّة الشيعية تنطلق من كونه نائباً للإمام فيكون كلّ الفقهاء نواباً للإمام، ولا مانع من تعدّد نواب الإمام في غيبته كما يتعدّد النواب في حضوره.

أما نظريّة ولاية شورى الفقهاء فيرى فضل الله أنّها لا تصلح أساساً للولاية ولكنّها تصلح أساساً للمرجعيّة، عبر «المرجعيّة المؤسّسة» بحيث يلتقي الفقهاء على رئاسة شخص يتولّى هذه المؤسّسة بكلّ ما تحتاجه من خبراء ووكلاء. ويؤمن فضل الله بإمكان الدمج بين المرجعيّة والولاية لأنّه لا يشترط الأعلميّة في المرجعية على غرار بعض الفقهاء القائلين بالأعلميّة الذين ينبغي عليهم الفصل بين المرجعيّة والولاية كما فعل الخمينيّ ثم الخامنئيّ مع المرجع الشيخ

محمد علي الآراكي ثم مع حوزة قُمّ بحيث تُرِك لأهل الخبرة تحديد المرجع الأعلم الذي ينبغي أن يقلِّده الناس دون أن يُفرض عليهم تقليد الوليّ الفقيه.

ولا يرى فضل الله مانعاً في أن تكون المرأة فقيهاً أو مرجع تقليد، جائز تقليدها لأنّها مسألة علمية كأيّ تخصّص علمي قد تَبْرَعُ فيه المرأة كما الرجل. أما ولاية المرأة فيقول إنّ هناك تحفّظات إسلاميّة عامّة عند السنّة والشّيعة على أن تتولّى المرأة موقع القيادة السياسيّة، إذ يشترطون الذكورة في الإمام. والجدير بالذكر هنا أنّ الإمام الراحل آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين لم يعارض ولاية المرأة لعدم وجود الدليل على عدم جوازه.





# أفتقدك

أحمد محسن(*)

عرفتُ السيد محمّد حسين فضل الله مرتين:

أوّل مرّة كانت كما تكون مع الجميع. ذاع صيت السيد في الضاحية ـ حيث نشأت ـ كرجل دين منفتح، وقريب من الناس. كانت تصل آخر جملة إلى مسامعي كثيراً، وكنت لا أفهم معناها في صغري. الناس قريبون من بعضهم عادةً، ولكن ثمّة مسافة بينهم وبين رجال الدّين تكون ملحوظة ولكنّها غير محدّدة.

لا قياس واضحاً لهذه المسافة إلا أنّ المؤكّد أنّ السيد فضل الله تخلّى عنها، أو أنّها لم تكن موجودة في الأصل. لا أعرف سرّ هذه العلاقة بين السيّد ومريديه بالضبط، ولكنّي أجزم أنّه كان يحظى باحترام معنويّ، لا أجيد تفسيره تماماً، ولكنّي أفهمه. فقد شعرت به. لا يتوقف الأمر على كونه مرجعاً دينيّاً، إذ إنّه لم يكن تقليديّاً، وهناك كثيرون من أصحاب الرسالات، الذين لم تصل أسماؤهم إلى منازل الفقراء إلاّ بالصدفة. ينبغي الاعتراف أنّ الرجل كان مميّزاً في هذه العلاقة، أما القراءة في تجربته بالسياسة والدين، فقد تستدعي نقاشات طويلة،

(*) صحفي لبناني في جريدة الأخبار اللبنانية

لا أشعر أنّي مؤهّلٌ لخوضها. أعرف أنّه كان محبوباً ولا سجال في ذلك. الناس تسمعه يوم خطابه وتذهب إلى المسجد لأنّها تثق به. كان السيد حدثاً أسبوعيّاً. وهنا، ما زلت أتحدّث عن مساحة جغرافية ضيّقة، هي الضاحية الجنوبية.

في المرة الثانية عرفت السيد فضل الله بعدما قرأته وتابعته. لم تعد المساحة ضيّقة. اكتشفت أن الرّجل اخترق حواجزَ كثيرة في الوصول إلى «الآخَر». الآخرون ليسوا جحيماً، بل العكس، حاول أن يُحدث اختراقاً، هل من يجادل في ذلك؟ ولكنّي، حتى بعدما قرأت له مواقفَ، يمكن تصنيفها في خانة «المتقدّمة» قياساً للبيئة التي خرجتُ منها وتوجّهت إليها، خاصةً في مواضيع تُعتبر «حسّاسة» كحقوق المرأة، ونبذ «المذهبيّة»، ظلّ السيد فضل الله بمثابة جدليّ، أكثر من كونه صاحب رأي. أرى فيه تاريخاً لمنطقة كاملة، نشأتُ فيها، وحاول هو أن ينموَ بها. منطقة، بمثابة مساحة جغرافيّة نظرياً، وما هو أعمق من ذلك كثير عمليّاً، وربّما لذلك، تفتقده كثيراً.



# فضل الله بعد عامين على وفاته.. علامة فارقة

عمر حرقوص(*)

هو شخصيّة استراتيجيّة بالتّأكيد، لكنّه بالتّأكيد أيضاً مجدِّدٌ فكريّ ودينيّ في عالمنا العربي والإسلاميّ الذي يتخبّط في صراعاته، هو رجل حوار لن نشهد مَن يُشبهه بالانفتاح والعقل المتحرّك القادر على البناء وفتْح القنوات مع الآخرين، والاحتفاظ في الوقت نفسه باحترام المختلف معهم، كما احترام الأصدقاء.. قبل عامين، خسر لبنان والعالم العربي والإسلاميّ العلاّمة السيّد محمد حسين فضل الله، الإنسان والشّاعر الذي يحبّ الجمال، وصاحب مقولة: «أحبَّ أخصامك لتهديهم، وتتعاون معهم في الحوار من أجل فهم الحقيقة، وأحبّ المتوافقين معك لتتعاون معهم». هكذا كان سماحته عَلامةً فارقة في تاريخنا المعاصر، قد نحتاج إلى الكثير من الوقت لنجد شخصاً وحدويّاً مثله، شخصاً يضع التّسويات مكان التشدّد، ويمنح النّاس من حوله فرصةً للّقاء بعيداً من التّشنّج والمتشنّجين.

قصّة حياة السيّد فضل الله يعرفها الكثيرون، فهو اللّبناني من بلدة عيناثا الجنوبية، والمولود في النَّجف في العراق، درس العلوم الدينية في عمرٍ صغير،

---

(*) كاتب وصحافي لبناني.



وانتقل إلى لبنان لاحقاً ليؤسِّس عدداً من المؤسّسات الإسلاميّة إلى جانب عمله الحركيّ الإسلاميّ الذي طغى في مرحلةٍ على الحضور الديني، فأعاد إلى الحوار والانفتاح مكانتهما، وعمل على تجديد الفكر الدينيّ الإسلاميّ من منظور مختلف عن الصّراعات المذهبيّة. في لبنان، تنقّل بين منطقة النبعة وبئر العبد وحارة حريك، التقى الناس وطالبهم بالنِّضال لرفض الظّلم، وبنى المؤسّسات الاجتماعيّة من منظور تقديم الأفضل لهؤلاء، وليس من منطلق خدماتي بحت. ازدحمت حياته بالعمل والنّقاش، ولم يكن فيها إلاّ قليل من الساعات للنوم بعد نهارات العمل الشّاقة، من صلاة الفجر، وإعطاء الدرس الدينيّ الأول، وما يتبعه من لقاءات تمتدّ طوال النّهار، وصولاً إلى الليل والسهر للعبادة والتفكير بأفضل السُّبل لتنظيم عمل المؤسسات، وكتابة آرائه في الكثير من اليوميّات.

## أب.. محاور

بالنِّسبة إلى الحوار، كان يطبّق في المنزل ما يقوله في المسجد، فقد كان يدعو أولاده إلى طرح تساؤلاتهم، ويشجّعهم على القراءة، ومن ثَمَّ على نقد ما قرأوه، ورؤية ما فيه من أخطاء وعيوب وحسنات، كان يدعوهم إلى بناء ثقافتهم العلميّة، والاطّلاع على مروحة كبيرة من نتاج الآخرين، ليكونوا قادرين على عيش الحياة بكلّ تفاصيلها.. في الدّراسة، ترك لهم حريّة اختيار الاختصاص الجامعيّ أو اختيار المهنة التي يحبّون، وفي كلّ مراحل حياته، كان يصرّ عليهم أن ينهوا دراساتهم الجامعيّة إلى جانب أيّ أمر آخر يريدون العمل عليه. ولذلك، ليس غريباً أن يحملوا كلّهم شهادات جامعية باختصاص واحد أو اختصاصين، عدا وصول ابنه جعفر إلى درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية. كلمته لهم كانت دوماً كما سمعوها منه يقولها للناس في المسجد: «مؤهّلاتك تبني شخصيّتك». كان يؤكّد عليهم ضرورة احترام القوانين، وخصوصاً حين التنقّل على الطرقات،

وكذلك احترام أنظمة المدارس وقوانينها، ويدعوهم إلى بناء شخصيّتهم وفق رؤية الاحترام للآخرين، مِمَّن يتمون إلى أفكارهم، أو غير المنتمين إليها من مذاهب وأديان أخرى، فالمهمّ بالنسبة إليه هو التركيز على الجانب الإنسانيّ في العلاقة مع النّاس.

يروي ابنه العلامة السيّد علي فضل الله، أنّ سماحة السيّد «لم يرضَ أن يخوض غمار الحياة كما يخوضها طالبو الراحة.. أو أن يهدأ حيث يهدأ الناس، ويرتاح حيث يرتاحون.. فضّل أن يكون تيّاراً معاكساً قوياً، عندما كان يرى التيارات المتنوّعة لا تنطق بالحقيقة، بل تعاديها.. فضّل أن يكون ماء تياره مما يمكث في الأرض وما ينفع الناس، لا زبداً رغواً جفاءً لا يعكس شيئاً من الحقيقة.. كان يعرف أنَّ ذلك سيُتعبه، وأنّ السير مع التيّار أكثر راحةً وربحاً، ولكنّه كان يؤمن بأنّ الإنسان ينبغي أن يكون هو نفسه، لا أن يكون ظلاًّ وصدى لإنسانٍ آخر»..

إنّ نمط الحياة الّذي اتّبعه السيّد فضل الله، والّذي كان يستوعب ساعات طويلة من أيّام حياته، لم يكن ليؤثّر في علاقته بعائلته وأولاده، ولم يكن ليُبعده عنهم في اللّحظات التي يحتاجون إليه فيها. استطاع أن يُبقي على نموذج الأب الّذي يهتمّ بشؤون عائلته، في الوقت الّذي يتابع حياة النّاس الذين تحوّل إلى مسؤول عنهم، لتكبر عائلته وتصير مئات الآلاف من المحبّين والمقلّدين الذين يعتبرونه رمزاً لحياتهم، إضافةً إلى عائلته الصغيرة التي كانت أولاداً، وصار فيها أحفادٌ حملوا الفرح إلى قلبه.

مع أولاده، كان يبادر إلى الحديث دائماً، يبتسم لهم كعادته في الابتسام لكلّ النّاس، يستطلع عيونهم إن كان هناك ما يُقلقهم، ويبدأ بسؤالهم عن آخر الأشياء التي قاموا بها، ليدخل من هناك إلى السؤال حول ما يُزعجهم. يبدأ معهم بالتفاصيل واليوميّات، ليكون إلى جانبهم في الوقت القليل جداً الذي يتبقّى له بين

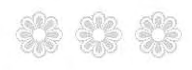
مشاغله. يروي ابنه عباس أنّه كان يخصّص الأوقات لمناقشة أيّامهم وحياتهم، من المدرسة صغاراً، إلى الجامعة كباراً، كان مصرّاً على خَلْقِ فرصة للنقاش معهم، من أجل أن يفهم منهم الظروف المحيطة بهم خلال ساعات غيابه عنهم.

كانت ساعات اللّقاء بهم قليلة، لكن أهمّها كانت ساعات الطعام التي كان يصرّ على حضور جميع أولاده إليها. كان يشعر بالراحة بينهم، يسمع منهم مباشرةً ما يعيشونه، وفي هذه الجلسات، يضحك لقصص طفولتهم. التّشجيع المتواصل من سماحة السيد فضل الله على خوض التّجارب وعيشها أمر لا ينساه عباس، فالتّجربة بالنسبة إلى السيّد هي التي ترسّخ العلم، وتفتح المجال لبناء خبرة، ومنها يمكن العيش بين النّاس وإفادتهم.

## فكرٌ.. ومؤسّسات

في حياته، أنشأ السيّد فضل الله عشرات المؤسّسات الثّقافية والتعليميّة والتربويّة والخدماتيّة والصحيّة والدينيّة التي تعدّدت وتنوّعت باهتماماتها، وساهمت في إيصال الرسالة الدينيّة المنفتحة له. كان يحرص على تحويل الأفكار التي كان يناقشها إلى مؤسّسات؛ من العناية بالأيتام والحالات الاجتماعيّة، وصولاً إلى طَرْحِه تحويل المرجعيّة الدينيّة إلى مؤسّسة، فهو، وخلال حياته، اختبر فاعليّة تطوّر الأفكار ونجاحها داخل المؤسّسات التي أسّسها أو ساهم في تطويرها. يروي مدير مؤسّسة الفكر الإسلاميّ الدّكتور نجيب نور الدّين، أنّ «سماحته كان يعمل لبناء المؤسّسات. كان يعتبر أنّه لا يمكن لأيِّ فكرة أن تنجح وتصبح فاعلةً ومؤثّرةً من دون المَأْسَسَة». ويلفت إلى «أنّ الرّاحل كان يرى أنّ العمل الفرديّ ينتهي بانتهاء صاحبه وزواله، لذلك رأى أنَّ بناء المؤسّسات هو ما يجعل العمل جزءاً من سيرورةٍ تتطوّر ولا تتوقّف رسالتها التي أُنشئت من أجلها».

ويتابع نور الدّين أنَّ «السيِّد حرص على أن تكون المؤسَّسات مراكز للانطلاق في الحياة بالعلم والخبرة، وخصوصاً في دُور الأيتام، الّتي رفض أن تكون مجرَّد مأوى من دون أن تصنع من الحالة قوّةً قادرةً على العطاء في المجتمع. كان طموحه أن تكون المؤسّسات الّتي أنشأها رائدةً في مجالها، ومبنيّةً على أسس علميّة، وتسعى إلى التّطوير وتقديم الخدمة إلى مستحقّيها بشكلٍ يمكّنهم من إعادة إنتاج قدراتهم».





# وأنت مائدة الحبّ

خضر سلامة(*)

أنت لا تحتاج إلى قلم، لتكتب عن السيّد في ذكراه، أنت تحتاج إلى كرسيّ اعتراف، لتجلس خاشعاً في حضرة التاريخ، وتروي ماذا غيّر فيك هذا الرجل، كيف قدّم الدّين باقة ورد لك، لا سيفاً مسلطاً، ثم كيف حوّل المدينة حولك، من متراس وكثبان رمل، إلى بئر علم ومصحف حياة جديدة، أنت في حضرة التاريخ، حين يمرّ اسم السيّد في البال، تترك لوهلة أيديولوجيّتك، وكتب الفكر، وصراعات الصحف اليوميّة، تترك فنجان القهوة المملّ كلّ صباح، ونشرة الأخبار المسائيّة، تترك كلّ ذلك، وتتفرّغ لاسم، كان من «فضل الله» أنّنا عشنا في زمنه، هنا صلّى، هنا زرع صوته في الأذن وفي الأذان، وطوّع العقل على التصوّف والتنسّك عن كلّ ما يجرح الإنسان فيه، هنا فرش عمره للفقراء والمساكين ليتوضّأوا بخير هذا العالم، وليعيد ترتيب الكوكب قليلاً.

أنا في حضرة السيد، أعود أبحث جيداً في زوايا محراب جامع بئر العبد، وأفتّش في كتب الشّعر، كيف كان ليكون شكلنا، لو لم يزرع هذا الراحل من عالمنا إلى عقولنا، لو لم يزرع روح البحث عن الحقيقة، لو لم يفتح لنا قفص الثابت والجامد،

(*) كاتب ومدوّن لبناني.

ودعانا للخروج إلى فضاء رحب جبله بالحرية، محمد حسين فضل الله، أستاذ حريّة لا شك، فقيهٌ في علم الثورة الأولى الضرورية: الثّورة على النفس، وعلى السّائد، ولو وقف العالم كلّه، يساراً ويميناً، شرقاً وغرباً، ضدّه، سيقولون عنه إرهابيّاً أولاً، ثم مرتدّاً ثانياً، ثم خائناً، لكن، سيبقى في آخر الأمر حقيقة واحدة، لن يغيرّها الموتورون ولا المتآمرون، هو السيد محمد حسين فضل الله، لا أقلّ من ذلك.

رحيل كرحيلك يا سيدي، اغتيال، هذا العالم يضيق شيئاً فشيئاً على أبناء الضوء، ومكعبات الأفكار الظلماء تحتلّ شوارعنا، وتخطف أطفالنا وتعلّمهم فنون الحقد، الموت، حين خطفك، كان لا بدّ ينسّق مع أجهزة العالم كلّها، ليضرب الشّرق في مقتل، وليكسر البسمة الأخيرة التي كانت تُقنعنا كلّ صباح، أنّ هذا الوجود لا زال بخير، رحيل كرحيلك اغتيال، مؤامرة على معسكر الحبّ، وأنت شيخه، تحبّ الناس في الله، وتحبّ الله في الناس، والناس، اعتادوا أن تمسح بيدك على رؤوسهم كلّ صباح ليطهِّروا جماجمهم من عبث لصوص الدّين والسّياسة، أفتبخل علينا اليوم بخطبة واحدة، لنعيد ضبط بوصلة القلب، ونفكّك ألغام الكُره المزروعة في الشّاشات والمنابر؟

تمضي السّنون، ونطوي الشّهور، وتطوينا الأيام، وكلّ ما تركت فينا يستحقّ الخلود، أغطّيك اليوم مجدّداً بعباءة من وجوه المشتاقين إليك، والمتعبين في الشّمس بلا سقف عرفانك، أغطّيك بأدعية تهزّ عواميد الليل، حين تهزج بالرحمة والمحبة لك.. سيّدُ فكرٍ لا ينضب، وشلّال حبٍّ يسقط من بين كتفيك إلى صدورنا، أيّها الفقيد الحبيب، والمضيف الدائم لموائد الخير، ما عوّدتنا صمتاً.. ما عوّدتنا رحيلاً، إسفلت المدينة لم يُطربه قرع قدميك منذ زمن... وهواؤها لم يتطهّر بصوتك منذ زمن... هذا الجهل كثير من حولنا.

يا فضل الله: نشتاقك عالِماً عالَماً.



# إشراقة لا تغرب

د. نسرين علوان(*)

لا زلت أذكر تلك اللّحظة منذ حوالي سنتين.. حين رن الهاتف، كانت صديقتي هي المتّصلة، وقع عليّ الخبر وقوع الصاعقة.. «تُوفيّ السيد».. قالتها وفي صوتها نبرة اشفاقٍ عليّ من وقع الخبر..

كانت تعرف منزلة السيد عندي.. ذرفتُ من الدموع الكثير، كأنّي فقدت أقرب الأقرباء مع أنّي لم ألتقِ السيّد أبداً في حياتي.. سألوني في وقتها «لماذا كلّ هذا الحزن؟ ماذا يمثّل السيد لكِ؟» قلت لهم: «السيد يمثّل الإسلام الحقيقي، الإسلام الذي أنتمي إليه، والذي يمثّلني أنا»

وهكذا ابتدأت رحلتي مع السيّد.. نعم أعني ابتدأت وليس انتهت.. فقبل وفاته كنت أعرف محمد حسين فضل الله المرجع الدينيّ، وبعد وفاته بدأت بالإبحار في فكر محمد حسين فضل الله وفلسفته في الحياة.. بدأت بقراءة شعره والتعمّق في معانيه.. وكلّما قرأت أكثر كلّما ازداد انبهاري وإعجابي بهذا الرجل، وكلّما

(*) طبيبة عراقية مقيمة في بريطانيا.

وجدت قواسم مشتركة بيني وبينه، حتى إنّي أحسّ أنه في بعض أبيات أشعاره يصف خلجات نفسي، وكأنّه قد دخل إلى قلبي واطّلع على أفكاري !..

أدركت أنّ السيّد لم يكن أسطورة أو حكاية من ألف ليلة وليلة، لكنّه كان إنساناً مثلي، عانى ما أعانيه من قلقٍ وحيرة، مرّ بمراحل فكريّة ونفسيّة متعدّدة مثلي ومثل أيّ إنسان آخر يبحث لحياته عن معنى.. لكنّ عظمته كانت في أنّه حوّل كلّ شيء في حياته إلى إيجابيّات.. حتّى القلق والحيرة واضطراب الأفكار حوّلها إلى عمل إيجابي.. فكان كالشّمس يشعّ النور والدفء على كلّ من يقترب منه فكريّاً وعلى كلّ من يلامس حياته بأيّ شكل من الأشكال.. إذا كنت أريد وصفَ السيّد بكلمة واحدة سأختار «الإيجابية».. السيّد أحدث تغييراً في عالمي البعيد عن عالمه بآلاف الأميال بإيجابيّته..

أسمع السيد يقولها لي دائماً في عقلي «لا لليأس.. أن تكوني إنسانة هو أن تكوني إيجابية.. فكّري في أيّ شيء تشائين، لكن لا تدعي الأفكار السلبيّة تسيطر عليكِ، لا تطرديها، لا تهربي منها، ولكن حوّليها إلى أفكار إيجابية تؤدّي إلى أعمال مفيدة».

لو سألتني اليوم ماذا يمثّل لكِ السيّد محمد حسين فضل الله؟ لن أقول لك كما قلت قبل سنتين، إنّ السيّد يمثّل الإسلام الحقيقي فقط، بل سأقول لك إنّ السيّد يمثّل لي معنى الإنسانيّة..

سيظل السيّد مثالاً حيّاً كيف يحوّل الإنسان ـ أي إنسان مسلماً كان أو غير مسلم ـ لحظات الحياة المعدودة إلى إشراقةٍ مُنفتحة مُنتجة، لا تغرب ولا ينضب نورُها ودفئها أبداً.. وكيف لا؟ وقد أنارت هذه الإشراقة طريقي إلى نفسي.. لأعرف نفسي..



# فضل الله... ماذا بعد الرحيل؟

د.عادل رضا(*)

يمضي الزّمن في الإنسان إلى أن تنتهيَ أيّامه في الدّنيا ليمضيَ إلى العالم الآخر مؤدّياً تكليفه الشرعيّ قبلها، ونحن في رحلة الزّمن هذه، تمرّ علينا ذكرى رحيل إنسان عاش الإسلام» شعاراً و فكراً و حركةً» ، في خطّ التطبيق بعد أن عاش حلم التأسيس مع رفاقه في النجف الأشرف، عندما انطلقوا إلى تفعيل دور الإسلام اجتماعيّاً ليخرج الدّين من قوقعة الطقوس الفرديّة إلى هواء المجتمع لتغييره من الجاهليّة المعاصرة إلى الحداثة القرآنيّة التي تفجّر الطاقات لتحقيق النهضة للمجتمع و السعادة للفرد.

عاش السيد فضل الله من أجل الإسلام، وربط حركته مع الله في خطّ التكليف الشرع مستنداً على قراءة حركيّة للقرآن الكريم، تريد للآيات أن تعمل تغييراً في الإنسان من هنا وفي الأسرة من هناك وفي الأنظمة السياسية والاقتصادية من هنالك.

كانت رحلة إنسان انتهت برحيل الجسد، فما بعد الرحيل؟ وأين أنتهى

(*) طبيب وكاتب كويتي.

المشروع الإسلاميّ الحركيّ؟

أتباع بمئات الآلاف على امتداد العالم، ومقاومة إسلاميّة داخل الواقع اللّبناني حقّقت الانتصار على الصهاينة، ومشاريع مؤسّساتية كوّنت حالة حضارية مشرّفة.

ماذا بعد مرحلة السيّد محمد حسين فضل الله، وها هي الذكرى الثانية التي تمرّ علينا برحيل الفقيد الكبير؟ وبهذا الرحيل أنتهى جيلٌ كاملٌ، من جيلٍ قديم كان يمثّل السيد أحد أبرز رجاله، وهو جيل آمَنَ بدور الإسلام كحالة فكريّة ذات دور اجتماعي للإنسان، وكمنظومة فكريّة للحياة.. كلّ الحياة. وإن اختلفت طرق التفكير، ولكن هناك توحّد حول الهدف.

نعود إلى السؤال، وهو ماذا بعد؟

فالجسد رحل، ورحلة أكثر من خمسين سنة من النضال الحركي والسياسي للسيّد فضل الله، تتمثّل في تراث من الفكر الإسلاميّ الحركيّ المستند إلى القرآن الكريم، وهو كان أحد كبار المتخصّصين فيه.. وفي هذه الرّحلة الطويلة تمّ إنشاء مؤسّسات ترجمت هذا الفكر كواقع يتحرّك على الأرض لتغطية النواحي الاجتماعية والتربوية والإنسانية..

ماذا بعد؟ يعود السؤال مرّة أخرى؟

قلنا في أكثر من موقع، إنّ هناك توجّهاً للبننة المشروع العالمي للسيد فضل الله وتقزيمه، وهذا هو مطلب أكثر من دائرة تتحرّك في الواقع. نعاني من تكلّس حركيٍّ داخل المؤسّسات الرسمية، وهم يريدون الحال كما هو عليه لأسباب شخصيّة تتعلّق بذواتهم، أو لنقصٍ في الجانب الإيديولوجي لديهم، أو لغياب القدرة القيادية، أو لإحباطاتهم الداخلية.

ولدينا دائرة لواقع دولي استكباري يرفض انطلاق الإسلام عالميّاً أكثر من

دوره الطقوسي الطائفيّ كدين عباديّ يتحرّك بالعبادة وطقوسها الفارغة من أيِّ روح وامتداد اجتماعيّ، وسياسيّ إلى واقع الناس.

ولدينا دائرة الخرافيّين الخزعبلاتيّين الذين تتقاطع مصالحهم الاقتصاديّة وتوجّهاتهم مع مختلف الدوائر السابقة.

وتناولنا جزءاً من تلك المسائل في مقال سابق بعنوان«لنطلق المرجعيّة المؤسسة....دعوة حوارية للإسلاميّين الحركيّين» حيث ذكرنا:

«بعد وفاة السيّد محمد حسين فضل الله يجب العمل على إعادة تقييم التجربة، كمؤسّسات تحديداً، فسماحة السيد اختفى جسداً، وترك لنا تراثاً فكريّاً وجيلاً شبابيّاً في مختلف دول العالم مؤمناً بالإسلام الحركيّ ضمن حالة إسلاميّة عالميّة تمثّل حالة حضاريّة نخبويّة.

و في ظلّ هذه النخبة والفكر تأتي مؤسّسات السيد فضل الله ممثّلة بجمعيّة المبرات الخيرية كأحدى المؤسّسات الرائدة في العالم الإسلاميّ الشيعيّ إذا صحّ التعبير، وهذه المؤسّسات ليست إرثاً لعائلة أو تركة لمجموعة أشخاص.

إنّ هذه المؤسّسات تنتمي إلى الحالة الإسلاميّة العالميّة والأجيال المؤمنة بهذه الحالة. إنّ هذه المؤسّسات هي ملك للحركة الإسلاميّة و ليست إرثاً لعائلة.

إذاً، يجب طرح مواضيعَ نقاشيّة حول مصير هذه المؤسّسات من حيث ماذا سيجري لها الآن بعد مرور سنتين من الوفاة الجسديّة، فالمسألة هنا ليست مسألة عائلة ترث شخصاً، والمسألة هنا هي جيل مؤمن بفكر تجسَّد بمؤسّسات على أرض الواقع.

إنّ الإسلام الحركيّ كحالة عالميّة أمميّة يجب أن تكون مؤسّساته عالميّة على مستوي الفكر، ولذلك نحن نرفض أن تتحوّل هذه المؤسسات إلى حالة لبنانيّة

تقليديّة مملّة، فهذا تقزيم للفكر، وإنهاء لمشروع قديم جديد آمن بأنّ الإسلام يجب أن يتحرّك في المجتمع لما فيه السّعادة للفرد والنهضة للمجتمع.

لذلك أرى أن يتمّ تطوير هذه المؤسّسات إلى حالة أكثر عالميّة وأمميّة، ويتمّ التنسيق الإداريّ والرقابيّ والتنظيميّ لإطلاق مشروع المرجعيّة المؤسّسة، لتطبيق أحد أهمّ عناوين الفكر الإصلاحيّ للسيد محمد حسين فضل الله وهو المرجعية الإسلاميّة المؤسسة.

هذه مواضيع ونقاط نطرحها بشكل مختصر لكي يتمّ تفعيل الحوار حولها بما يخدم ويساهم في منع تحوّل مشروع الإسلام الحركيّ بمؤسّساته إلى حالة لبنانية تقليدية، والانطلاق بها إلى فضاء المرجعيّة المؤسّسة الشّاملة التي هي المشروع المستقبلي لضمان توافق المؤسّسات على الأرض مع عالميّة الطرح ورؤيته الأممية».

ماذا بقي من مشروع السيد فضل الله ألان؟ نكرّر السؤال أيضاً هنا؟

الجوانب الإيجابية هي وجود مجاميع تقدّر بالآلاف في الجامعات من الشباب الذين تربّوا على فكر السيد فضل الله خارج المواقع الرسميّة لمؤسّسات السيّد فضل الله، من خلال التثقيف الذاتيّ، أو من خلال متابعة السيّد فضل الله في الإعلام، وهذه المجاميع كبيرة وتمثّل نخبة ثوريّة حركيّة مخفيّة قد تُطلَق في أيّة لحظة لصنع التغيير، وهي نخبة منتشرة في مختلف بقاع العالم.

وهناك أكثر من موقع دوليّ يتحرّك بتأثير من الثقافة القرآنيّة الحركيّة التي أنتجها السيّد فضل الله على مرّ تاريخه، متجاوزين العقدة الطائفية السخيفة، فالحركيّون الإسلاميّون في تركيا و تونس وغيرها من البلدان أصبحت مؤلفات السيد جزءاً أساسيّاً من التعليم الحزبيّ للأتباع.



وبتصّوري، أنّ أكثر ما يخيف الاستكبار الدولي هو أين سيضرِب فكر السيد فضل الله بعد الوفاة ، لأنَّ مراكز الأبحاث الاستراتيجيّة تقرأ تجربة ثورية نظريّة قديمة تحرّكت بما هو غير متوقّع، وأخذت تهدّد نظماً سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة قام عليها الغرب الرأسمالي.

وأقصد هنا تجربة كارل ماركس، حيث تحرّكت نظريته في مكان غير متوقّع وهو روسيا والصين، وباقي بلدان المنظومة الاشتراكيّة. وإذا كانت تجربة ماركس هزّت العالم فما بالك بالتجربة الإسلاميّة، وخصوصا أنّها تجربة لحالة حضاريّة قديمة استمرّت لمئات السنين وتوقّفت لظروفها، ولكنّ الإسلام كرسالة جامعة لكلّ حركات التحرّر الديني، عوّدنا على النهوض مرّة أخرى كالطائر الإغريقيّ القديم ليعود حضارياً و ليملأ السّاحة نهضة للإنسان، ونهضة للمجتمع، و لكن هذا كلّه متعلّق بشروط وظروف النهضة و بالمبادىء المتعلّقة بقوانين الحياة. لذلك، فالإسلام ليس حالة عاطفيّة حماسيّة، بل هو شعار وفكر وحركة..

وتبقى كلمة السيد محمد حسين فضل الله الخالدة: «فلنبدأ من جديد»، تنطلق من السيّد إلى كلّ الأتباع، ومحبّي الإسلام، لكي ينطلقوا من مواقع القوّة لصناعة السّعادة للفرد، والنهضة للمجتمع من خلال الالتزام بخطٍّ قرآنيٍّ حركيّ يعيش الإنسانية في المضمون، والواقعيّة في التطبيق، والمنطق في التحليل.





# إمام المقاومة... لن ننسى!

رحيل دندش(*)

عامان مرّا على رحيل سماحة العلاّمة المرجع المجاهد السيد محمد حسين فضل الله، أحد رجالات هذه الأمّة وعظمائها الذي أعطى كلّ حياته وكلّ وجوده من أجل أن تبقى لهذه الأمّة منعتُها وأصالتُها ودينُها، ويبقى لها عنفوانها وشموخها وإرادتها، لقد كان (رضوان الله عليه) السدّ المنيع في وجه قوى الاستكبار والهيمنة، وواجه بلا هوادة المشاريع الغربيّة في المنطقة حتى أُدرج اسمه على لائحة ما يُسمّى بالإرهاب، وحاولوا اغتياله مراراً، وكانت المحاولة الأخطر عام ١٩٨٥ في مجزرة بئر العبد فنجا بفضل الله **﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾** [النساء ٧٦].

وفي هذه المناسبة الأليمة أقف عند آخر ما قاله سماحة السيد قبيل أيّام قليلة من وفاته، في تلك اللّحظات التي أنهك المرضُ جسدَه فأصبح ضعيفاً إلا من الإرادة والعزيمة، وقد جاء إليه أحد الممرّضين في مستشفى بهمن يسأله إن كان مرتاحاً، فأجاب بتلك الجملة الشهيرة «لن أرتاح حتى تسقط إسرائيل»، وكانت تلك الإجابة

(*) كاتبة وإعلامية لبنانية.



غريبة على مثل هذا السؤال لمن هم على فراش الموت، إذ من الطبيعي في مثل هذه الحالة أن يطلب المريض أخذ الدواء، أو يرسل وراء طلب الطبيب، أو أحد من أهله وخاصّته، ولكن لم تكن غريبة من سماحة السيد الذي حرّم على نفسه الراحة طوال حياته، في ظلّ وجود أعداء الحرية والعزّة والكرامة والإنسانية.

إنَّ هذا القلق وعدم الراحة اللّذين عبّر عنهما سماحة السيد في جملته تلك، إنّما ينمّان عن المعرفة، فالسيّد كان ممّن لهم معرفة شاملة بطبيعة العدوّ الإسرائيلي، لم تكن تلك المعرفة التي ترتبط بإدارة الصراع والتي تقتصر على معرفة الإمكانيات والآليات فحسب، بل كانت تتّسع لتشمل عقليّة العدو وإيديولوجيّته، بما تشتمل عليه من مضمون عنصريّ عدوانيّ توسّعي، ومعرفة بأبعاد المشروع الصهيوني والأهداف والغايات والوسائل المرتبطة بتحقيقه.

وكان يتلازم لدى سماحة السيد إلى جانب الشقّ المتعلق بـ «إعرف عدوّك» شقّ آخر لا يقلّ أهمية عن الأول، لا بل يضاهيه في الأهمية وهو شقّ «إعرف نفسك»، فالكثير من مآسينا لم تكن وليدة قوّة العدو الغالبة، بل لأنّنا كنا نحن أعداء أنفسنا! ولذلك تلمّس(ره) عن دراسة واعية نقاط القوّة ونقاط الضعف عند العدو وعند الأمّة، وبعدها عمل على أن يعزّز نقاط القوة عندنا وينتصر على نقاط الضعف، ولعلّ أبرزها كانت الهزيمة النفسيّة والمعنويّة التي لا ينكر أحد بأنّ العدو في مرحلة من المراحل نجح في بثّها في الأمّة حتى وصل الأمر إلى أن تسري بوادر الهزيمة أحياناً بدون معركة، وبدأت مقولات العين لا تقاوم المخرز، والجيش الذي لا يُقهَر تُرهب كلَّ النفوس، وتثبّط الكثير من العزائم والآمال، وبدا كأنّ الخيار الذي لا بديل عنه آنذاك هو الذهاب إلى التسوية والتطبيع مع العدو الصهيوني، ولذلك نهض السيد ليقول "لا" لكلّ هذا الإذعان والرضوخ والتسليم، وكان في كلّ مواقفه وحركته يدعو أبناء الأمّة لعدم الخضوع للحروب

النفسية، التي يُراد لنا من خلالها أن نُهزم ونُسحق، والكلُّ يعلم كيف أُسقط اتفاق ١٧ أيار.

كان يدرك (رضوان الله عليه) تماماً أنّ عدوّاً كالعدوّ الصهيوني يحتاج منّا في مواجهته أن نكون أقوياء الإيمان والإرادة، كما يتطلّب إعمال العقل وشحذ الفكر واعتماد الأسلوب العلمي الذي لا بدّ منه على طريق التخطيط البعيد عن الانفعال والغوغاء، من أجل استخدام فعّال لكلّ الإمكانيات مهما كانت قاصرة وضعيفة، والتأسيس عليها.

ولأنَّ الجانب التربوي هو جانب حيويّ من الصراع، إذ إنّ الفكر والتربية هما بذرتا المقاومة وحصانتها ومجالها الأساس لتحقيق الانتصار، عمل (رضوان الله عليه) على صناعة الإنسان وربّى أجيالاً من الشباب المقاوم والمجاهد الذي حقَّق الإنجازات التاريخية الخالدة.

كان في كلِّ خطبة جمعة يُسمِع الشعوب العربيّة والإسلاميّة، ويذكِّرها بأنّ إسرائيل غاصبة، ويردّد بأنه لو وقف العالم كلّه وأعطى إسرائيل شرعيةً فلن نعطيها الشرعيّة، لأنّها مغتصِبة، وظلّ طيلة حياته وفي كلّ المحافل يشدّد على أنّ الصراع مع العدو الصهيوني يجب أن لا يخرج عن كونه صراع وجود، محذّراً من الوقوع في أفخاخ المفاوضات التي تُغرق العرب بتفاصيل جديدة وتبتعد بهم عن الخطِّ العام.

«لن أرتاح حتى تسقط إسرائيل»... من خلال هذه الجملة يوحي السيّد بأنّه قلق، قلق من الوضع الذي آلت إليه أحوال الأمّة التي يسيطر عليها الفكر الرجعيّ التكفيري، وقلق من طريقة تعاطي فئة كبيرة من أبناء الأمّة مع التحدّيات الداخليّة والخارجيّة خصوصاً تحدّي الوحدة، حيث إنّ سياسة التفرقة والاقتتال والفتنة جعلت الكثير من الدماء تسيل على الجبهة الخطأ!

«لن أرتاح حتى تزول إسرائيل» فيها إيمان بأنَّ هناك في الأمّة فئات واعية لكلّ المخاطر، فئات أسّس لها سماحته وأصّلها وحصّنها، وهو يعوّل عليها الكثير في مواجهة التحديات الجسام مهما كلّفها ذلك من أثمان وتضحيات..

هكذا هي دائماً جُمَلك يا سماحة السيد، سهلةٌ وعميقةٌ في آن، كنت تريد أن تقول لنا لا تضيّعوا البوصلة، إسرائيل هي عدوّنا الأوحد، هي سرّ ابتلاءاتنا ومصائبنا، كنت تحثّنا على وعي كلّ ما يحيط بنا ويُدبَّر لنا، لأنَّ الأمم الواعية هي التي تعي المخاطر وتجابهها وتبني الإنسان الذي يستطيع مجابهتها.

كانت تلك الجملة هي مسك ختام لحياة كلّها مسك وعطاء وجهاد وتضحية في جنب الله...أفنعجب بعد ذلك كلّه كيف جاءت قلقة في اطمئنان، مطمئنة في قلق؟!...







# يا نبع الصفاء

رضا بزيع[*]

يا سيّدي...

أيّها المارد الذي ترجّل عن صهوة الوجود...

يا قامة أصلها الطّاهر ثابت في الأرض وفرعها المطهّر في السماء...

أيّها المسكون فينا والمبعوث للمستضعفين، والراسخ فينا علماً ونوراً وفقهاً وإيماناً ودليلاً وثباتاً...

أيّها الحركة التي هزّت أركاناً ولا زالت.. يا نبع الصفاء ونهر النقاء... وملهم المجاهدين وأبا المحتاجين والفقراء...

أيّها المنير والمستنير والمتجدّد والحالم والعالم والباسم... يا سيدي... هل للكلمات أن ترتجلك، وهل للحروف أن ترسمك، وهل للأبجديّات أن تقرأك..؟

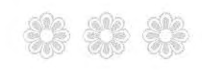
يا منهل العابدين، وسيّد الساجدين، ومرعب المستكبرين، وبحر المحبّة والحنين... يا سيّدي كم عرفنا اليُتم بعدك وكم شربنا الحزن على فراقك...

---

(*) كاتب لبناني.

وكم استوحشنا على غيابك... يا سيدي بماذا وكيف أكتب عنك.... تخونني الذّاكرة إلا من علمك وسعة صدرك وحلمك وصورتك ونهجك الباقي أبداً في ضمائرنا....

يا سيّدي أنت في مكانك مع أجدادك الأطهار عند مليك مقتدر.....





# فقدناك يا فضل الله

سلمان عبد الأعلى(*)

كثيرة هي العناوين التي يمكن أن نتناول فيها الحديث عن السيد محمد حسين فضل الله «رحمه الله»، غير أنَّ اختزاله في عنوان واحد هو أمر في غاية الصعوبة ـ على الأقلّ لمن هو على شاكلتي ـ فالرّجل كان منفتحاً على أكثر من جانب ومجال، فهو رجل دين، ويمثّل إحدى المرجعيّات الدينيّة البارزة، وهو خطيب بارع يعرف كيف يعظ الناس ويخاطبهم على قدر عقولهم، وهو الكاتب والمؤلّف الذي أغنى المكتبة الإسلاميّة بالعديد من الكتب في شتّى المعارف الإسلاميّة والنواحي الفكرية ـ كالتفسير والفقه والعقيدة والأخلاق والسياسة وغيرها ـ وهو الأديب والشّاعر الذي عرف كيف يوظّف موهبته الأدبيّة في خدمة قضيّته الرساليّة ـ ومن يراجع قصائده يجد هذه السّمة واضحةً فيها ـ بالإضافة إلى ذلك نجده المجاهد القويّ الذي لم يخضع ولم يستسلم حتى في أحلك الظروف واللّحظات، والذي كادت آراؤه السياسيّة ومواقفه الجهادية الصلبة أن تودي بحياته أكثر من مرّة.

(*) كاتب من القطيف ـ السعودية.



أجل، في كلّ هذه المجالات وغيرها تميّز السيد محمد حسين فضل الله «رحمه الله»، فلقد كان بحقّ مرجعاً دينيّاً متميّزاً، وخطيباً متميّزاً، ومفكّراً متميّزاً، وكاتباً متميّزاً، ومجاهداً متميّزاً... إلى غير ذلك من النعوت التي نستطيع أن نُطلقها عليه دون أن نوفّيَه حقّه.

ولم يكن السيد «رحمة الله» متميّزاً في هذه الميادين فحسب، بل تميّز وأبدع كذلك في كيفيّة توظيفها وجعلها ـ بأجمعها ـ في خدمة الرسالة الإسلاميّة. نعم، الرسالة التي حَرّمَ السيّد على نفسه الراحة من أجلها، وفي سبيل نشرها وغرسها في نفوس الناس، ولهذا تنوّعت الأساليب والأدوار التي اتّبعها لذلك.

ولهذا، فإنّنا في الذكرى الثانية لرحيله لا نزال نفتقده، وإن كان له حضور لا يمحوه الغياب، ولكنّنا نفتقده رفيقاً ومرشداً، وموجّهاً ومُلهماً يُرافقنا ويُلهمنا في معالجة قضايانا الجديدة والمتجدّدة، وإنّني منذ رحيله لا زلت أفتّش عمّن يملأ الفراغ الذي خلّفه، ولكنّني في كلّ مرة أُصاب بخيبة أمل، لأنَّ السيد «رحمه الله» لم يترك فراغاً واحداً، بل خلّف وراءه فراغات متعدّدة يصعب ملؤها، وذلك في العديد من المجالات، في الدين والأخلاق، في الثقافة والفكر، في الجهاد والسياسة، في العمل الاجتماعي وغيرها من الأمور.

لذلك، فإنّنا كلّما تقدّم بنا الزمن، وطالت بنا المدّة نستشعر فَقْدَه أكثر، فلقد فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك عالماً عاملاً ومرجعيّة منفتحة تحمّلت مسؤوليّتها ومارست أدوارها وتفاعلت مع قضايا وهموم مجتمعها، وكيف لا نفتقدك ونحن نجد الكثير من العلماء والمرجعيّات الدينيّة قد غابت عن مجتمعها ولم تتحمّل مسؤوليّاتها وانشغلت عن ذلك بأمور هامشيّة وسطحيّة؟!

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك عالماً عاملاً وازن بين الأصالة والتجديد، فلم يؤدِّ به تمسّكه بمبادئ وقيم الإسلام إلى الانغلاق والتحجّر والتعصّب، كما

لم يجعله انفتاحه يبتعد عن الإسلام وقيمه ومبادئه، كما أدّى ذلك ببعض العلماء والمفكّرين الحداثيّين الذين ضلّوا الطريق وهم ينشدون التجديد.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك عالماً أفنى حياته من أجل قضيّة الوحدة الإسلاميّة، إذ لم يتّخذ الوحدة الإسلاميّة شعاراً ووسيلةً للوصول إلى أهداف أخرى، بل وضعها هدفاً ومارسها ممارسةً في كلّ حياته، وفي كلّ ما أعطى من فكر، وفي كلّ ما مارسه من سلوك، في الوقت الذي نجد الكثير من دعاة الوحدة الإسلاميّة يتّخذون من هذه القضية شعارات جوفاء خاوية دون أيّ ممارسة فعليّة.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك إرادةً صلبة لا تتزعزع، ولا توقفها التحدّيات والصعوبات ومحاولات التصفية الجسديّة والفكريّة عن مواصلة العطاء الفكريّ ودعم الجهاد وتوعية الأمّة.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك فقيهاً مجدّداً، وعالماً كبيراً، ومثقّفاً بصيراً، وشاعراً واعياً، وكاتباً خبيراً، لديه الشجاعة والجرأة للجهر بآرائه ومواقفه التي يعتقد بها، في الوقت الذي نجد فيه بعض الفقهاء والعلماء والمثقّفين والشّعراء والكتّاب لا يستطيعون المواجهة ويخشون الجهر بآرائهم، لأنّهم يخشون الناس ويسعون لإرضائهم.

فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك إنساناً بكلّ ما للكلمة من معنى، إنساناً يملك العاطفة الواعية الصّادقة، والوعي العاطفي الصادق، إنساناً أُسيء إليه وترفّع عن الإساءة أو الردّ على من أساء إليه.

نعم، فقدناك يا فضل الله، وفقدنا برحيلك من يستطيع أن يملأ كلّ هذه الفراغات الذي خلّفتها، ولا ندري هل ستجود علينا الأيام بإنسان مثلك في القريب العاجل أم لا؟.



# انتصارات الرّوح قبل الجسد

سهى سليمان حيدر[*]

كلّما هممتُ بالكتابة، تراجعت وفقدتُ المقدرة على التعبير.. وكأنّني يتيمةُ الحرفِ والفكرِ حين أقصدُك بقلمي.

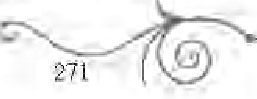
أنا لا أدّعي أنّني أعرفُك سيّدي.. أنا لم أرَكَ بأمّ العين، ولم أسمعك عن قُربٍ، ولم أحظَ كالكثيرين بشرف العيشِ في كنف عباءتك الطاهرة، وفي ظلّ عمامتك التي لا تزالُ أعزَّ وأثمنَ ما نملك..

سيّدي ومولاي كيف لا نفتقدك وأنت الدّاعي إلى كلّ خيرٍ وعدلٍ وتقاربٍ للأديان، لم نعهد أحداً من قبلك أو بعدك أن دعا إليه، كيف لا نفتقدك وأنت المُلتقى لجميع المسلمين سُنّةً وشيعة؟!!.

يا من حملت هموم الأمّة كلّها كوالدٍ للجميع لا يكلّ ولا يمل.. كنتَ أنتَ المرجعيّة الناطقةَ بالحقّ، والاعتدال في وجه كلّ تعصّبٍ وانغلاقٍ وتشويهٍ لأمور الدّين والدّنيا. تحمّلتَ ما لم يُطقه بشرٌ من آلام الرّوح وكذلك الجسد.. من نبذٍ لفكرك وظلمٍ لنهجك في التجديد، وإجحافٍ لدعوتك بالانفتاح على أديان الآخرين..

---

(*) كاتبة لبنانية.



كيف لا نفتقدك، وأنت المقاوم بفكرك وهدوئك وزهدك، واعتدالك وصبرك اللاّمتناهي حتى في أصعب أيّام مرضك الجسديّ..

كنتُ ولا زلت، إذا استعصى عليّ النقاش واستشرس حولي المجادلون في كافّة شؤون الحياة ـ وليس فقط في أمور الدين ـ ألجأ إليك في بُعدك، وأصغي إلى خشوع صوتك بداخلي ليستكينَ قلبي وتهدأ نفسي.. وكأني بك تُمسك بيدي إلى كلّ خيرٍ أُنشده..

كيف لا نفتقدك سيدي والفُرقةُ تتنازعنا والجَورُ يتآكل ما بقي فينا من قيم ورحمةٍ وأخلاق..

حين وقفتُ بقرب ضريحك ذات مرّة، بكيتُ بصمت لأنّني لم أعرفك ولم أرَ وجهك.. لكنّني الآن أحمدُ الله أنني عشتُ وعائلتي زمانَك، زمان انتصارات النفس قبل الجسد. أولست أنت القائلُ: « لقد شعرتُ بأنّني في قلوبكم كما أنتم في قلبي» ؟؟

أنت في قلوبنا باقٍ لا يُبعدك موتٌ ولا يُلغي حضورك غياب.. إلى جنان الخالدين مغفوراً لك بواسع رحمته.







# لأنّي أحبّك

**فاطمة شاهين**(*)

ما عرفتُ يوماً كيف أكتبك..

ما عرفتُ يوماً كيف يستطيع كلّ ذلك النور أن يشعّ من ورقة، أن يذوب في حبر كلمةٍ لا بدّ أن تُقال..

كلّ هذه الفراشات المحلّقة، كلّ هذه الابتسامات، كلّ هذا الطُّهر الذي يعشق قلبك يثنيني عن الكلام.. يرميني في التأمّل، في الصمتِ، في اللّغات اللاّمحكية للصفاء..

أتدري يا سيّدي؟ أنا ما كتبتكَ يوماً..

أنا ما عرفتُ كيف بعدك ينبض الفكر عزماً وياسمين..

أنا ما أدركتُ بعدُ كيف لبريق حنوّك أن ينير طريق السّالكين..

أنا يا سيدي، لا زلتُ في الطور الأوّل.. أقتفي أثر عمامتك.. أقرأ أبجديّة السّلام القابع في عينيك.. وأعود معك إلى كتاب الله أتلو ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ**

(*) كاتبة لبنانية ومنسّقة الأنشطة في مكتبة العلامة السيد محمد حسين فضل الله العامة.

**بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾...**

أنا يا سيدي لا زلتُ أبحث عن سرّ هذا العقل الذي احتوى كلّ القلوب، عن كُنْهِ هذا القلب الذي حضن كلّ العقول.. عن سرّ وصالك أبحث، عن السّكينة التي أينعت عطفاً وتسامحاً ويقيناً...

ولأنّي أحبّك سيدي.. لن أعرف يوماً كيف أكتبك..

ولأنّي أعيشك سيدي.. لن أنادي الرّحيم أن يعيدك إلينا...

فقد جئتنا داعياً للحبّ والعقل والسّلام، وتركتنا حاضراً لا تغيب.. وفينا منكَ الحرف والقلم.. حجّةٌ ما بعدها كلام... حجّةٌ بعدها عملٌ وعزمٌ وصلابة إيمانٍ تكسر كلّ هذا الوهن.. وتعلن على ملأ الدّنيا أنّ القلب الخاشع لله وحده هو خير سبيل...

ولأنّي أحبك سيدي... سأعيشك دوماً... معلّماً وقائداً ومثالاً.. عساه يتكرّر فينا بعضٌ منك.. عسانا ندرك بعدك كيف يزهر في سعينا الخلاص..





# مفكّرٌ يحلو الوصول معه إلى طريقة حياة

محمد محسن(*)

كأنّهما لا شيء. مرّ عامان على رحيله، وبات للسيد فضل الله حضورٌ أقوى. الموت، في مثل حالته، لا يُلغي الوجود، بل يزيده إشراقاً، عندما تَصدُق الرؤى التي كان يلهج بها منبر المسجد.

كلّما ازداد التعصّب والتكفير، نلوذ بانفتاحه.

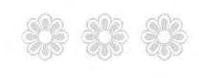
عرفتُه منذ طفولتي، وأينعت أفكارُه في ذهني شابّاً. الجميل في هذا الرجل، أنّه يستطيع الترويج لأيّ فكرة، بطريقة تجد مسارها سهلاً إلى القلب والعقل. والأجمل أنّه خذل مغريات كثيرة. العارف بتجربته يدرك ما أقول. سخّر السيّد قدراته في خدمة خطّ الله في الأرض. قد تختلف معه على كلّ شيء، وقد توافقه في أيّ شيء، لكنّك لا تملك إلا أن تحبّه. تنازل عن عرشٍ يمنحه المجتمع لأمثاله، ووسّع مساحة النقد لتطال كلّ شيء، حتى ذاك النقد الجارح، الذي واجهه بكلمة واحدة: لأنّي أحبكم جميعاً. السيّد، رجل يخيف أعداءه، وما أكثرهم في أيّامنا. أيّام التعصّب والتكفير والقتل الشنيع باسم الدين.

---

(*) كاتب وإعلامي لبناني.

مفكّرٌ يحلو الوصول معه إلى طريقة حياة. كل شارع يشهد إمّا على يتيم حفظ السيدُ ماءَ وجهه، وأعطاه من بحر حنانه، أو على شهيد، صلّى السيد على جثمانه، يوم كانت الصلاة على الشهداء فِعلاً مُستَنْكَراً، ويوم كان من يدعو لمقاومة الاحتلال، مجنوناً. ربّى رعيلَ المقاومة الأوّل، ولم يخشَ تهمة الجنون. بقي لنا أن نقتبس منه لذّة جنون الشجعان، ودمعة العبد الورع في جوف الليل.

محمد حسين فضل الله رحل، تاركاً للناس ما ينتفعون به. قضى ما عليه، وأكثر....







# الواحد الموحّد

مريم حجازي[*]

أبي، ها قد مرّ عامان على رحيل جسدك، ولا زلنا نجدك في ثنايا أرواحنا. لم نفهم لحظة الفاجعة أنّك قد هيّئتنا لنكون أشبالك وعيالك المؤمنة...

سيّدي، أنت من وحّدت الأمّة الإسلاميّة في أوج انقساماتها، وحّدتنا على حبّك... اعذرني فلن أستطيع أن أنمّق أحرفي و أزيّنها كثيراً، ففي حضرتك تغيب المعاني، علّـي ببعض الحروف أصف ما يجول بداخلي حين أراك..

حرت أأقبّل جبينك الطّاهر، أم أبكي أمام صفوة العيون، ببسمة من ثغرك يا أبي تذكّرت أنّك من علّمنا حبّ الحياة بطاعة الله، أنّك من زرع فينا ثقافة الحمد على النّعم، فابتسمت وحمدتُ الباري على نعمة معرفتي بكم...

من على ذلك المنبر كنت تُسمِعنا أعذب الدّعاء وأخلصه، في كلّ جمعة تحضر بيننا كأنّك تستحضر عليّ القوم فينا لنتفكّر ونثور ونتعبّد.

حاربوك، وقد علموا أنّك فكر حيّ في كلّ نفس.. جابهوك خائفين من تأثير إيمان متجدّد، إلاّ أنّ الله قد نصرك وأعزّك بأمّة تحبّك لن تترك نهجك ولن

---

(*) كاتبة لبنانية.



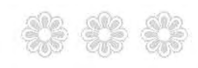
تخذلك بإذنه تعالى...

أبي وسيّدي وحبيبي، فاتحتُنا على روحك هي كلماتك التي سنردّدها دائماً وأَبداً، أنت من خرّجت جيلاً من المقاومين والثوار في حياتك، ستخرج جيلاً من المفكّرين والموالين في غيابك

لك منّا العهد يا صاحب العمّة الطاهرة، لك منّا المحبة يا أب كلّ مظلوم...

السّلام على روحك وقلبك...

نحبّك جميعاً...





# حمل عقل محمّد

منهال الأمين(*)

دعني لا أخوض في وجداني كثيرًا. السيّد فضل الله بحدّ ذاته وجدان محض. نشأت وأنا أرى شقيقي الأكبر، الشهيد حسن، يؤمّ منجذباً، مسجد بئر العبد. إلى عقل هذا الرجل، ولا أقول سحره، فالسيّد في الصلاة والحياة، لا يحمل سوى عقل محمّد، ولا يلبس لبوساً يجانب الحقّ إطلاقاً. تتخطّى العلاقة بالسيّد، ولكلٍّ منّا علاقته الخاصّة به، مشاعر العاطفة، إلى بداية تكوّن وعي فتى، يتلقّى حروف الوعي الأولى تحت منبر «خطير»، كمنبر السيّد محمد حسين فضل الله، وفي مسجد كمسجد بئر العبد، مثير الرّعب في الإسرائيليّين، وكلّ مُعادٍ أو جاهل بحالة المقاومة الإسلاميّة.

هناك حيث انطلقت واعدة، تسقط اتّفاق السابع عشر من أيار، واستمرّت بمجاهديها، مشاريع الشهداء، تنهل من زخم المنبر، ودفق العمامة الثائرة والمتحفّزة بفكر أصيل. هناك دافع السيّد عن المقاومة، وهتف في ذكرى عاشوراء، أنّ الحسين يتألّم مع كلّ شاب يسقط في المقاومة. هناك افترشنا

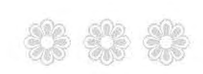
(*) كاتب وإعلامي لبناني.

الطرقات، لنصلّي ونستمع، ولا نكتفي بفعل الدّعاء والرجاء. هناك كان حلمٌ ينمو ويطّرد، ويتحرّر من كونه ضعفًا لن يستحيل قوّة. وأحسد أولئك الذين يعرفون السيّد في أوج الثمانينيّات، المرحلة الموسومة بالتضحية والصحو والاستيقاظ مع الموت، حيث تربّصت الصهيونيّة، بأدواتها الأميركيّة، وبعض العربية الغادرة، لتزرع القتل، وتحصد من طلاّبه العشرات، جلّهم من الأخوات، ذوات العبايات السّود، في أيّام كان ارتداء تلك العباءة، أكثر من مظهر أو تقليد، إنّه أسلوب حياة مختلف، ينبئ بصحوة إسلاميّة، بعد طول سُبات وإغراق في الجفاء مع الجذور. لا أحبّ مغادرة السيّد هذا المسجد، قد يكون لها ما يبرّرها، ولكن بالنسبة لي انسلخت عن ذكرياتي، وطرأ تغيير ما، شديد الوطأة على علاقتي بمنبره. أستغرب حديث الآخرين عن السيد فضل الله. أشعر أنّهم يتكلمون عن شخص آخر. ما كان السيد مفرّطاً بشيء من المبادئ. لا زالت كلمته أيقونة، تطرد ما عداها من ادّعاءات. مجد لبنان أُعطي للمقاومين. مَنْ غير فضل الله، ونصر الله طبعاً، يرسل كلماته بردًا وسلامًا على قلوبنا في حرب ضروس، كحرب تموزّ؟ مَنْ قبله أو بعده، استخدم عبارة «أيّها البدريون» مخاطباً، مجاهدي المقاومة الإسلاميّة. كم شعرت أنّه: أبٌ، قائدٌ، أخٌ، عالمٌ، فقيهٌ، رائدٌ. كم شعرت بعمقه وبُعدِ نظره. في السيد وجدت حياة بالكثير ممّا أعتنق وأعتقد في هذه الحياة: رفضُ الفتنة المذهبية، حرصٌ على الوحدة الإسلاميّة، نبذُ الخرافات والمبالغات والبدع، النظرةُ إلى الإسلام، على أنّه دين الحياة، كما أنّه دين الدين، أصالةُ الفكر، أولويّة قضيّة فلسطين، شعورٌ بالمسؤوليّة تُجاه المعذّبين أينما كانوا...

تزعجني الاحتفاليّة والاحتفائيّة بتراث السيد. لا يذكره ذاكر إلاّ ويمدح ويمجّد. ما كان السيّد يحبّ هذا النوع من الناس. نحن بحاجة لإعمال الفكر في تراث هذا الرجل، وعلى من يخالفونه في ما ذهب إليه، أن يُظهروا علمهم

من دون إسفاف حتّى نفهم ما يريدون به. وكذلك فإنّ محبّيه مدعوّون، أن يربأوا بأنفسهم عن استغلال انتمائهم إلى السيد، فيشطحون في تبنّي كلّ ما صدر عنه، من دون إعمال العقل والتأمّل فيه، وإلا فإنّ علامات استفهام وتعجب ستحوم حول مآربهم ومقاصدهم.

من المؤكّد أنّني لا أستطيع أن أُنصف السيد، لا بعجالة ولا بمطوّلة، إذ لا أجد في نفسي أهلاً، ولكن لا أعفيها أن تكون فيه، وفي فكره تحديداً، متأمِّلة، منقِّبة وباحثة. عسى أن أُوفّق. «أيها الأحبة» أنصفوا فضل الله من أنفسكم.



# إلى روح سيّدنا ومرجعنا وملهم قلوبنا وعقولنا

## سماحة العلاّمة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله( قدس سره)

موسى عقيل[*]

يا بدراً سافر

ونشر الحبّ فينا

منْ يدكَ اليمنى حملنا أوّل وسائلنا...

ومنَ اليسرى بوركت أمانينا...

حملنا العهد منك مفخرةً...

والإرث من بعدك يمينا...

جمعنا من شذرات فكرك معرفةً

فَغَدَتْ لنا في الناس عناوينَ..

خطّك فينا الجمع يدركُهُ

مسكوبٌ بلون قلبك ليّنا...

علمُكَ منْ كلّ جهلٍ يحمي عزّتنا

---

(*) كاتب لبناني.



ويجدّد أمانينا

سيّدنا...

لست فينا ذكرى

بل أنت روحٌ تسكن عمق أرواحنا

أنت تربط عدّاد قلوبنا

فما دامت الرّوح مع القلب تنبض

تبقى أنت الروحُ فينا





# عشتَ في الخالدين

محمد طراف(*)

إلى حيث أنت يا مولاي وسيدي، أرسل كلماتي وأبثّك اشتياقي ولوعتي. أكتب إليك من على مقربة من ضريحك، ومن خلف ذلك المكتب، حيث تنتشر أفكارُك وكلامُك أوراقاً أمامي، وأنفاساً ينبض بها قلبيَ المكلوم منذ الرابع من تموز قبل عامين... حينها، وبعد عقدٍ ونيّفٍ من السنوات بقربك، لا أدري ماذا حلّ بي...

فلا زال السؤال يلحّ على عقلي ووجداني، هل يُعقَل لهذا الضريح بحدود أبعادِه أن يحويَ هذا الطودَ العظيم؟!! ومع كلّ آية من فاتحة كتاب ربّك أقرأها، أعلم أنّك بحجم الكون، وفكرك يملأ الزمان الحاضر وسيملأ الآتي من الأيام... سيبقى معينُك دفّاقاً خالداً متجدّداً كخلودِ القرآن الذي كان أنغاماً تترنّمها آناء الليلِ ذِكراً مع معشوقك الأوّل، وأطراف النهار فكراً توصّله لبني البشر...

أيّها الفقيه المجدِّد... منذ رحيلك لم يتغيّر شيء، فلا زلتَ تسمو للعلا بفكرك وعلمك، ولا زال الجميع ـ من أحبّك ومن لم... ـ يحارُ فيك وفي فكرك...

---

(*) كاتب لبناني.

لازلت المبهر لأحبائك والمحيّر لمن عادوك... فالعظماء لا يُعْرَفُون إلا بعد مرور سنين، تطوي الصغار وترتفع بالكبار...

بغيابك يا مولاي ويا أبا الإسلام الحركي...غابت الفتاوى التي تواكب حياة الناس، وعاد الخرافيّون بأساطيرهم يحاولون السيطرة على السّاحة الإسلاميّة، وليعيدوها إلى النفق المظلم الذي عملتَ على إخراج الناس منه، ولاقيت ما لاقيت من المتحجّرين..

خلال السنتين المنصرمتين عرفتك أكثر مما عرفتك سابقاً في ثلاث عشرة سنّة، لقد قرأتك بطريقة مختلفة، واقتربت منك فكريّاً أكثر من ذي قبل، وسبرت أغوار سرّك العظيم ولا زلت... وفي كلّ يوم أعرفك أكثر... يا حسرة على ما فرّطتُ في حياتك.. اليوم وعند كلّ مفترق طريق أو حدث، أعرف معنى ما كنت تردّده، أنّ الحقد موت والمحبة حياة، وأنّك تريد أن تحيا ولا تريد أن تموت... أجل يا سيّدي، لقد رأيت هذا في وجوه وكلام وكلمات من كتب فيك وتحدّث عنك.. هذه المحبّة في قلوبهم تفجّرت إبداعاً صاغ فيك أجمل العبارات، وأخرج منك ولك الكنوز المخبوءة من الكلام المتجدّد في كلّ آن...

في كلّ مرّة كنت ألتقي فيها أحدهم، وأذكرك أمامه كنت أرى وميض عينيه وأسمع خفقة قلبه حسرة على غيابك، وأرى تلك التنهيدة التي تجمعهم عندما يسمعون باسمك. وينطلق لسانه يلهج في تعداد مآثرك وما سبقت أقرانك وعصرك به... ماذا فعلت بهم وبنا يا سيّدي؟! كيف ملكتَ قلوبَهم وعقولَهم المتنافرة، كيّف وحّدتهم على محبّتك واحترامك؟!

إيهٍ لقلبك يا سيدي كم ناء وتحمّل...إيه لعزيمتك وقدرتك على الاستمرار والعطاء... أيّها الشامخ دوماً رغم معاول الجهل والتخلّف التي كانت تحاول أن تنهشك ولكن هيهات هيهات لما يريدون... كم تساءلتُ إن كان ما يُقال ضدّك

من افتراءاتٍ وحملاتٍ يقضّ مضجعك ويعرقل مسيرتك، كم كنت أقف حائراً إن كنتَ تشعرُ بالخذلان والضعف والانكسار... وسرعان ما يأتيني الجواب من نظرتك أو ابتسامتك أنّ المكسور لا يُنتج، وأن الضعيف لا يُبدِع...لا زلت المبدع والمجدِّد يا مولاي، ولا زال معينك الفكري ينساب على العقول الجدباء القاحلة، فتزهر من جديد...

وها أنا بعد عامين، أسائل من كتب فيكَ ولك في رحيلك، ماذا تقول بعد عامين على رحيل السيّد؟ فكأنّي أثير لواعج نفسه، وأفتح له جرحَه الذي لم يندمل ولا يزال ينزف منذ رحيلك... وها هي أقلامهم تعود لتجود بسحر الكلمات ورائع العبارات، قِطعاً فنيّة ساحرة مبهرة...

أما أنا يا مولاي، ويا سيّدي وملهمي...جئتك في مقتبل عمري كصحراء قاحلة، وكأرضٍ لا حياة فيها، فهطل مطرُك الفكريّ والروحيّ عليها، وبذرتَ تعاليمك وروحك فيها، وفي كلّ أرض مشابهة، وبقي سقيُك ينزل عليّ طيلة ثلاث عشرة سنة دون صحوٍ...

وبعدها رحل ذلك الرجل المعطاء، تاركاً ذلك الزرع الذي نبت وأينع، وتملّكني الخوف من غياب مَنْ كان يحميها من رياح التخلّف والتحجّر، ولكن ظلّك وفكرك الحاني والحامي لم يزل يرافقني ويشذّب أفكاري وكلامي عند كلّ موقف وفي كلّ حين...

أنت الحاضر الأكبر يا أبي فيما يسمّونه ذكرى رحيلك، حضورك لا زال ينير الطريق لكلّ المريدين والمحبّين، وفكرك لا زال ماحقاً لكلّ أباطيل المتخلّفين والمستكبرين. ولازلت تحلّق في عليائك ونداءاتُك تملأ الكون كلَّ الكون...

عشت في الخالدين يا مولاي فهنيئاً لك...



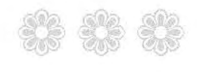


## محتويات الكتاب

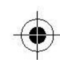






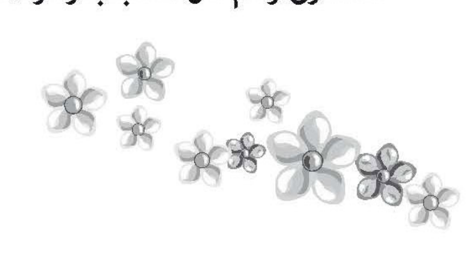









كلماتٌ حفرها كتّابُها على شغاف قلوبهم...
انطلقت مضمّخة بعبير الحبّ والصدق وكلّ الوفاء...
خاطبت السيّدَ (رضوان الله عليه) بعقلٍ وجدَ في
عقل السيّد إضاءاتٍ تبشّر بفجرٍ صانعٍ للمستقبل
المشرق رغم كلّ الضباب وعواء الذئاب...




المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين (ع)

